

الدكتور أحمد شلبي  
أستاذ التاريخ بجامعة القاهرة

عصر في عشرين

٧٣ - ٦٧

دراسة مقارنة



لاهوران

باصف



مصر في حربين

١٩٦٧ و ١٩٧٣

دراسة مقالة في أسباب الهزيمة ودعائهم النصر

---

الطبعة الثانية مع مزيد من الوثائق والدراسات

وَلِللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَالْعَرْشِ الْعَلِيِّ  
لصاحبها، محمد عبد الرزاق  
١٩ كنيسة الأمن ضد الجيش  
حليقون ٠ ٩٣٤٠٩٨

# مَصْرٌ فِي عَرَبَيْنِ

(١٩٦٧ و ١٩٧٣)

## دراسة مقارنة لبيان أسباب الهزيمة وعائم النصر

تأليف

الدكتور أحمد شاذلي

دكتوراه في الفلسفة من جامعة كمبودج  
أستاذ ورئيس قسم التاريخ الإسلامي والحصار الإسلامية  
بكلية دار العلوم — جامعة القاهرة

( الطبعة الثانية مع مزيد من الوثائق والدراسات )

الناشر



معتزم النشر والتوزيع

مكتبة النهضة المصرية  
بإسعادها حسن محمد وأولاده  
٩ شارع عتيق في باب الفتاح بالقاهرة

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

الطبعة الاولى فبراير سنة ١٩٧٥

الطبعة الثانية يوليو سنة ١٩٧٥

ترقبوا الكتاب التالى

« ثورة ٢٣ يوليو بين عهدين »

دراسة تاريخية موثقة

لحوالى ربع قرن مع الثورة

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

من كان يريد العزة فلله العزة جميعاً  
إليه يصعد الكلمُ الطيبُ  
والعملُ الصالحُ يرفعه  
والذين يمسكون السيئات لهم عذابٌ شديد  
ومكرٌ أولئك هو يبور

قرآن كريم  
(سورة فاطر الآية العاشرة)

أرسلتُ لعبد الناصر خطاباً قلت له فيه « اتق الله » فاعتقلني  
ثلاثة أشهر .  
( من شهادة كمال الدين حسين بالمحكمة )

وَصَلَ الوُضْع بعبد الناصر إلى أكثر مما وصل إليه فرعون في زمانه ،  
أو اللورد كرومر في عصره . ( من شهادة عبد اللطيف البغدادي بالمحكمة )

## اقرأ في هذا الكتاب :

ملحة

- ٢٦ حقيقة الثورات وتأثير ثورة ٢٣ يوليو على المؤرخ المصري .
- ٦٦ ملك التعذيب .
- ٦٩ نصيب المفكرين والكتاب من الظلم .
- ٧١ محكمة الدجوى وكيف سُكَّلت بقرار مزيف .
- ٧٩ الأبرياء فى مستشفى الأمراض العقلية .
- ٩٦ الثقة أم من الكفاءة .
- ١٠٠ المشير عامر والذهب .
- ١٠٦ الحراسة وسيلة للتعذيب والمكسب الحرام .
- ١١٨ الإنسان بضاعة فى طرد .
- ١٢٠ كيف كانت العلاقة بين عبد الناصر ومشيرة من أسباب الهزيمة .
- ١٢٢ مواهب المشير عامر كما يراها هيكى طاهى للسياسة .
- ١٢٤ إبعاد الضباط الأكفء عن الجيش .
- ١٢٥ الاستيلاء على أكناس الذهب بالبن وجواهر القصور بمصر .
- ١٢٨ قادة النصر محدّدون المسئول عن هزيمة ١٩٦٧ .



- صفحة  
١٣٢ هزيمة ١٩٦٧ لم تكن مصادفة ، فن المسؤول عن أرواح الشهداء
- 
- وضياع الأرض والاضطراب الاقتصادى ؟
- ١٣٥ ماذا قال عبد الناصر عن ملوك العرب ورؤسائهم .
- ١٣٩ حرب اليمن ونتائجها السياسية والاقتصادية .
- ١٤٩ جبل مضلل بمصر ... لماذا ؟
- ١٦٦ سياسة عبد الناصر وهل جلبت الجلاء أو الاحتلال ؟
- ١٨٦ عهد في الميزان أو حصيلة عشرين عاما .
- ١٨٩ صور سرثية من عهد عبد الناصر .
- ١٩٨ صور صوتية عن حكم مصر من فاروق إلى السادات .
- ٢٠٣ الفاروق التى ضلّت بعض الأنفوة العرب .
- ٢٩٢ « مراکز القوى » تعبیر يرفضه التفكير الإسلامى ؟
- ٢٦٥ ماذا قال هيكل وخالد عبد الناصر عن أسباب انتصارات ١٩٧٣
- ٢٨٣ مربات ومخصصات ومال لمن لا يستحقه .
- ( الفهرس الكامل فى آخر الكتاب )

## كتب للمؤلف

### أولا -- موسوعة التاريخ الإسلامى

دراسة تحليلية شاملة فى ثمانية أجزاء لتاريخ العالم الإسلامى كله من مطلع الإسلام حتى الآن ، مع دراسة الجوانب الحضارية التى أسهم بها المسلمون فى ترقية العمران ، وتطوير الفكر البشرى ، ومحتويات الأجزاء هى :

#### ١ -- الجزء الأول : ( الطبعة السابعة )

-- مقدمة الموسوعة : نطاق التاريخ الإسلامى - تفسير التاريخ - هل التاريخ

علم ؟ . فلسفة التاريخ - فائدة التاريخ - صواحل

تدوين التاريخ - قضية الالتزام فى كتابة التاريخ

الإسلامى - علم التاريخ بين المسيحية والإسلام ...

-- تاريخ العرب قبل الإسلام : البدو والحضر - حياة العرب السياسية

والاقتصادية والاجتماعية .

-- السيرة النبوية المطهرة .

-- الدعوة الإسلامية وفلسفتها .

-- عصر الخلفاء الراشدين .

#### ٢ -- الجزء الثانى : ( الطبعة الرابعة )

الدولة الأموية والحركات العسكرية والثورية فى عهدها .

#### ٣ -- الجزء الثالث : ( الطبعة الخامسة )

الخلافة العباسية مع اهتمام خاص بالعصر العباسى الأول ، وبدور المسلمين

فى خدمة الدراسات الإسلامية والحضارة العالمية .

#### ٤ -- الجزء الرابع : ( للطبعة الرابعة )

-- الأندلس الإسلامية ، وانتقال الحضارة الإسلامية لى أوروبا عن طريقها .

-- المغرب - الجزائر - تونس - ليبيا ( من مطلع الإسلام حتى العهد الحاضر ) .

-- السنوسية : مبادئ وتاريخها .

#### ٥ -- الجزء الخامس : ( الطبعة الثالثة )

-- مصر وسوريا من مطلع الإسلام حتى العهد الحاضر .

-- الحروب الصليبية : دوافعها - أدوارها - نتائجها .

-- الإمبراطورية العثمانية ( تركيا ) منذ نشأتها حتى الآن .

## ٦ — الجزء السادس : ( الطبعة الثانية )

- الإسلام والدول الإسلامية جنوب صحراء إفريقيا منذ دخلها الإسلام حتى الآن
- دراسة عن وسائل انتشار الإسلام :
- مراكز العمال — هجرات عربية — هجرات غير عربية — التجار — الطرق الصوفية — مراكز داخلية .
- الدول الإسلامية قبل الاستعمار الأوربي :
- فان — مالي — سنغلي — دول الهوسا — برنو — باجريمي — واحاي — القونج — مقدشو — مملكة الزنج .
- الدول الإسلامية الحالية :
- موريتانيا — السنغال — جامبيا — غينيا — مالي — النيجر — نيجيريا — تشاد — السودان — الصومال .

## ٧ — الجزء السابع :

- الإسلام والدول الإسلامية بالجزيرة العربية والعراق ،
- دول الجزيرة العربية من مطلع الإسلام حتى الآن :
- المملكة العربية السعودية — اليمن — جمهورية اليمن الجنوبية — عمان — دولة الإمارات العربية — قطر — البحرين — الكويت —
- العراق من مطلع الإسلام حتى الآن .

## ٨ — الجزء الثامن :

- الدول الإسلامية غير العربية آسيا منذ دخلها الإسلام حتى الآن :
- إيران — أفغانستان — الباكستان — بنجالاديش — ماليزيا — لاندونيسيا ،
- ( ترجت أكثر أجزاء هذه الموسوعة لعدة لغات ) .

## دراسات تفصيلية في تاريخ مصر المعاصر

### ٩ — ثورة ٢٣ يوليو بين مهدين :

دراسة تحليلية مؤلفة عن حوالي ربع قرن مع الثورة .

### ١٠ — مصر في حربين ( ١٩٦٧ — ١٩٧٣ ) :

دراسة مقارنة لبيان أسباب الهزيمة ودعائم النصر .

## كتب للزواف

ثانياً - موسوعة النظم والحضارة الإسلامية

دراسة تحليلية شاملة في ستة أجزاء ، تبرز الاتجاهات الحضارية التي جاء بها الإسلام لهداية البشرية ، في شئون الفكر ، والسياسة والاقتصاد ، وفي مجال الحياة الاجتماعية والتربوية والعسكرية ، وتشمل :

١١ - الفكر الإسلامى : منابعه وآثاره : (الطبعة الخامسة)

( مترجم عن الإنجليزية مع مقدمة ضافيه المترجم ) .

١٢ - المجتمع الإسلامى : (الطبعة الرابعة)

أسس تكوينه - أسباب ضعفه - وسائل نهضته .

١٣ - تاريخ التربية الإسلامية : (الطبعة الرابعة)

دراسة عميقة وشاملة لفلسفة التربية عند المسلمين ، ولمناهج التعليم وأمكنته ، وحالة المدرسين المالية والاجتماعية ، والإجازات العلمية ، والعقوبات ، والجوائز والمكافآت ، وملابس المدرسين ، وتقابة المعلمين ... وتكافؤ القرس بين التلاميذ ، وتوجيههم حسب مواهبهم ... وغير ذلك من الدراسات التربوية الرائعة .

١٤ - السياسة والاقتصاد في التفكير الإسلامى : (الطبعة الرابعة)

دراسة شاملة لسياسة والاقتصاد في التفكير الإسلامى مع المقارنة بالاتجاهات السياسية والاقتصادية الحديثة .

١٥ - الحياة الاجتماعية في التفكير الإسلامى : (الطبعة الثالثة)

- في نطاق الأسرة : كالنكاح وتحديد النسل وعمل المرأة ...

- وفي نطاق المجتمع : كالأنفراح والمآتم وللموسيقى والغناء ...

- وفي نطاق المال : كصناديق التوفير والبنك الإسلامى والربا ...

١٦ - الجهاد والنظم العسكرية في التفكير الإسلامى : (الطبعة الثانية)

بحث على يبرز اتجاهات الإسلام في مشكلات الحرب ، كالاستعداد للجهاد

ووسائله ، وأخلاق المجاهد ، والخديعة في الحروب ، والثلثيات والفرار ،

والتهجس والخيانة ، والرباط ، والمهنة والأسرى ...

(ترجمت أكثر أجزاء هذه الموسوعة لعدة لغات)

# كتب للمؤلف

## ثالثاً - مقارنة الأديان

سلسلة من الكتب في مقارنة الأديان ، تعتمد على أدق المراجع  
بمختلف اللغات ، وتمتاز دراستها بالحيدة والعمق وتشمل :

### ١٧ - اليهودية : (الطبعة الرابعة)

- دراسة لثنى المسائل اليهودية في التاريخ من عهد إبراهيم حتى الآن :
- السيونية ، أنبياء بني إسرائيل ، عقيدة بني إسرائيل ، يهوذا ، الكهنة والفرايين ،
- التعدد والتوحيد في الفكر اليهودي ، الثابوت والهيكيل ، الكهنة والفرايين .
- مصادر الفكر اليهودي : العهد القديم ، التلمود ، يروتوكولات حكماء صهيون
- اليهود في الظلام : الماسونية ، الروتاري ، الاغتيال ، انتجسس ، البالية والبهايمية
- من صور التعرّيع في اليهودية .

### ١٨ - المسيحية : (الطبعة الرابعة)

- المسيح والمسيحية في نظر المسلمين واليهود والمفكرين الغربيين والكنيسة
- بواس واضح المسيحية الحالية : الثلاث ، صلب المسيح ، التكفير عن خطيئة البهر
- شعائر المسيحية ، المصادر الحقيقية للمعتقدات المسيحية ، المعاجم ، طبيعة
- المسيح والآراء فيها ، الطوائف المسيحية ، الرهبنة والأديرة ، حركة
- الاصلاح الديني وتناجها ونقدها .

### ١٩ - الإسلام : (الطبعة الرابعة)

- أمة في التفكير الإسلامي ، النبوة في التفكير الإسلامي ، الروح والمادة
- في التفكير الإسلامي ، فلسفة العبادات في الإسلام ، غير المسلمين في المجتمع
- الإسلامي ، الدين المعاملة ، المرأة في الإسلام ، الرق وموقف الاسلام
- منه ، السياسة والاقتصاد في الاسلام .

### ٢٠ - أديان الهند الكبرى والهندوسية - الجينية - البوذية : (الطبعة الرابعة)

- تقديم عن : جغرافية الهند ، سكان الهند ، اللغات في الهند ، الأديان في الهند
- دراسة الكتب المقدسة الهندية : الوبدا ، مهابارتا ، يوجا واستها ، كيتا
- أهم العقائد الهندية : السكارما وثناسخ ، الانطلاق والرفانا ، وحدة
- الوجود . تاريخ الهندوسية والجينية والبوذية وتاريخ واضعها ...
- ترجمت هذه السلسلة الأوردية والإنجليزية والفرنسية والإندونيسية

## كتب للمؤلف

رابعاً - كتب في الثقافة العامة وكتب بلغات أجنبية

٢١ - كيف تكتب بحثاً أو رسالة : (الطبعة التاسعة)

دراسة منهجية لكتابة البحوث وإعداد رسائل الماجستير والدكتوراه .

٢٢ - رحلة حياة : مشاهد وتجارب مثيرة وهادفة ، تعرض أهم قضايا العصر :

مصرية وعربية وإسلامية .

٢٣ - تطور النظم الاقتصادية في العالم عبر العصور

باللغة الإنجليزية :

٢٤ - ISLAM : Belief - Legeslation - Morals . ( مكتبة النهضة المصرية )

٢٥ - History of Muslim Education ( دار الكشف بيروت والقاهرة )

باللغة الاندونيسية والماليزية :

٢٦ - Negara dan Pemerintahan dalam Islam

٢٧ - Masjarakat Islam

٢٨ - Hukum Islam

٢٩ - Sedjarah dan Kebudayaan Islam . I -

II - ٣٠

III - ٣١

Nabhan

(Surabaja)

Dan Pustaka

National

(Singapore)

٣٢ - Perbandingan Agama (Jahudi)

٣٣ - (Masjhi)

٣٤ - (Islam)

٣٥ - ( Agama2 yang

٣٦ - Terbesar di India: Hindu - Jaina - Buddha )

٣٧ - Sedjarah Pendidikan Islam

٣٨ - Politik dan Ekonomi Dalam Islam

٣٩ - Social dalam Islam

Sjamsijah

(solo)

٤٠ - Perkembangan Keagamaan

dalam Islam dan Masehi

Perang Salib

- ٤٠

## كتب للمؤلف

خامساً — تعليم اللغة العربية لغير العرب

### وقواعد اللغة العربية

- برنامج شامل ميسر لتعليم اللغة العربية بكل فروعها لغير العرب .
- أول سلسلة من نوعها في المكتبة العربية تملأ هذا الفراغ .
- دراسات شاملة سهلة لقواعد اللغة العربية من نحو وصرف .
- تضم هذه السلسلة الكتابين التاليين :

١ ٤ — تعليم اللغة العربية لغير العرب : ( الطبعة الثانية ) .

يبدأ هذا الكتاب من المرحلة الأولى : مرحلة الهجاء ، ويتطور للقراءة — فالتعبير — فالإملاء — فالخط والمحفوظات ، ثم يقفز بالطلاب إلى مرحلة متقدمة في القراءة والمحادثة والكتابة ، مستعملاً موضوعات مستمدة من الفكر الإسلامي والعربي اختيرت من أمهات الكتب العربية ثم صيغت في أسلوب مناسب مع أسئلة وتمارين مفيدة .

٢ ٤ — قواعد اللغة العربية والتطبيق عليها : ( الطبعة الثانية ) .

- عرض لجميع أبواب النحو العربي بطريقة تربوية سهلة .
- ودراسة واضحة لآهم أبواب الصرف .

هذا الكتاب ضروري للثقف العربي وغير العربي

كتب نفدت ولم يعد طبعها :

٣ ٤ — في قصور الخلفاء العباسيين :

أكثر مادة هذا الكتاب تضمنها الكتاب رقم ٣ من هذه القائمة .

٤ ٤ — الحكومة والدولة في الإسلام :

وأكثر مادة هذا الكتاب تضمنها الكتاب رقم ١٤ من هذه القائمة .

## مقدمة الطبعة الاولى

للك الله يا بلادي ؛

انقد عانيت فترة كالحلة مريرة ، نعرض لها اليوم بالبحث والدراسة :

فترة هزائم متصلة : ١٩٥٦ - حرب اليمن - ١٩٦٧

فترة قطعية من أكثر الدول العربية والإسلامية .

فترة ذعر وخوف من المسجون والمعتقلات والتعذيب .

فترة اضطراب اقتصادى وصل أحياناً إلى الجوع والحرمان .

واحتمل الشعب كل هذه الآلام حتى جاء عهد النور والأمل .

فلتقف وقفة ندوّن فيها تاريخ الماضى ونهياً للمستقبل ، داهين الله

ألا يجعل فى بلادنا سلطاناً لمن يرتدون أمام العدو ويستأسدون

أمام الشعب الأهزل .

وداعين الله أن يكمل لنا مسيرة النصر التى خطونا فيها خطوة

حليمة مباركة . إنه سميع الدعاء

وننتنى فى هذه المقدمة لنحبيب عن سؤالين مهمين هما :

١ - لماذا نكتب عن الماضى ونثير الغبار ؟

٢ - وإذا كان الماضى سيمسُّ تاريخ جمال عبد الناصر

فماذا لم نكتبه فى حياته ؟



والسؤالان يترددان أو قد يترددان ، ولذلك نجيب عنهما بدقة  
ووضوح مع الإيجاز :

فمن السؤال الأول نقرر أن هذا هو ضرورة التاريخ ، وليس  
هناك عاقل يريد أن يهدر التاريخ ويسدل عليه ستاراً من السكتان ،  
وإذا كنا ندرس تاريخ الفراعنة ، أو العهد القبطى بمصر ، أو العهد  
الإسلامى ، وندرس تاريخ أوروبا والعالم كله ، فكيف لا نكتب  
تاريخ فترة عشناها ورأينا فيها الأحداث ؟ . إن التاريخ أمانة أودعها  
الزمن فى يد المؤرخ ، والذي يكتم أمانة التاريخ أو يخونها لا يقل ذنبه  
عن يخون أمانة المال .

ونكتب كذلك تاريخ الماضى لحماية الحاضر والمستقبل ، فإذا  
أدرك أى رئيس أن أعماله سيثبتها التاريخ وتناقلمها الأجيال ، وأن  
الزيف لن يقوى أمام الحياة والنقد ، إذا أدرك ذلك فإنه يُحسن  
عمله ، فنستخدم بدراسة الماضى إنسان الحاضر والمستقبل ، ويقول  
Hearnshaw <sup>(١)</sup> فى ذلك : إن دراسة التاريخ كانت على مر  
الأجيال من أجل خدمة الحاضر ، وإلهامه سبيل الرشاد .

---

(١) علم التاريخ : الترجمة العربية الأستاذ عبد الحميد المبادئ ص ٢٤ .

ويقول Joseph Horse<sup>(١)</sup> : إن الحياة تعلم العيش ، وإن ملاحظة أعمال الناس في الماضي ونعائجها تضيف خبرة إلى خبرتنا ، وتدفعنا إلى تصرف أحسن .

أما الإجابة عن السؤال الثاني فنستطيع أن نبدأها بسؤال هو : من قال إننا لم نكتب هذا التاريخ في حياة عبد الناصر ؟ لقد كتبناه في حياته يوما بعد يوم ، ولكننا لم نستطع نشره ، فقد كان جمال عبد الناصر لا يحب النقد ، وكان قاسيا مع من خالفوه في الرأي ، فكم بذلك الأفواه المصرية ، وأخلق صحيفة من كبريات الصحف العربية وهي صحيفة « المصري » ولو حاول إنسان أن ينشر في عهده شيئا من هذا النوع ما وصلت سطورره إلى الناس ، لأن الرقابة كانت شديدة العنف ، تمنع كل كلمة غير مرغوب فيها من الظهور ، وسنرى نماذج من ذلك في دراستنا بهذا الكتاب .

وبعد ، هذه دراسة علمية تاريخية قصدت بها خدمة بلادى ، وأشهد الله أن الإنصاف كان رائدى فى كل كلمة كتبناها ، وهى أمانة المؤرخ ، يؤدبها لهذا الجيل والأجيال التالية . وبالله التوفيق  
المعادى فى الرابع من ديسمبر سنة ١٩٧٤      دكتور أحمد سلبى

## مقدمة الطبعة الثانية

باسم الله العلي العظيم أقدم الطبعة الثانية لكتايبى « حرب ٦٧ - ٧٣ دراسة مقارنة » بعد تحوير قليل فى عنوانه ليصبح :

### مهصر فى حربين : دراسة مقارنة

وقد سعدت بهذا الكتاب سعادة هائلة لأنه قام بدور كبير فى تصحيح أفكار الجماهير حول فترة من أهم فترات جيلنا ، وكان البعض يرى أن هذا الكتاب بجراسته صدر قبل أوانه ، ولكن الحس التاريخى هو الذى أكد لى أن أى تأخير فى نشر تلك المعلومات كان سيؤدّ تخطفاً عن المسيرة العلمية ، وتقصيراً فى أداء الواجب ، وكانت الطمأنينة تملأ نفسى بأن العصر الجديد عصر يحترم حقاً حرية الكلمة وحرية الرأى ، وأن الشعب الذى نعيش له والذى كان يعيش فى الظلام يقطع إلى أشعة من الضوء لتغير له تاريخه وحياته ، وهكذا أقيمت على إصداره دون تردد ، وصدقَ حدسى فى الجانبين ، فإن أحداً ممن يدهم السلطة لم يعترض على عملى ، وأقيمت الجماهير عليه إقبالا فاق كل تصوورى ، حتى لقد أصبح حديث الناس فى كل منزل ومندقى ، واسمته (٢)

الصحافة المصرية والعربية أروع استقبال، وتلقيت عنه الأسئلة والخطابات، كما قرأت صوراً من النقد وصوراً من التأييد .

واتضح لى أن هذا الكتاب ليس ككتبي السابقة أستريح عقب نشره ، وإنما هو كتاب يحتاج بعد نشره لمتابعة ومدارسة ، فأخذت أجيب عن الأسئلة التى انصلت به ، وأشكر أصحاب الخطابات التى تؤيد ، وأرد على النقد الذى نشر ، وكانت هذه الحركة إثراء للفكرة ، ودعماً لها ، مما جعل الطبعة الثانية منه أكثر وضوحاً وأشد عمقاً .

ويحذر بى أن أورد هنا دراسات موجزة عن بعض الملاحظات المهمة التى كانت مشار تساؤل ، والتى ربما لاتزال مشار تساؤل :

#### عنوانه الكتاب :

لم يكن عنوان هذا الكتاب سائماً عند عدد من القراء ، وكانت حجتهم فى ذلك أن العنوان طويل ، وأن به أرقاماً ، وأن من يقرأ العنوان يحس لأول وهلة أن الكتاب حديث عن الحرب ، وقد كُتِبَ الكثير عن الحروب وبخاصة بواسطة العسكريين .

وربما كانت هذه الاعتراضات سليمة عند النظرة السريعة ، ولكن وجهة نظرى التى أحرص عليها هى أن هذا العنوان واضح الدلالة لما

أردت أن أكتبه ، والمطابقة بين العنوان ومادة الكتاب شيء مهم جداً لدى الباحثين ، فالتقاعدة أن من يطلع على العنوان يدرك إجمالاً محتويات الكتاب ، لأن العنوان عبارة عن مؤشر يتحتم أن يكون واضحاً ، فهو كاللغة شارع أولافنة على مدخل وزارة أو كلمة تخبر عما جالداخل<sup>(١)</sup> . . . . وعنوان هذا الكتاب كان من هذا النوع ، إنه :

حرب ٦٧ - ٧٣

دراسة مقارنة لبيان أسباب الهزيمة ودعائم النصر

وذلك هو كل ما أردت وما دونت في الطبعة الأولى ، ومع هذا فإني أجريت في العنوان تحويراً قليلاً في الطبعة الثانية ، أرجو أن يحمله أكثريسراً وقبولاً ، وبما ساعدني على هذا التعديل ، ما لاحظته ولاحظه معي كثيرون من أن دراسة حرب ٦٧ و ٧٣ هي في الحق دراسة لتاريخ مصر كما سنرى بعد قليل ، وليست الدراسة مقصورة على المعارك الحربية .

دراسة الحروب :

من الأسئلة التي اتصلت بهذه الكتاب السؤال التالي :

لماذا اهتمت كل هذا الاهتمام بدراسة الحروب ؟

---

(١) اقرأ ما كتبه عن ذلك في كتابي « كيف تكتب بحثاً أو رسالة » .

والإجابة تتمثل في عدة نقاط :

أولاً - دراسة الحروب بوجه عام وحربى ١٩٦٧ و ١٩٧٣ بوجه خاص ترتبط ارتباطاً وثيقاً بدراسة الأمة كلها وأحوالها السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، وسنرى كل ذلك واضحاً فيما سنعرضه من دراسات .

ثانياً - تعتبر الحروب في التاريخ كبيرة الأهمية، لامن أجل دوراتها وأحداثها الخسب ، بل لأنها تسبقها انفجالات صارخة وتنتج عنها الحروب قلة الانفجالات ، وتتبعها تحولات كبيرة فهم - بنتائجها - قلة التحولات ، وإيضاحاً لذلك أقرر أن أنور السادات بكفاءة ومواهبه تولى رئاسة الجمهورية من سنة ١٩٧٠ ولكن التحولات الضخمة لم تبدأ إلا بعد انتصارات أكتوبر ، فالتحولات بدأت مع الانتصار ، كما ارتبط الانكماش فيما قبل بالهزائم .

ثالثاً - كانت الحروب موضع دراسات طويلة على صراعات التاريخ ، والذى يدرس سيرة سيدنا رسول الله بعد الهجرة يدرك أن دراسة الغزوات تستوعب كثيراً من الجهد وتغلى مساحة كبيرة من نشاط هذه الفترة ، ومثل هذا يقال عن معركة صفين التى وضع نصر بن مزاحم

كتابا عنها به حوالى ألف صفحة، ومثلها. كذلك موقعة اليرموك والولاعة والحروب الصليبية .

### الأسباب الحقيقية لأزماتنا الاقتصادية :

يرى البعض أن ما نعانى من أزمات اقتصادية سببه زيادة السكان . وأنا أعجب لهذا الاتجاه وبخاصة إذا صدر من مصرى ، فنحن فى مصر نوشك أن نعانى من نقص فى الأيدى العاملة ؛ فعال البناء ، وعمال ميكانيكا السيارات، وعمال الكهرباء ، والنجارون، أصبحوا من الندرة لدرجة تهدد أصحاب الأعمال . فأن زيادة السكان ؟

إذا قيل إن الزيادة فى الجامعات أو فى المسكن . قلنا إن ذلك سوء تخطيط تسأل عنه الحكومة .

وقد اندفع السكان من كل المن للخارج يعملون ويكدحون ويكسبون العملة الصعبة ، وما علينا إلا أن ننظم عملهم ، وألا ندع أحداً يستغاثهم ، وحينئذ يصبح السكان خيراً وثيراً لاعتباطهم .

ثم إننا نذكر الذين يقولون هذا بأن الأزمات الاقتصادية سببها آلاف الملايين من الجنهيات التى أنفقت على الحروب الخاسرة ، وعلى تثبيت عروش متهاوية ، أو محاربة نظم خارجية ، أو السرقات والتهرب ، ويوم تعرف هذه الأرقام سنثير الدهول والاشمزاز .

## مصادر هذا الكتاب :

مصادر هذا الكتاب مصادر أصيلة مباشرة أو كما يقول الغربيون ( First hand information ) فهي عبارة عن رؤيته كشاهد عيان ، أو عن سماعي سماعاً متواتراً من الثقات . ومن يعيد تقليب صفحات هذا الكتاب يتضح له ذلك تماماً :

- خطوط حرب يونيو وشهدها يومياً وشاهدها معي الملايين .  
- المؤتمر الذي عقده جمال عبد الناصر في ٢٨ مايو شاهدهه على الشاشة الصغيرة وشاهده معي ملايين الناس .

- الخامس الحزين عاصرته وعاصرت أحداثه وما به من آلام وضباع ، كما رأيت ورأى الناس معي كيف حوله أنور السادات إلى يوم بهيج حين حذده لإحادة فتوح القناة سنة ١٩٧٥ .

- طائرات العدو التي ضربت في عمق البلاد ضربت المعادى وحول المعادى حيث أعيش وضربت « أبو زعبل » في طريقى إلى قريب . . . . .

- بُصِلت من الجامعة مع من فصلوا من الأساتذة وحكم علينا بالبطالة والجوع ردحاً من الزمن ، وهنا أرد على شبهة قديميها البعض ، فأقرر :  
أولاً - أن فصلى من الجامعة كان مطالع ما حصلت عليه من نجاح مادي وأدبي .



وثانياً — أن هذه الدراسة موضوعية موثقة لا دخل للعواطف فيها .

— سمعت جمال عبد الناصر وهو يفخر بأنه قبض على ثلاثين ألفاً في نصف ساعة ، وسمعت بهاريق متواتر ما نزل بهؤلاء من ضرر .  
— الين ، وعلاقتنا بالدول العربية ، وادعاء الاشتراكية . . .  
واستغلال بيروت لسياسة عبد الناصر ، كلها حقائق ثابتة ، ذكرنا منها القليل ولا يزال هناك للكثير والكثير .

— إجراءات عملية ١٩٦٧ بكل جوانبها؛ من عدم الاستعداد الحقيقي للمعركة، ومن هزيمة جيشنا بدون معركة، ومن قرار الانسحاب المشؤم، ومن ضحاياها في الرجال والعقاد . . . كل ذلك أعلنه جمال عبد الناصر بنفسه وسمعته منه .

وإذا كان جيانا قد عايش هذه الأحداث أو قرأ عنها في الصحف فإن الأجيال القادمة لن تجد هذه الصحف ، ثم إن هناك فرقاً كبيراً بين الكتابة الصحفية التي قد تنبض بكتابة أخرى ، وبين الكتابة العلمية التي تخضع لقوانين محددة ، وهذه الكتابة العلمية قد تتفلس من الصحف ولا يمكن بها حماية اختبار دقيقة ، كما أنها تلاحظ الفرق بين الآراء الشخصية للصحفي من جانب وبين البحوث والأخبار المنشورة بالصحف

من جانب آخر ، ثم إن الوثائق والبحوث العلمية لا تفقد قيمتها إذا نشرت في الصحف ، فمثلا إذا نشرت الصحف أسباب الحكم في قضية كمشيش ، فإن ذلك لا يقلل من قيمة هذه الوثيقة الخطيرة ، وإذا نشر الأستاذ إبراهيم بغدادى وثيقة عما رآه وهو محافظ المنوفية عن أحداث هذه المحافظة فإن هذه الوثيقة لا تفقد قيمتها لأنها نشرت في الصحف ، وإذا نقل الأستاذ موسى صبرى إلى الصحافة ما دار بقاعة المحكمة عن عبد الحكيم عامر وأنباء الذين كانوا يحفرون أرض الحدائق لإخفاء الذهب وأوراق النقد الأجنبي يوم ٧ يونيو سنة ١٩٦٧ فإن نشر ذلك في الصحف لا يقلل من قيمة هذه الحادثة الشنيعة .

ومثل هذا يقل عن موظفى وزارة الخارجية الذين تاجروا فى العملة المصرية عقب إلغاء الورقة ذات الخمسين جنيها والورقة ذات المائة جنيها ، ويقال كذلك عن الأقوال التى أدلى بها المرحوم المشير أحمد اسماعيل عن أن الدفاع عن سيناء قبل معارك ١٩٦٧ كان قد ضعف بسبب سحب بعض قواتها المدربة تدريجاً عالياً إلى اليمن ، وأن التعاون بين سوريا ومصر لم يكن حقيقة ، وأن قرار الانسحاب كان مخاطرة ومجازفة غير محسوبة النتائج ضاعفت من حجم الخسائر . . . .

- ٢٥ -

وأطمئن القارئ من ناحية أخرى أنني اطلعت مباشرة على أكثر الوثائق التي ذكرتها .

وحول هذا الكتاب هناك أسئلة أرسلت لي في رسائل خاصة وأجبت عنها برسائل خاصة كذلك ، وأسئلة نشرت في بعض الصحف وأجبت عنها في مقالات بنفس الصحف ، وربما خطر ببالي أن أضيف هذه المقالات لهذه الطبعة ، ولستكن آثرت - بعد تفكير - أن اقتبس من هذه الردود كل جديد فيها لأضعه في مكانه من الكتاب ، وعلى هذا فالقارئ سيجد مزيدا من الدراسات من حين لآخر لتصبح نقاط البحث أكثر وضوحا وعمقا .

ولعل بذلك أكون قد قاربت الهدف الذي سعيت إليه ، وهو خدمة بلادي الحبيبة بكل الود وكل التقاني .  
وعلى الله قصد السبيل .

دكتور أحمد سليمي

المعادي في الثالث من يوليو سنة ١٩٧٥

## حقيقة الثورات

وتأثير ثورة ٢٣ يوليو على المؤرخ المصرى

ينحرف الحكم أحياناً في أى بلد من البلاد ، ويشهد ضغط الحاكم على المحكوم ، قهراً ثورة تزيل الحاكم الظالم وتأخذ السلطان من يده ، وعلى الثورة أن تسرع عقب ذلك فتعيد الحق إلى نصابه ؛ فإذا كان الحاكم الظالم ديكتاتوراً كان على الثورة أن تعيد للشعب ، وإذا كان إقطاعياً استبد بالثراء كان على الثورة أن تعيد الأموال لأصحابها ، وتستقر الأمور عقب ذلك التصحيح لتسير الحياة في مسارها الطبيعي وتنتهى مهمة الثورة .

أما إذا بقيت الثورة وفرضت نفسها على الجماهير فإنها حينئذ تسلب سلطان الشعب وتستبد بالأمر دون تفويض من الناس ، وكأنا بذلك تدعو لقيام ثورات ضدها ، كما قامت هي ضد المنحرفين السابقين .

وثورة ٢٣ يوليو كانت ضرورية في وقتها ؛ عملت لتخلص مصر من ملكٍ انحرف وحاشية ضلّت ، وكان لها برنامج طموح صوّق له الشعب ، وكان من الطبيعي أن تزيل كل العقبات التي تقف دون تحقيق هذا البرنامج كالاستعمار والملكية والإقطاع ، ثم أن تترك

استكمال التفاصيل لمن يمثلون الشعب تمثيلاً حقيقياً ، ويعود الجيش إلى مسكناته ، يرقب الأمور عن كثب .

ذلك هو الوضع الطبيعي للثورات من الناحية العلمية ، ولم يكن هذا الوضع بعيداً عن فكر قادة الثورة ، يؤكد ذلك ما قاله محمد حسنين هيكل الذى يسميه فؤاد مطر « كبير الطهاة فى مطبخ السياسة المصرية فى عصر عبد الناصر »<sup>(١)</sup> فإنه يروى أن بعض القانونيين أفتوا بأن الثورة انتهت يوم ٢٣ يوليو ، وأن دورها انتهى بالتغير الذى أحدثته ، وأن محمد نجيب بناء على ذلك أخذ يستبعد فكرة ثورة ، وأصدر تعليمات إلى

---

(١) كتاب « بصراحة عن عبد الناصر » ص ١٠ وفى هذا الكتاب يقرر محمد حسنين هيكل ( ص ١٦٤ ) أنه كان يكتب خطاب عبد الناصر ، ورغبة فى توفير وقت القارئ ، وجهده أقرر له أنه اتضح لى من قراءة هذا الكتاب أنه ليس إلا كلاماً حدى الخطاب التى كتبها هيكل ليلقيها عبد الناصر ، ولكن لما سأل هذا قد مات فإن مؤلف هذه الخطبة طبعها فى كتاب ، وقد اتجه هيكل فى تأليف الكتب عن كثير من أحداث التاريخ التى عاصرها واشترك فيها ، والذى يقرأ هيكل يدرك بوضوح أن الرجل لا يتحيز للحق تماماً ، وأنه يدافع عن نفسه كأنه يحس بأن العهد سيحكم يوماً ، وهو يعد دفاعه من الآن ، وقد وصف الرئيس أنور السادات<sup>(١)</sup> ما قاله هيكل بأنه تزوير للتاريخ ، وعنت صحبة الأهرام باليوم على كثير مما كتبه هيكل رئيس تحريرها السابق وكبير الطهاة الذى طامطها أطمعها أودت بحياة طامعها .

الصحف باستعمال كلمة «نهضة»<sup>(١)</sup> ويقرر هيكل كذلك أن رجال الثورة استدعوا مصطفى النحاس من أوروبا بصفته زعيم الأغلبية ، وأن مقابلات تمت بين عبد الناصر وبينه ، وبين عبد الناصر وفؤاد سراج الدين وكتبت هيكل هي د وحاول عبد الناصر إقناع فؤاد سراج الدين بأنه مستعد لإعطائهم الحكم على شرط أن يوافقوا على تطبيق الإصلاح الزراعي<sup>(٢)</sup> ، . وهذا يوضح لنا بما لا يدع مجالاً للشك طبيعة الثورات ، وأنها تنتهى عقب تحقيق أهدافها الكبرى ، ولكن جمال عبد الناصر رأى أن يبقى فى الحكم ليحقق برنامجاً كله ، وقد كان معارضه على مصطفى النحاس وعلى فؤاد سراج الدين بدافع الوضع الصحيح للثورات ، ولكنه كان عرضاً مشروطاً بقبول كان يعرف سافماً أن زعيم الأغلبية لا يمكن أن يقبلها ، فقبوله لها خضوع لسلطة غير سلطة الشعب وذلك مالا يرتضيه زعيم الشعب ، وبناء على ذلك بقى جمال عبد الناصر فى الحكم فترة طويلة حتى يقيم جيشاً قوياً ويحقق العدالة الاجتماعية . . .

وتنفيذاً لهذا الوضع أصبح قائد الثورة رئيساً للدولة ، وتكوّنت له بطبيعة الحال حاشية وأعوان ، لهم نفوذ وساطان ، وظل اسم الثورة قائماً فترة طويلة كان تأثيرها شديداً الواقع على الناس بوجه عام ، وعلى المشتغلين بتدوين التاريخ بوجه خاص .

(١) ص ٤٣ . (٢) ص ٤٦ و ٥٠ .

وكنت - كؤرخ - أعانى هذا الإحساس عندما وصلت فى كتابة تاريخ مصر إلى الفترة التى أعاصرها ، إذ كانت الثورة تمدُّ أطنابها حولي ، ومن أجل ذلك لم أستطع كتابة تاريخ هذه الفترة ، واكتفيت بأن قلتُ عن تاريخ مصر من مطلع الثورة حتى سنة ١٩٧١ ما يلى (١) :

« المؤرخ المعاصر إذا كان مخلصاً دقيقاً من جانب ، وكامل الحرية من جانب آخر ، يُعتبر أهم مصدر لتاريخ أحداث عصره ، وهناك تاريخ يدوِّنه المؤرخ من الرواية أو من المراجع ، ولكنه إذا دوّن من الرؤية والمشاهدة كان كلامه أدق وأشمل ، وأذكر أننى كنت أقتبس من كتاب العبر لابن خلدون عن تاريخ « مالى » وسرت مع هذا المؤلف حتى تاريخ عصره ، وحينئذ كنت شديد الغبطة ، وأنا أنقل عن المؤرخ المعاصر ، وأحسست كأنى أرى الأحداث بنفسى .

« ومع هذا فإنى كؤرخ معاصر لا أستطيع أن أقوم بدورى فى كتابة تاريخ بلادى ، لأن أمامى عقبتين لا أستطيع تخطيها :

العقبة الأولى - قلة الوثائق التى تنير لى السبيل ، فهناك أحداث لم تنشر وثائق عنها حتى الآن ، ومن هذه الأحداث حرب الين ، والهزيمة الساحقة

---

(١) انظر الجزء الخامس من « موسوعة التاريخ الإسلامى » للمؤلف .

في معركة ١٩٦٧، والحامكات التي تلت هذه الحرب . . . . . وقلة الوثائق في هذه الأحداث ونظائرها ، لا يلقى الضوء على المشكلات ، فلا يتيح الفرصة لدراستها وإبداء الرأي فيها بدقة .

« والعقبة الثانية - أننى لا أعاصر فترة هادئة من التاريخ ، ولكنى أعاصر ثورة لها منهاجها تجاه الصحافة والبرلمان ، تجاه الكلمة المقولة ، والكلمة المكتوبة ، وهذا المنهج لا يتيح الحرية الكاملة للباحث .

« من أجل هذا لا أستطيع أن أدون تاريخ هذه الحقبة ، ا هـ .  
ثم ظهرت بعد ذلك وثائق تعين على البحث ، وهب نسيم من الحرية على بلادى ، وتراخت أو أرجو أن تكون فُكَّت الأغلال عن الأفلام ، فسكان على أن أنزل الميدان وبخاصة أننى كتبت تاريخ العالم الإسلامى كله من مطلع الإسلام حتى الآن ، فكيف لا أكتب تاريخ بلادى في فترة عشتها ورأيت فيها الأحداث ؟ .

وقد هزّت أحوال الماضى والحاضر كل الذين اتخذوا الفكر والقلم مهنة لهم ، وكتب كل منهم متأثراً باتجاهه ، فصور الأستاذ إبراهيم عبده أحاسيسه في كتابه « رسائل من نقاستان » لجاء هذا الكتاب عملاً يساقو تخصص الكاتب الذى كان أستاذاً للصحافة بجامعة القاهرة .



وكتب الروائي الكبير الأستاذ نجيب محفوظ رواية «الكرنك» ،  
فأبرز في أحداث هذه الرواية بعض مشاهداته من أحداث العصر .  
وأخرج الأستاذ توفيق الحكيم « عودة الوعي » فحمله مشاهدته  
ومشاعره دون الاستناد إلى مرجع آخر كما قال في مقدمته .

وأنا أيضاً أكتب عن الماضي والحاضر ولكن باتجاهي الخاص  
كمؤرخ ، فأعرض الوثائق والأحداث ، وأمهّد لها ، وأعلق عليها ،  
فأكون بذلك نمطاً جديداً وإن اتفقتُ في الهدف مع الآخرين .

فاللهم أسألك العون والتوفيق والهداية حتى نذكر كلمة الحق  
ليكون التاريخ بحق شعاعاً من الماضي ينير الحاضر والمستقبل ،  
وايدرك حاكم اليوم وحاكم الغد أن كل شيء سيظهر يوماً ، وأن كلمة  
الحق ستعلو ، وأن خرس الألسنة لن يدوم ، وتكبير الناس سينتصر عليه  
الناس ، وسيصبح الظالم يوماً بدون سلطان يحميه ، ولاسان يدافع عنه ،  
في حين ينطق المظالم يدون التاريخ ويرفع صوته بقوله تعالى « والله  
ما في السموات وما في الأرض ليحزى الذين أساءوا بما عملوا ، ويحزى  
الذين أحسنوا بالحسنى » .

ولست أنكر أن هناك من يتردد في الكتابة بعد أن هب نسيم  
الحرية ، فالإنسان الذي عاش في الأصفاد والأغلال حوالى عشرين

عاماً لا يستطيع أن ينطلق في سير طبيعي إذا تحطمت عنه الأصفاذ والأغلال ، و يغلب أن يظل بعد تحطيمها قصير الخطا ، لأن رجليه - بعد أن أثقلها القيد فترة طويلة - ان تستطيعا الانطلاق بسرعة ، ولأن نفسه التي أقرعها الأمر ، ان تستطيع بسهولة أن تتخلص من آثاره ، فـكأنه بذلك يحرم نفسه من الحرية التي مُنِحَها .

وإذا استطاع الكاتب أن يتخلص من تأثير الأصفاذ فهل يستطيع القارئ أو السامع أن يتخلص كذلك من تأثيرها ؟ لقد عاش طيلة عشرين عاماً لا تقع عينه ولا تسمع أذنه إلاّ نمطاً خاصاً من الكلمات ، فإذا يكون ردّ الفعل عليه إذا سمع كلاماً من نوع جديد ؟

على أن هناك بعض المتفائلين الذين يرون أن الكاتب من جانب ، والقارئ أو السامع من جانب آخر سيفتتحان صدورهما بسرعة لتسييم الحرية بعد هذا السكبت الطويل ، وهذا هو اتجاهي لا يحكمه إلا صالح الدين والوطن ، وأرجو أن يكون كذلك اتجاه قارئ ومريدي .

فباسم الله نبدأ ، ومنه نرجو العون .

# حرب ١٩٦٧

## أحداثها - نتائج الزعمية فيها - الأسباب الحقيقية للزعمية



البداية بنتائج الهزيمة أو أسبابها ؟

هل نبدأ حديثنا عن هزيمة حرب ١٩٦٧ بالكلام عن أسباب الهزيمة ؟ وننتدرج في ذلك سبباً بعد سبب ويوماً بعد يوم حتى نصل إلى المعركة فنصفها ونصف الهزيمة فيها ؟

أو نتكلم عن دوران المعركة وعن الهزيمة فيها ثم نبحث عن أسباب الهزيمة ؟

وبعبارة أسهل : هل نبدأ بالحديث عن أسباب الهزيمة أو عن أحداث الهزيمة ؟

اتجاهان يعرضان للباحث ، ويكثر أن يتجه المؤلف إلى دراسة الأسباب قبل دراسة النتائج ، فذلك هو الطريق الطبيعي في البحث ، ولكننا في هزيمة ١٩٦٧ نجدنا في وضع مختلف ، فأسباب الهزيمة كانت خافية خلف أبواب الدعاية والادعاء ؛ وكانت هناك زجاجة من القيادة المصرية ، وصرخات مدوية توحى بأن النصر مؤكد في يد القادة ، وتعمل الفشل بعيد التوقع ، ومن أجل هذا أراني أميل إلى ضرورة عرض دوران المعركة ونتائجها ، وتصوير الهزيمة فيها ، ثم بعد ذلك نعود إلى الوراء ، نحقق ، ونبتدأ ، لنكشف الستار عن الأسباب

— ٣٦ —

الحقيقية التي دعت لهذه المزيمة الشنيعة التي مسّت كرامتنا في الصميم .  
وهذا الاتجاه هو الذي اتبعته في الجزء الثالث من موضوعه التاريخ  
الإسلامي عند الكلام عن نكبة البرامكة ، فقد كانت النكبة غير  
متوقعة ، وكان الرشيد يمضي مع جعفر البرمكي أمسية من أمسياتهما  
الباسمة ، وافتراقا بعد شطار من الليل ، وما إن وصل جعفر إلى  
قصره حتى افتحمة عليه مسرور جلاد الرشيد يطلب رأسه ، وتمت النكبة .  
وكانت خطتي في تصوير نكبة البرامكة أن وصفتها ، ووصفت  
أحداثها ، ثم رحت أتلمس الأسباب التي دعت إليها .  
ونحن أمام حادث مماثل ، فلنبدا في تصوير أحداث الحرب ونتائجها ،  
ثم نعود بعد ذلك لتعرف على أسبابها الحقيقية ، وعلى الجذور التي غرست  
المزيمة قبل ذلك بعدة سنوات .

## يوميات حرب يونيو ١٩٦٧

في شهر مايو سنة ١٩٦٧ وخلال الأيام التالية له من شهر يونيو  
الحزين ، حدثت تلك الكارثة الكبرى ، وتلك المزيمة القاسية ،  
التي لا تزال حديث الناس ، وفي يوميات محدّدة يمكن أن نستعرض  
أبرز هذه الأحداث :

— ٣٧ —

٧ — إبريل قامت إسرائيل بغارة على سوريا انتقاماً لما أنزلها بها  
الفدائيون العرب القادمون من جهة الشمال .

— تحرك جمال عبد الناصر حسين عقب ذلك ، كما أنما كان  
ينتظر ذلك العمل الأحق من إسرائيل ليقتضى عليها قضاء تاماً ،  
كما فهم من تصرفاته وتهريباته آنذاك .

— ١٤ مايو أصدر جمال عبد الناصر أوامره لقوات مصر  
أن تزحف لسيناء ، وفي اليوم التالي طلب من السكرتير العام  
للأمم المتحدة إنهاء عمل قوات الطوارئ الدولية في الأرض المصرية ،  
تلك القوات التي اتخذت أمكنتها منذ سنة ١٩٥٦ ، ولم يكن أكثر  
المصريين يعرفون أن قوات دولية تعيش على أرضهم ، وقد استجاب  
السكرتير العام للأمم المتحدة لهذا الطلب ، وسحب قوات الطوارئ  
الدولية ، إذ أن قبول الدولة المضيفة شرط لبقاء هذه القوات .

— وما إن سحبت هذه القوات حتى أخذت القوات المصرية تحتل  
مواقعها ومن ضمنها موقع شرم الشيخ الذي يشرف على مضيق  
تيران ويسيطر على الملاحة في خليج العقبة ، وتنازمت الأمور تازماً  
شديداً .

— ٢٠ مايو أعلن يوثانات السكرتير العام للأمم المتحدة أنه سيحضر للقاهرة لمحاولة الوصول بالأزمة إلى تسوية .

— ٢٣ مايو قطع جمال عبد الناصر خيط الأمل ، ولم ينتظر وصول السكرتير العام ، وأصدر قراراً بإغلاق خليج العقبة أمام الملاحة الإسرائيلية ، وأمام البضائع الإستراتيجية الموجهة إلى إسرائيل ، حتى لو كانت على ظهر بواخر غير إسرائيلية ، وأعلن أن ذلك عودة لما كانت عليه الأمور قبل عدوان ١٩٥٦ .

— أحدثت هذه التصرفات هلعاً في العالم ، وتمّ اجتماع عاجل بين ويلسون رئيس وزراء بريطانيا وجونسون رئيس الولايات المتحدة الأمريكية ، واتضح من الاجتماع إصرارهما على مناصرة إسرائيل علناً ، وفتح خليج العقبة ولو بالقوة أمام الملاحة الإسرائيلية ، وقد علق جمال عبد الناصر على موقف أمريكا وبريطانيا بقوله : أمريكا هي إسرائيل ، وإسرائيل هي أمريكا ، وبريطانيا تابعة لأمريكا .

وفي تعليق موجز على هذه النقطة نقرر الدهشة لمن يدرك هذه الحقيقة ثم يتصدى لصراعٍ ضد هذه الدول ، وليس من يفعل ذلك إلا كن يرى أن من الشجاعة أن يتصدى لأسدٍ هصور فيفتك به الأسد .  
ونذكر القارئ بأن الاتحاد السوفيتي بمكانته وقوته وجبروته



تراجع أمام أمريكا في قضية الصواريخ في كوبا ، ولم يقبل مواجهة أمريكا ، وفكّ الصواريخ بإشراف أمريكا وعاد بها أدراجها ، ولكن جمال عبد الناصر لم يشأ أن يتراجع ولم يعط فرصة للوساطة مما جعلنا نظن أن في يده عصا سحرية يحقق بها ما يشاء دون تردد أو خوف .

- ٢٤ مايو وصل يوثانت إلى القاهرة ، والنقى بجمال عبد الناصر التقاء طويلا مساء ذلك اليوم ، حيث شرح الرئيس للسكرتير العام أسباب ما قام به من تصرف ، ولكن اللقاء لم يكن مثمراً لأن الرئيس لم يدع فرصة لتحقيق حل وسط .

نم أذاع يوثانت تقريره ، وهو تقرير عادل إلى حد كبير ، وردّ بوضوح على الذين اعتقدوا أنه تسرع في الاستجابة لمصر عندما سحب قوة العاوارى ، وأعاد جذور الخلاف إلى مدى أبعد من سحب قوة العاوارى وقفل خليج العقبة ، فتحدث عن أهمال التخريب وحقوق الزراعة في المناطق المتنازع عليها في المنطقة المنزوعة السلاح بين سوريا وإسرائيل ، وذكر أن جذور الخلاف أبعد جداً من هذا المدى أيضاً ، إنها ترجع إلى قيام إسرائيل ، وطرد العرب ، وعدم الاستماع لقرارات الأمم المتحدة الخاصة بعودة اللاجئين ، وكثرة الاعتداءات الإسرائيلية على كل جيرانها العرب .

## ٢٨ مايو والمؤتمر الصحفي :

- في هذا اليوم عقد الرئيس جمال عبد الناصر مؤتمراً صحفياً حضره عدد كبير من الصحفيين من مختلف بقاع العالم ، وقد استقبله الرئيس ببيان تمهيدى وضح فيه أن المشكلة التي يعيشها العالم ليست مشكلة مضايق تيران ، وليست مشكلة سحب قوات الطوارئ الدولية ، فهذه عوارض طارئة لمشكلة أكبر وأخطر ، هي مشكلة العدوان الذي وقع ولا يزال واقفاً على وطن من أوطان شعوب الأمة العربية في فلسطين ، وما يعنيه ذلك من تهديد قائم باستمرار ضد أوطانها جميعاً ، وذكر الرئيس أن الاستعمار خلق إسرائيل ودعمها وشجع عدوانها حتى ضد مبادئ وقرارات الأمم المتحدة ، واستعملها أداة للعدوان في عدة مناسبات ، وأضاف أنه الآن مستعد لاسترداد حقوق العرب .

وبعد البيان التمهيدى أجاب الرئيس على أسئلة الصحفيين وكانت إجاباته مثيرة وبعيدة عن الدبلوماسية ، وفيما يلي خلاصتها :

- إذا قامت حرب بين إسرائيل وحدها وبيننا وحدنا فإنها يمكن أن تكون مقصورة على الشرق الأوسط وحده .

- الدول الكبرى لا تقرر لنا مصيرنا ولست تحت وصاية أحد .

— ٤١ —

— إن أمريكا انحازت انحيازاً كاملاً لإسرائيل ضد العرب ،  
ولقد قرأت اليوم تصريح نائب الرئيس الأمريكي الذي يتحدث فيه عن  
إسرائيل « كمنارة للعالم » ، وكل ذلك في سبيل الأصوات وعلى حساب  
المبادئ .

— كنا نتصور يوماً أن أمريكا سوف تكون سنداً لحركات  
التحرير ، ولكنها تحولت إلى قوة راغبة في السيطرة والحكم ، وتصور  
أنها تستطيع أن تخط أقدار الشعوب ، وهي تقف ضد الأمة العربية مائة  
في المائة .

— إن الضجة التي تثار الآن حول سحب قوات الطوارئ  
وإغلاق خليج العقبة أمام إسرائيل ضجة مصطنعة تثيرها الولايات المتحدة  
الأمريكية تشجيعاً ودعماً للعدوان الإسرائيلي . . . وهذه الأشياء كلها  
من آثار مؤامرة السويس صحتها وأعدائها إلى وضعها السليم ونحن  
نستطيع ذلك اليوم .

— إن مضيق تيران عرضُ ثلاثة أميال أو أربعة ، والقسم الصالح  
للسلاح في عرضه ميل واحد ، وممر على جانبي المضيق ( تيران —  
شرم الشيخ ) فيأهه مصرية مائة في المائة .

— ٤٢ —

— لا يمكن أن يبقى العدوان الصهيوني على أرضنا ، لقد ذه  
الاستعمار الصليبي ، ولم يبق منه إلا أطلال أثرية يزورها السواح .

— إننا لا نقيم حساباتنا على احتمال التدخل الأمريكي عسكرياً  
وإذا وقع ذلك فإننا سنقاوم وندافع عن حقوقنا وسيادتنا ، ونحن لانخ  
جنرالات أمريكا ، ولا نخضع لتهديد أمريكا ، لأن ذلك معناه التض  
عن حقوقنا .

— نحن لانريد أن تحدث مواجهة بين الاتحاد السوفيتي والولايات  
المتحدة الأمريكية ، فإن مثل هذه المواجهة سوف تكون حرباً نوو  
وذلك أمر لا نتصوره ولا نتمناه .

وتعليق خفيف هنا يتحتم علينا أن نثبتة هو أن هذا الكلام يمت  
أن يصدر عن إنسان يملك إحداث هذه المواجهة ، فإذا لم يملك ذل  
فإن هذا الكلام يصبح لاملول له ، وقد هاجمتنا إسرائيل وأيد  
أمريكا ولم يتحرك الاتحاد السوفيتي .

— نحن متأثرون من موقف كندا وموقف رئيس وزراء  
الذي حصل على جائزة نوبل للسلام ، وهو الآن يؤيد العدوان ويتبع  
ضدنا ويتواطأ مع السياسة الأمريكية .

— ٤٣ —

— إذا كانت الحرب مع إسرائيل وحدها فسوف تظل قناة السويس مفتوحة ؛ وأما إذا كانت الحرب مع غير إسرائيل فلن يستطعم المعتدون أن يمر وامن قناة السويس .

— لا أوافق على تدمير المصالح والمنشآت الأمريكية بالبلاد العربية في حالة العدوان ، واقدرحبت باقتراح وزير خارجية الكويت الذى أكد فيه أن الكويت سوف توقف تدفق البترول إذا حدث شيء ، ونحن فى انتظار موقف السعودية ، وعلى أية حال فإن أى بلد عربى تتأخر حكومته عن أداء دورها فإن المسؤولية تنقل إلى الشعب فتتصرف جماهيره بوحى ضميرها القومى .

وهنا أيضاً مكان لتعاليق ضرورى هو : هل كان عهد الناصر يملك تدمير المصالح والمنشآت الأمريكية بالبلاد العربية ؟

وهل كانت الشعوب العربية تتخطى حكامها لتأمر بأمره ؟  
واليس فى هذا الكلام مايفيد إثارة الشعوب العربية ضد حكامها ؟  
وبعد ذلك سئل جمال عبدالناصر عما إذا كانت صحته تسمح له خوض معركة جديدة بالإضافة إلى ماعاناه من معارك ، فأجاب بأنه يستطيع ذلك ، وأنه ليس « خيرع » مثل إيدن رئيس وزراء بريطانيا أيام العدوان الثلاثى الذى لم يحتمل نتيجة الحرب التى أعلنها .

وسئل عما إذا كان الاقتصاد المصري يحتمل الصمود لمحنة ؟  
 فأجاب : إن اقتصادنا متين ، والمصحفون الأجانب يمكن أن يشاهدوا  
 آثار ذلك في حياتنا اليومية . وقال : ألا يأكل هؤلاء الكهاب والسكفة  
 في بلادنا ؟

— في يوم ٢٩ مايو بدأت جلسات مجلس الأمن بعد تقرير أوثانت ،  
 وقد طلبت مصر من المجلس ألا يقصر بحثه على مضيق تيران ، وأن  
 يبحث المشكلات الأخرى حول فلسطين وأن يبحث كذلك اعتداءات  
 إسرائيل المتعددة .

— في يوم ٣٠ مايو حضر الملك حسين ملك المملكة الأردنية الهاشمية  
 إلى القاهرة ، ووقع مع الرئيس جمال عبد الناصر اتفاقية للدفاع المشترك .  
 — في يوم ٤ يونيو انضمت جمهورية العراق لاتفاقية الدفاع  
 المشترك بين الجمهورية العربية المتحدة والأردن .

### مشاعر الناس حتى الرابع من يونيو :

وقبل أن أصل إلى الخامس من يونيو لابد أن أتف وقفة أصور فيها  
 مشاعري ومشاعر الناس حتى الرابع من هذا الشهر .  
 والحق أن وسائل الإعلام هونت علينا كل شيء ، وكان تأثيرها بتجاهاتها

شديداً ، حتى أننا أحسنا أن جمال عبد الناصر في يده أقدار الأرض ، فقد استهان بحجرات أمريكا ، وبقوة بريطانيا ، وسخر من كندا ، فلا بد أنه واثق من خطته واثق من قوته ، وكانت « تل أبيب » على كل لسان كهدف يسعى له الثأرون ، ويلتقى فيه المناضلون ، وقد أطمعنا في ذلك أن الرئيس رجل عسكري ومعه نائبه ومشيره وهو عسكري كذلك ؛ وكانت القوة المصرية تُستعرض في المناسبات فيمتلئ الجو بأزيز الطائرات وجلبة الدبابات ، وكان قادتنا يكررون أننا نملك الصواريخ ، وأن لدينا أعظم قوة ضاربة في الشرق .

وحق أولئك الذين مسهم الضر من حكم عبد الناصر صفعوا له قبل الخامس من يونيو ، فإذا كان عبد الناصر سيئاً لنا من إسرائيل ، وسيئاً جبروت إسرائيل ، فإن كل خطيئة له تُغفر ، وكل ذلة تنسى .

وأشهد لقد رأيت الشباب يتهافون على السفر إلى سيناء ليكون لهم شرف الزحف إلى تل أبيب ، ورأيت السكحول والشهوخ وقد تجدد فيهم الشباب ، وراحوا يصفقون للرجل الذي بعثته الأقدار ليقود نضال العرب ، وارتبط في أذهان المتقنين اسم الناصر صلاح الدين باسم الناصر الجديد ، ولم يكن الشعب وحده هو الذي خُدع بالضجيج ووسائل الإعلام ، بل إن كثيراً من الدول وقعت في هذه الهوة

كذلك ، فلم يكن الملك حسين ليغامر بدولته وجيشه لولا أنه خُذع في قوتنا الضاربة كما خُذعت الجاهير .

### الخامس الحزين والمعركة الخاسرة :

وصرت الأيام قبل الخامس من يونيو ونحن في فرح وبهجة وأمل عميق ، ليطلع علينا يوم الخامس الحزن بتحول سرير ، ففي صبيحة ذلك اليوم ، استيقظ الناس على أنباء ببدء الحرب ، وكانت إسرائيل قد قامت في الصباح الباكر بهجوم سريع بالطائرات ، واتخذت المطارات المصرية هدفاً لها ، ويقال إن رجال الطيران كانوا في حفل راقص مساء هذا اليوم امتد بهم حتى خيوط الفجر ، فلما أووا للفرش انطلقت إسرائيل فدمرت المطارات والطائرات وهي رابضة في أمكنتها ، وقد تم ذلك في سرعة مذهشة ، وكان نذير سوء ترك البلاد تحت رحمة العدو .

وعندما تعطل سلاح الطيران المصري أصبح الزحف الإسرائيلي على مصر آمناً فاجتاحت جيوش العدو سيناء ، وكان من الممكن أن تدور معارك رهيبة بين الجيش المصري بسيناء وبين المهاجمين ، ومن المعروف أن قوة الطيران تضعف في حال الاشتباك ، ولكن جمال عبد الناصر لم يكلف جيش إسرائيل مثونة الاشتباك ونتائجه ، إذ



أصدر أمراً لجيوشنا في سيناء بالانسحاب ، فسكان ذلك فرصة انتهزها العدو ، فراح يضرب المنسحبين دون رحمة ، وعلى هذا انتهزت الجبهة المصرية في سرعة عجيبة وحُصِبت تلك هزيمة على جيشنا مع أن هذا الجيش لم يدخل معركة حقيقية ولم يقاتل العدو في صراع ، ولكنه كان ضحية القيادة التي جازتها التوفيق تماماً ، وقد قال موسى ديان تعليقا على النصر الذي أحرزته دون قتال : إن ما حققناه من نصر كان أكثر بكثير مما تمنيناه ، ولو أن أكبر أعداء مصر قد وضع تخطيطاً لسحق جيش مصر ما استطاع أن يحقق ما حققته سياسة جمال عبد الناصر .

ويتساءل الناس : هل كان زحفنا إلى سيناء تخطيطاً مدروساً أو كان مجرد مظاهره ؟

إن تصرف جمال عبد الناصر عقب تأميم القناة في سنة ١٩٥٦ يشبه تصرفه في مايو ١٩٦٧ ، فكلاهما اندفاع بدون خطة ودفْعُ للاجنود والمعدات بدون نظام ، وبشكل يسميه الأستاذ توفيق الحكيم « التهويش <sup>(١)</sup> » وفي كلا الحالتين لم يُنْجِز التهويش شيئاً ،

---

(١) عودة الوعى من . . .

وأسرع جمال عبد الناصر يصدر أوامره بالانسحاب الجيش ، ولكن  
الانسحاب سنة ١٩٥٦ حماء اتفاق الاتحاد السوفيتي وأمريكا ضد المعتدين ،  
فسرعان ما صدرت أوامر القوتين الكبريتين لانجلترا وفرنسا  
وإسرائيل بالانسحاب العاجل ، واستسلمت القوى المعتدية أمام صرخة  
القوتين الكبريتين ، وما إن انسحب المعتدون تحت ضغط أمريكا  
وروسيا حتى انطلقت أبواق الدعاية عندنا تهتف بانتصار مزعوم  
حققناه ، ويبدو أن قادتنا وقموا في شبكة الخديعة التي نصبوها للجماهير  
فاعتقدوا فعلا أنهم انتصروا ، وحاولوا تكرار التهويش سنة ١٩٦٧ .  
ولكن الحال هنا كان مختلفاً ، فإن ستيرية جمال عبد الناصر بأمريكا  
وجنرالات أمريكا جعل هذه الدولة تهادى في تأييد إسرائيل ، وبالتالي  
يطول بقاء إسرائيل في بلادنا الحبيبة .

لقد كان قرار عبد الناصر بالانسحاب بمثابة قرار بالهزيمة ، وب تسليم  
الأسلحة الضخمة إلى العدو ، وبسبب الزحف بدون نظام والانسحاب  
بدون نظام ضاعت أسلحتنا وسقط رجالنا بعامل الجوع والجهد والعطش ،  
كما سقطوا برشاش العدو والمواد الحارقة التي ألقتها العدو على المنسحبين  
والعائدين .

والمعجيب أن المزايم في سيناء كانت تقم ، وإذاعات مصر سادرة في ضلالها، فقد كانت هذه في جانب وميادين القتل في جانب آخر، كانت القوة المصرية تنهار بينما تضيع الإذاعة أننا أسقطنا المئات من طائرات إسرائيل، وأن انتصارنا حق لا شك فيه .

ويقولون عن هذه الحرب إنها حرب الأيام الستة، والواقع أن الجبهة المصرية انهارت في ساعات ، وسرعان ما احتل العدو سيناء وغزة ، ثم راح بعد ذلك يزحف على الضفة الغربية للأردن فاستولى عليها ، كما استولى على مرتفعات الجولان جنوبي سوريا ، وكان انهيار مصر من أهم ما قضى على جبهة الأردن والجولان .

### صمدى الهزيمة :

وقد وقفت الدول العربية وقفة موحدة أمام هذه النتيجة المريرة ، فقد أصدرت كل الدول العربية المنتجة للبتترول قرارات بوقف ضخ البترول ، ووقف تصديره إلى أمريكا وبريطانيا ، وقطعت أكثر الدول العربية علاقاتها مع أمريكا وبريطانيا ، وتعطلت قناة السويس ، وقررت حكومة السودان الدخول في معاهدة للدفاع المشترك مع مصر ، وأوقفت كل المطارات والموانئ العربية في وجه وسائل المواصلات الأمريكية والبريطانية .

— ٥٠ —

وفي أثناء المعركة قرر مجلس الأمن وقف الحرب ، ولسكن المعركة كانت تُحدّد في الميدان ، وقد أعلنت أكثر الدول العربية وإسرائيل قبولها لهذا القرار ، ولسكن إسرائيل ظلت تعتدى وتزحف ، ولم يتوقف عدوانها حتى يوم السبت العاشر من يونيو حين تم لها احتلال المناطق التي أشرفنا إليها .

وفي ٢٢ نوفمبر سنة ١٩٦٧ اتخذ مجلس الأمن قراراً بضرورة انسحاب إسرائيل إلى حدود الرابع من يونيو ، ولسكن إسرائيل لم تنفذ هذا القرار حتى كتابة هذه السطور .

لقد كانت الدول العربية تتطلع إلى انتصار أكيد ، ولذلك كانت الهزيمة قاسية إلى أبغ حدود القسوة وزاد من قسوتها هذا الانهيار السريع الذي أصابنا ، فنزلت علينا الضربات دون أن نقاوم بطريق أو بآخر ، حتى أخذ العالم في الشرق والغرب يعلن - كما ذكر ذلك الرئيس أنور السادات بعد ذلك - أننا شعب غير مقاتل .

**جمهورية ١٠ يونيو ١٩٦٧**

وفي هذه الساعات الحالكّة استقال المشير عبد الحكيم عامر المسئول عن القوات المسلحة ، ثم أعلن جمال عبد الناصر مساء الجمعة

التاسع من يونيو صورةً لنتائج المعركة ، وتلمس عبد الناصر الوسائل للدفاع عن هزيمته ، فأعلن أنه كان ينتظر أعداءه من الشرق فجاءوه من الغرب ، وعلق الزعيم الحبيب بورقيبة على هذا التعليل بقوله : الزعيم الذى يقول إنه كان ينتظر أعداءه من الشرق ، فإذا بهم يمحيطون من الغرب لا يصح أن يكون زعيماً ، ولا يصح أن يبقى فى مكانه لحظة واحدة (١) .

وختم عبد الناصر حديثه بأن أعلن قراره بأن يتخلى عن السلطة .  
ولكن سيارات نقل كانت قد أعدت ليركبها بعض العمال من المصانع الحكومية وبعض الفلاحين من أتباع الاتحاد الاشتراكي ، وأخذت هذه اللوريات تطوف شوارع القاهرة فى التاسع والعاشر من يونيو لتزعى بتمسكها بالرئيس المنهزم المكمل الشوط ١١١

وتعبير « يكمل الشوط » تعبیر خذاع لأن عبد الناصر فى الحق لم يسر فى الشوط خطوة ، وإنما تراجع بالجيش والبلاط أشواطاً وأشواطاً كما سئى ، ولكن أبواقه كانت دائماً تحاول أن تجعل الباطل حقاً ، ورغم الناس على السير فى الباطل .

---

(١) مجلة الفجر القطرية المأذونة فى ٢١/٦/١٩٧٥

ويقول الأستاذ الدكتور إبراهيم عبده<sup>(١)</sup> : « لقد حُشِرَ المأجورون في الفطر والسيارات ليزحوا العاصمة مقبلين من كل فج عميق ليحسوا الهزيمة صائحين صارخين . . . » .

وقد نقلت الأنباء أنه عندما كانت جماهير التاسع والعاشر من يونيو تهتف ويدوي هتافها في العاصمة الجريمة كان جنود إسرائيل المنتصرة يقبلون تراب سيناء في جلال مهيب ١١١  
يا لله لقد ظل هؤلاء مخدوعين حتى في هذه الأوقات المصيبة وبعد هذه الضربات الأليمة .

واستجاب عبد الناصر لهذه الهتافات المصنوعة ، وقرر أن يبقى في منصبه ليعمل على القضاء على آثار العدوان وإعادة بناء الحياة العسكرية والسياسية ١١١

وموضوع ٩ و ١٠ يونيو يحتاج إلى مزيد من الإيضاح ، وقد صأنى بعض طلابي عنه وقالوا إنهم انضموا إلى هذه المسيرة من تلقاء أنفسهم . وأجبت هؤلاء : بأن المظهر الذى وصفته آنفاً رأيتته بعينى ورآه معى الكثيرون ، فقد رأينا - ونحن نسكن فى المعادى - سوارات نقل قادمة من حلوان تحمل حشودا من عمال المصانع ، متجهة

(١) وسائل من نفاستان ص ١٧٥ .

إلى القاهرة لهذا الغرض ، وسمعنا العمال بها يصرخون .  
وعندما كنت أجيب هؤلاء بتلك الإجابة طلب طلاب آخرون  
الكلمة وأنسموا في جمع حاشد من زملائهم أنهم كانوا ضمن من دُفِعَ  
بهم لسيارات النقل من قِراهم ليقوموا بهذه المهمة .  
والذي أعتقد أنه هناك جماعات دُفِعوا لهذه المسيرة وأهدت لهم  
سيارات لهذا الغرض ، وجماعات أخرى اندفعت من تلقاء نفسها  
بوحى من الرهبة التي كانت تشمل الجميع ، أو بحكم أنهم من الجيل  
المضال الذي سنحدث عنه فيما بعد

### مؤتمر القمة بالخرطوم :

وفي أغسطس سنة ١٩٦٧ اجتمع مجلس قمة الملوك والرؤساء  
العرب في الخرطوم ، وعمل على تصفية المشكلات الداخلية بين الدول  
العربية<sup>(١)</sup> لتتحد في مواجهة العدو المشترك ، وفي هذا الاجتماع أعلنت  
الملكة العربية السعودية وليبيا والكويت استعدادها لتعويض بعض  
التسائر المادية لمصر والأردن ، فتقرر أن تدفع هذه الدول دعماً مالياً لها  
حتى إزالة آثار العدوان<sup>(٢)</sup> ، وكانت الدول العربية في هذا الاجتماع

(١) سقحدث فيما بعد عن هذه المشكلات .

(٢) توفيت ليبيا عن دعم نصيبها من الدعم عقب حرب أكتوبر ١٩٧٣

تصدّر عن فكر عربي رائع متناسية الخلافات بينها ، تلك الخلافات التي كانت حميقة التأثير كما سنراها فيما بعد ، ولكن الملوك والرؤساء كانوا أسمى من النشفي والانتقام ، فنسوا أو تناسوا كل شيء ، واتجهوا للتعاون للصالح العربي العام بقدر الإمكان .

وقد كنتُ بالخرطوم قبل هذا الاجتماع وخلالها ، وأستطيع هنا أن أترجم بعض المشاعر حول هذا المؤتمر :

أولاً - شاهدتُ الجهود الكبيرة التي بذلها الرئيس السوداني الراحل إسماعيل الأزهرى ورئيس الوزراء محمد أحمد محبوب إيتيم انعقاد هذا المؤتمر في ذلك الوقت ولينجح في اتخاذ قرارات مفيدة .

ثانياً - كان عبد الناصر قبل المزممة يهاجم بقسوة الحكومات الملكية وينعتها بالرجعية ، ولكن الدول التي حملت العبء المالى في هذا المؤتمر كانت من هذا النوع ( المملكة العربية السعودية - المملكة الليبية - دولة الكويت ) .

ثالثاً - بعد فترة قصيرة من هذا المؤتمر هبت ثورتان في الدول التي كان لها نصيب كبير من نجاح هذا المؤتمر هما السودان وليبيا ، ومن المؤسف أن جمال عبد الناصر نسي الدور الذي قام به رؤساء هذه وتلك



مصر في أخرج الأوقات، وكان - كما يقول محمد حسنين هيكل -  
 دأ بالثورة في السودان ، فلما قامت ثورة ليبيا كان تقديره أن  
 نسخم وأهم ، وقد فرح جداً عندما شرح له هيكل استنتاجه  
 'تجاه الثورة' (١) .

ي كان من الوفاء أن ينسى عبد الناصر بهذه السرعة عون  
 نوا بجانبه وقت الضيق والشدة ؟  
 يس معنى هذا أننى أعارض الوضع الجديد هنا أو هناك ،  
 كنت أوتر أن يهتت عبد الناصر ، ويترك كل قطر هربى  
 ثوياته الداخلية على النحو الذى يراه .

### مصر الفادحة في هذه الحرب :

نوفبر ١٩٦٧ أعلن جمال عبد الناصر أن الطريق إلى القاهة  
 نتوحاً أمام إسرائيل ، ولم يكن هناك جندى مصرى واحد  
 ى تقدم لإسرائيل ، وأزه هو المسئول عن هذه النتيجة .

أعلن أرقاماً فادحة عن خسارة مصر في هذه المعركة المشنومة ،  
 مصر خسرت في هذه الحرب ٨٠٪ من سلاحها و ١٠ر٠٠٠

مراحة عن عبد الناصر ص ١٧٢

— ٥٦ —

جندى ، و ١٥٠٠ ضابط ، وأسر ٥٠٠٠ جندى و ٥٠٠ ضابط لم يعد  
أكثرهم .

وعند ما نرى هذه الأرقام الهائلة مع أنها أقل من الواقع بكثير ،  
ورابطها بقول الرئيس إنه المسئول ، يحق لنا أن نتساءل : ما معنى  
المسئولية ؟ وكيف وفى بها هذا المسئول ؟ .

ولنعد إلى هذه المذبذبة المشينة للصورة نتائجها وآلامها التى كانت  
شديدة الوقع على حياتنا :

## نتائج هزيمة ١٩٦٧

كانت هزيمة ١٩٦٧ ضربة قاسية متعددة النتائج ، وسلم هنا  
إلى قمة سرية بالنتائج المريرة التي عاينناها خلال سنوات الهزيمة الحافلة  
بالسكابة والعناء :

### النتائج العسكرية :

أثارت هذه الهزيمة الشكوك حول جيشنا وأحاطت مستقبلنا  
المسكرى بظباب كثيف ، فقد كان قادة عصر الهزيمة يفخرون بالجيش  
ويهددون به ، فلما انهار في ساعات قصار ، قلّ الأمل في إعادة بنائه ،  
وبالقلى قلّ الأمل في النهر ، لأننا لم نعرف أسباب الهزيمة حتى نتحاشاها .  
وتحت ضغط الرأي العام المكبوت ، وثورة طلاب الجامعات سنة ١٩٦٨ ،  
أجريت محاکمات ولكنها كانت سرية ، وكانت الأحكام التي صدرت  
يُشاع عنها الكثير مما يوحى بأنها ليست أحكاماً جادة ، وليست إلاّ  
وسائل لتخدير الناس .

وأصبح الناس يخافون أن يرسلوا أولادهم إلى الجيش حتى لا يساقوا  
إلى الموت دون إعداد أو رعاية أو نظام ، وذلك أقصى ما يمكن أن

يتعرض له بلد من هوان ، وقد رأيت بعض الطلاب بالفرق النهائية بالجامعة يتخلفون عن الامتحان في بعض المواد أو يصطنعون الرسوب حتى لا يتخرجوا فيُدفع بهم إلى حياة عسكرية لا يعرفون مصيرها ، وأشهد أنني رأيت الطلاب سنة ١٩٥٦ ، ورأيتهم حينما جدد الجدد سنة ١٩٧٣ يتزاحمون على الالتحاق بالجيش والاستمتاع بشرف الجندي .

وأصبحت بلادنا مفتوحة أمام العدو بسرح فيها ويمرح ، يضرب في العمق ، ويصيب منطقة حلوان ، ومصانع أبي زعبل ، ومدرسة بحر البقر ، وتلعب طائراته في أجوائنا ، ولا نملك إلا الصراخ لمجلس الأمن الذي يزداد منا سخريّة كل شكونا إليه .

وحتى السكليات العسكرية لم نستطع حمايتها نبعثنا بطلابها إلى الأقطار العربية ، وفتحنا هذه السكليات هناك ، وتندّر بعض الناس بهذا التصرف فقالوا لماذا لا نرسل جيشنا للخارج لنحميه من غارات إسرائيل ؟

وكان جيشنا يدعى أنه يحمل عبء الدفاع عن العرب أجمعين ، ويهدد من يعتدى عليهم ، فلما انهار هذا الجيش ، انطأ العدو إلى أرض العرب بفطرسية وعجرفة شديدين ، فهو يدخل أرض لبنان كأنما يذهب إلى نزهة ، ويقتمحم الأردن بدون مبالاة ، ويضرب طائرة

ليبية مدنية على حافة سيناء فيقفى على عدد من المدنيين الأبرياء ، وقد اضطرت بعض الدول العربية أن تعمل على القضاء على المقاومة الفلسطينية حتى لا تتعرض لهجوم إسرائيل .

### الأضرار الأدبية :

كانت الأضرار الأدبية التي ألت بنا مريرة جداً ، فقد أصبح العالم كله يستهين بنا ، ويتجاهل تاريخنا ، وينسى ما أحرزناه من انتصارات عسكرية عبر التاريخ ، وما حققناه من أدوار حضارية بعيدة الشأن في تقدم العالم ، ووصل الحال في تدهور سمعة مصر أن حكومات الكثير من دول أوروبا كانت تتجاهل مصر ، وتقول السيدة زوجة وزير الخارجية المصري الأستاذ إسماعيل فهدى : إن اسم مصر قد هبط في نظر المجتمعات الأوروبية ، لدرجة أن باغ من تجاهلهم لنا أنهم كانوا يفعلون اسم مصر في كل الدعوات الرسمية ، ونجاهلوا دعوة السفير وجرمه ، وفقاً للبروتوكول والعرف الدبلوماسي المتبع<sup>(١)</sup> .

وليست أوروبا فقط هي التي استهانت بمصر ، بل إن مصر عانت الكثير من العالم العربي نفسه ، وواجهت صوراً من الإهمال وعدم التقدير ، بل

(١) مجلة صباح الخير ١٤ مارس ١٩٧٤

وصل الأمر أحياناً إلى نوع من العدوان ، ولم روى الأساتذة المصريون الذين يعملون بالبلاد العربية من مواقف مريرة تعرضوا لها كأنهم هم الذين تسببوا في هذه المزيمة النكراء .

### الأضرار الاقتصادية :

ونزل بنا ضرر اقتصادى بالغ المدى ، فلقد توقفت قناة السويس ، وقات أو انقطعت وفود السياح ، وضاعت منابع البترول التى كانت تتدفق من سيناء ، ودمر العدو محطات تكرير البترول بالسويس ، كادمر الحياة فى مدن القناة ، وهُرع الملايين مهجرين من هذه المدن هائمين على وجوههم .

وفى الداخل عانى الشعب أزمة اقتصادية طاحنة ، فالأجور والمرتبات كانت ضئيلة بالنسبة لنفقات العيشة التى ارتفعت ارتفاعاً باهظاً ، وانهارت أسعار عملتنا انهياراً شديداً ، واختفت أكثر السلع الضرورية من السوق ، وعاش شعبنا فى حرمان لم يشهده فى أقسى فترات التاريخ ، وشهدت مصر حقبة وصفتموها فى كتابى «رحلة حياة» بحقبة المفارقات العجيبة ، فقد كانت مصر — كالعهد بها — حافلة بالفكرين والمؤلفين فى مختلف فروع المعرفة ، ولكن ورق الطهارة

وما كيمات الطباعة الحديثة قليلة بها أو قل غير موجودة ، وفي مصر أطباء من أرقى المستويات ولسكن صيدليات القاهرة خلت من الأدوية الضرورية ، وفي مصر أعظم المهندسين المماريين ولكن أدوات البناء نادرة ، وفي مصر يوجد الخياطون المهرة للرجال والنساء ، ولكن القماش اللازم غير موجود .

وبما كانت أسواق القاهرة وحياة القاهرة على هذا النحو كانت أسواق « دبی » و « أبو ظبی » و « الكويت » تزخر بأحدث ما أنتجه العقل البشرى من وسائل الترف والنعيم .

### الضرر النفسى والاجتماعى :

وانعكست هذه المزيمة على المجتمع فظهر فيه الفساد والانحراف ؛ واضطرب الناس نفسياً واجتماعياً ؛ فأخلاق انهارت ، واللامبالاة ظلمت ، والسخط قد انتشر ، بل بدا المستقبل مُظلماً قاتماً ، وباسم الاستعداد للمعركة كُتِبَت الحريات ، وأُخْفِتَت الأصوات ، وكان هناك سيف مصمت ضد من نُعِتُوا بأنهم « قوى مضادة » أو « أصوات تعلق على صوت المعركة » مع أن المعركة كانت دائماً ولا تزال كل شئ بالنسبة للجميع ، وقد يوجد خلاف حول وسائل الاستعداد لها وإدارتها ، ولكن لم يوجد خلاف على

الإطلاق حول ضرورتها ، وأنها قمة ما نحرص عليه .  
 واتخذ الآمنون فرصة كبت الحريات وعدم إباحة النقد فعاثوا في  
 الظلام ، وانتشرت الاختلاسات والسرقات ، وكثرت الحرائق التي  
 يصطفونها الآمنون لغطائية هذا المنكر ، بل أذيت أخبار عن ملايين  
 الجنيمات الاسترلينية كان أعلى القمم من أصحاب النفوذ قد حولوها  
 إلى بنوك سويسرا ، وأودعوها هناك تحت أرقام سرية (١) .  
 ونحن هنا ننتهز هذه الفرصة لنطالب بإيضاح شامل حول هذه  
 النقطة ، ونسأل :

- من هم الذي أودعوا هذه النقود ؟
- ما مقدارها ؟
- ما موقف الحكومة منها ؟
- ونؤكد أن الجماهير يمزّقها أن يشاع ذلك عن قادة كانوا موضع  
 ثقتها يوما ما ، وتريد أن تعرف وجه الحقيقة فيه .
- تلك لحظة سريعة ، وخطوط عريضة ، عن نتائج هذه الهزيمة النكراء  
 فما هي أسباب هذه الهزيمة التي حتمت لإسرائيل أعظم الأمانى ؟
- هذا ما سنجيب عنه فيما يلي :

(١) أخبار اليوم في ١٦/٣/١٩٧٤



## الأسباب الحقيقية للمزمنة

إن الأسباب الحقيقية لهذه المزمنة ليست تلك التي تطفو على السطح وتخدع بعض الناس ، إن بعضها عميق الجذور شديد الغور ، وبعضها مباشر واضح ، ويمكن على العموم أن تقسم هذه الأسباب كالاتي :

- ١ - أسباب ترتبط بالجبهة الداخلية وتصدعها
  - ٢ - وأسباب ترتبط بالجيش وسوء قيادته
  - ٣ - وأسباب ترتبط بعلاقاتنا الخارجية
- وستكون هذه الأقسام موضع دراساتنا فيما يلي :

## ١ - الجبهة الداخلية

كانت الجبهة الداخلية في العقد الخامس والسادس من هذا القرن تعاني الكثير من الآلام التي طحنت الشعب طحناً ، وبعض هذه الآلام ارتبط بالفزع الذي كنا نعيش فيه ، وبعضها ارتبط بغياب العدالة ، ووضوح القانون في إجازة كما قال قادة ذلك العهد ، وبعضها ارتبط بالدمار الاقتصادي الذي فرضه علينا سوء التصرف في أموالنا مما تَرَ كُنّا في مرارة الحرمان والعوز . . . . .

وسندرس فيما يلي مآلاته الجبهة الداخلية من جراح كانت من أهم أسباب ما حاق بنا من هزائم في هذه المعركة المريرة .

### الفزع والهلوع

مئات البيوت أو آلاف البيوت المصرية عرفت الفزع والهلوع فترات طويلة من حياتها خلال هذه الحقبة ، لأن عائلها قد قبض عليه ولا يُعرف مصيره ، وآلاف أخرى كان سكانها يبيتون في اضطراب وقلق خوفاً من مستقبل يحفّشه الغموض ، وخوفاً من توجس المجهوم ، وإذا سمع هؤلاء دقات على الباب انتفضوا جميعاً خوفاً من زوار الليل

الذين كانوا كالقدر المعلوم ينقضون على البيوت فيسلبون الرجال ويلقون بهم في الجحول .

ولقد سمعنا جميعاً خطاب عبد الناصر الذى افتخر فيه بأنه قبض على ثلاثين ألفاً فى نصف ساعة ، وكان هؤلاء يُلقون فى السجون والمعتقلات ويهملون إهمالاً تاماً إلا من التنكيل والتعذيب ، ولقد اختفى بعض هؤلاء ولم يظهر لهم أثر ، وعاد بعضهم بعد أن مسه الضرر ، وبعد أن علموه قبل أن يطلقوه أن يذكر للناس أنه كان فى ضيافة كريمة ورعاية طيبة حتى أطلق سراحه ، وهددوا بالولايات كل من يروى أية صورة من الصور البعيدة عن الإنسانية التى كانت تزدهم بها هذه المعتقلات وتلك السجون ، ولم يعرف الناس ماجرى خلف هذه الأسوار إلا بعد زوال هذا العصر المريع ، وحسبك أن تقرأ ما دونه الأستاذ نجيب محفوظ فى روايته « الكرنك » لترى إلى أى مدى هانت النفوس البشرية بدون أدنى سبب عند هؤلاء الزبانية والشراطين ، وسترى كذلك أن العقاب القاسى والتنكيل البشع كانا ينزلان بالإنسان قبل أن يثبت عليه أى جرم ، وقد يظهر بعد حين أنه برىء ، ولكن الزبانية لا يريدون أن يثبتوا على أنفسهم أنهم ظلموا بريئاً ، فيختمون له الجرائم التى لا أساس لها حتى يبقى يرسف فى الأغلال .

ومن بين الذين ألقى القبض عليهم ، وعانوا التعذيب والتنكيل عدد من الوزراء الذين شغلوا مناصب الوزارة حتى في عهد جمال عهد الناصر نفسه .

ومن الذين ألقى القبض عليهم يمكن أن نذكر الأستاذ عبد اللطيف المردنلي الذي كان عضواً بمجلس النواب واعتقل سنة ١٩٦٥ ، وكانت جريمة أنه اشترك في تشييع جنازة الزعيم مصطفى النحاس ، واستمر المردنلي معتقلاً أكثر من خمس سنوات ولم توجه إليه أية تهمة ، ولم يُدْعَ للتحقيق طوال مدة اعتقاله ، حتى مات في سجن ليمان طره .

### ملك التعذيب :

وكان هناك رجل تفنن في أساليب التعذيب واستورد بعض صورها وبعض أجهزتها من الخارج حتى سُمِّيَ « مَلِكُ التعذيب » ذلك هو حمزة بسيوني ، الذي كان يُدْكَرَ فتقشعر الأبدان لذكره ، وكانت له كلاب مدربة يأمرها فتمزق الملابس وتنهش الأجسام .

وقد كُتِبَ الكثير جداً عن قسوة حمزة البسيوني ورجاله ، وسمعا الكثير من ذلك ممن لا يملكون وسائل الكتابة ، وكل ذلك تقشعر منه الأبدان ، ويكفي أن نقرر أن أسرى الصحابة لم يحدث لهم

جزء من ألف مما حدث المصريين الذين وكل تعذيبهم إلى حمزة بسيوني ورجاله ، وقد كان أيسر ما يفعلونه بالناس أن يوقفهم عرايا تماماً ، ثم بأمر الشيطان أعوانه فينتقون شعر الضحايا ويطنثون السجائر على أجسامهم ويداعبون هذه الأجسام بنز الدبابيس ، ويطلقون الكلاب على طامعهم فتلتهمه والبشر جيع ينظرون للكلاب ولا يستطيعون مشاركتها ، أما الأمور الموهلة في الفحش فلا يستطيع القلم أن يسطرها .

ونحن هنا نطالب بكشف الستار عن اشتراكوا في هذا التعذيب ، وبمحاسبتهم عما ارتكبوا من آثام يدمي لها وجه الحق والعدالة والقانون .

ولى مع حمزة بسيوني تجربة قاسية ، فقد استدعاني يوماً إلى لقائه سنة ١٩٦٥ بالاتحاد الاشتراكي ، وكانت المرة الوحيدة التي رأيته فيها ، وأشهد أن منظره كان يبعث الخوف والرعدة ، وهناك ذكر لي أنه وقع على الاختيار لألقى محاضرة على المثقفين المقبوض عليهم ، ولم يكن لي خيار خوف أن أصبح واحداً منهم ، فقلت له : إن هذه المحاضرة من أقسى ما تعرضت له من محاضرات ، فأنت لا تثق بي وستعذُّ على الكلمات عذراً ، والسامعون سيستهزئونني مأجوراً أو هميلاً لكم ، وعلى كل فإني أسأل الله العون ، وفي الوقت المحدد حضرت لي سيارة ركبتهما

واخترقت بنا شوارع القاهرة حتى أطراف المدينة ، ثم أسدلت ستائر على جوانبها وراحت تشق طريقها وسط الفراغ والسكون الشامل ، وبعد أكثر من ساعتين وفتت في مكان لا أعرفه ، ونزات منها لأجد هدداً من الميكروفونات تسجل كل كلمة أقولها ، وعدداً من المنضمين في الاختزال يكتبون كل كلمة أو كل حركة ، وجلس أمامي عدد كبير جداً من المثقفين في طوابير منتظمة ، وبدأت محاضرتي ، واتخذت طريقاً لحايتي من الشبهات ، فتكلمت عن الحضارة الإسلامية وما قدمه الإسلام للجنس البشري من أفضال ووسائل هداية .

وقد كانت هذه المحاضرة وعزم حمزة بسيوني على أن أكرر هذا اللقاء من الأسباب التي دفعتني لقبول الإعادة لجامعة أم درمان الإسلامية بالسودان حتى لا يتكرر لقاء مع هذا الرجل الذي كان يخيف بمنظره ويخيف بسايطانه .

وفي عهد الحرية الذي أطل علينا مع انتصارات أكتوبر حكمت المحاكم المصرية بتعويضات هائلة على هذا الرجل لصالح بعض الضحايا الذين طالبوا بهذه التعويضات ، واستنكرت المحاكم هذه القسوة الوحشية التي أثبتتها التقارير ضد هذا الرجل وأعوانه ومشجعيه .

## تهذيب المفكرين والكتّاب من العنت :

وقد كان نصيب المفكرين والكتّاب من العنت كبيراً ، فقد اتجه قادة هذا العهد إلى إذلال هذه الطبقة لأنها رفضت أن تسير في ركب الباطل ، فاتجه لها جبروت الحاكم بالتنكيل والتعذيب ، فمنهم من فصل من وظيفته وأسلم للبطلة والجوع ، ومن أساتذة الجامعة عدد كبير شمله هذا الفصل الظالم مع أنهم قمم فكرية في مختلف فروع المعرفة ، ومن المفكرين من أتى القبض عليه وزج به في غياهب السجون ، ومنهم من نزل به الضر مما حالى من تعذيب ، بل منهم من حكم عليه بالإعدام في محكمة الدجوى وأعدم شنقاً كالقتلة وقطاع الطرق ، ولا بد أن يقفز إلى الذهن في هذا المجال المرحوم الأمتاذ سيد قطب الذى أغنى المكتبة العربية والإسلامية بثروة هائلة من إنتاجه ومؤلفاته ، وفي قتها « فى ظلال القرآن » الذى أخرجه فى ثلاثين جزءاً ، جمع فيه خير القديم وأروع الجديد فى تفسير الذكر الحكيم .

والعجيب أن الأوامر صدرت بمصادرة كل كتبه وإخراجها من كل المكتبات ، بل صدرت بأن تقطع ورقات من كتب المطالعة المقررة على التلاميذ فى المدارس الابتدائية أو الإعدادية ، لأن بها قصائد

من تأليف الأستاذ سيد قطب يتحدث فيها عن فكرة خلقية أو وطنية أو تحمل وصفاً لنيل أو الطبيعة ، وكأن هؤلاء أرادوا أن يزيلوا اسمه من الوجود ، ولكن ذلك كان جهلاً بأقدار العلماء ، لأن العالم الإسلامي اعتبره شهيداً ، وتنافست دور النشر في عدة أقطار في طبع مؤلفاته ، وأصبحت كتبه مبعث نور وهداية في كل بيت بالعالم الإسلامي إلا بيوت مصر التي كان يمكن أن تتعرض للدمار لو وجدت بها هذه المؤلفات .

ولا يمكن أن يمر موضوع شقيق مفكر مسلم ممتاز دون وقفة حادة ، ولهذا فإننا نطالب بإعادة المحاكمة في ظل العدالة والدور لنرى إدانته أو براءته أو لنحمل قاتليه مسئولية هذا الجرم إذا ثبت براءته للناس .

إن سيد قطب قوة فكرية ، وإن الخسارة فيه كبيرة ، وقد ترك لنا السكندر من نتاج عقله وجهده ، ولكنه غاب قبل أن يُفْعَلَ رِغ كل ما عتده ، فمن المسئول عن هذه الخسارة ؟

والعجيب أن شخصيات عالمية وهيئات كبيرة تقدمت بالرجاء أن يُحَقَّن دمه ، واسكن روح الغل عجلت بتنفيذ الإعدام . يا لله ۱۱۱



## محكمة الدجوى ومزيد من المعلومات عنها

- \* مُشككت هذه المحكمة بقرار مزور .
- \* وحكمت بالإعدام على بعض الناس ، وبالسجن على آخرين .
- \* رفاق عبد الناصر يشهدون بتزويره ، وبأنه فرعون عصره .

تطالعنا الأيام من حين إلى آخر بالزيد عن عبد الناصر ، وتلقى عليه أضواء فاحصة تبينه على حقيقته وتزيل الأوهام التي أحاطت به بدون حق .

والشهادة التي نقدمها اليوم صادرة من أقرب الناس إليه وأعرفهم بحياته وحاته ؛ من عبد اللطيف البغدادي وكال الدين حسين ، وهي شهادة تؤيد ما ذكرناه في الطبعة الأولى من هذا الكتاب من أن الرجل استأثر بالسلطة ، وأنه وحده المسئول عما ارتكب من أخطاء أو أرتق من دماء .

والموضوع الذي نعرضه اليوم تمّ في غرفة المشورة المنعقدة بمحكمة جنوب القاهرة يوم ٢٦ / ٦ / ٧٥ ونشرته صحافة القاهرة في اليوم التالي ، وخلاصة هذا الموضوع تنضج من النقاط التالية :

١ — بعد الانفصال الذي تم بين مصر وسوريا صدر إعلان دستوري في ٢٧ / ٩ / ٦٢ وبمقتضاه شكل مجلس رئاسة ليأخذ الحكم طابع الجماعية بعد فشل القيادة الفردية التي استنكرها كمال الدين حسين في أقواله بالحكمة ونسب لها ما وقعنا فيه من أخطاء ، وجاء في قرار تشكيل مجلس الرئاسة أن يقوى السلطة التشريعية ، ويراقب السلطة التنفيذية ، وأن يعهد له بالحكم بوجه عام .

وكان مجلس الرئاسة برئاسة جمال عبد الناصر وعضوية كل من : كمال الدين حسين وعبد اللطيف البغدادي ، والمشير عبد الحكيم عامر وحسين الشاذلي ، وأنور السادات ، وعلى صبري ، وحسن إبراهيم ، ونور الدين طراف ، وأحمد عبده الشرباصي ، وكمال الدين رفعت ، ولا بد أن تعرض القوانين قبل صدورها على هذا المجلس ، ولا تصدر إلا بموافقه .

٢ — أصدر جمال عبد الناصر القرار بقانون رقم ١١٩ لسنة ١٩٦٤ بشأن تدابير أمن الدولة العليا ، ويخوّل هذا القرار بقانون لرئيس الجمهورية - بدون إبداء الأسباب - أن يقبض على المواطنين وأن يحتجزهم ، وأن يفرض الحراسة على أموالهم وممتلكاتهم . . . ، كما يخوّل هذا

القرار بقانون لرئيس الجمهورية الحق في أن يأمر بتشكيل محاكم استثنائية من العنصر العسكري الخالص لمحاكمة المواطنين مما هو منسوب إليهم من إجراءات ، وجاء في مقدمة هذا القرار بقانون أنه صدر بموافقة مجلس الرياسة ، وقد قرر الشاهدان أن هذا القرار بقانون لم يعرض على مجلس الرياسة ، وأن هذا القول تزوير للواقع والتاريخ ، وقرر ذلك أيضا نور الدين طراف .

٣ - أصدر جمال عبد الناصر قراراً رقم ١ لسنة ١٩٦٥ بتشكيل محكمة عسكرية خاصة لمحاكمة الإخوان المسلمين ، وذكر في قرار تشكيلها أنها شُكلت بناء على القرار بقانون رقم ١١٩ لسنة ١٩٦٤ . ولما كان هذا القرار بقانون غير سليم من الناحية الدستورية لأنه لم يصدر عن مجلس الرياسة ، فإن القرار بتشكيل محكمة عسكرية يُصبح غير دستوري كذلك . وبالتالي تُصبح الأحكام الصادرة من هذه المحكمة غير دستورية ، وليت شعري ماذا يُجدي هذا القول بعد أن حكمت هذه المحكمة بإعدام بعض الناس ونفذ حكم الإعدام فيهم ، وبعد أن سجن آخرون وصودرت أموالهم .

وهذه المعلومات التي أوردناها مستقاة من شهادة عبد اللطيف البغدادي وكال الدين حسين ونور الدين طراف ، ولا بد أن نقتبس بعض

العبارات مما دار حول هذا الموضوع انرى كيف كان عبد الناصر يستهين بأرواح الناس وحقوقهم :

تقول صحيفة الجمهورية في ٣٠/٦/٧٥ :

إن القرار بقانون رقم ١١٩ لسنة ١٩٦٤ بشأن تدابير أمن الدولة الذى استند إليه جمال عبد الناصر فى تشكيل المحكمة العسكرية لم يسبق إصداره موافقةً عليه من مجلس الرئاسة ، عملاً بما كان يوجبه الإعلان الدستورى الصادر فى ٢٧/٩/٦٢ ، ومن ثمّ فهو قانون معدوم من الوجهة الدستورية ، فضلاً عن أنه مزور ، إذ أثبت عبد الناصر فى ديباجته أنه قد صدر بناء على موافقة مجلس الرئاسة ، خلافاً للحقيقة .

ويقول عبد اللطيف البغدادى :

— إنه كان عضواً بهذا المجلس منذ إنشائه حتى ٢٦ مارس ١٩٦٤ وهذا القرار بقانون صدر يوم ٢٤ مارس ١٩٦٤ وهو لم يُعرض على مجلس الرئاسة خلال وجودى به .

— مجلس الرئاسة باشر أعماله فى الشهور الثلاثة الأولى سنة ٦٢ ، ثم بدأ عبد الناصر يعمل على تجميد نشاط المجلس ، بعدم دعوته للاعقاد ، أو أن تعرض عليه مسائل فرعية وبالتمريب ، ولم يتم تنفيذ تكوين الجهاز الفنى الخاص به ، وكان من أسباب ذلك أن اعتزلت الحياة السياسية ، وقد

— ٧٥ —

صدرت عدة قرارات وأعلنت في الصحف دون عرضها على المجلس .  
— عندما كان المجلس يباشر اختصاصاته في فترة للشهور الثلاثة الأولى أحسَّ جمال عبد الناصر بفقدته لقوته ، فألقى انعقاد المجلس ، ووصل الوضع به إلى أكثر مما وصل إليه فرعون في زمانه أو الورد كرومر في عصره .

ويقول كمال الدين حسين :

— خلال الوحدة مع سوريا وبعد انفصام الوحدة انشردت القرارات الفردية التي سببت كثيرا من السكوارث ، فتمّ الاتفاق على تعيين مجلس رياسة ليكون وسيلة للقيادة الجماعية التي نحل محل القيادة الفردية ، ولم يُعرض القرار رقم ١١٩ سنة ١٩٦٤ على مجلس الرياسة طيلة وجودى به وكانت تُقطع يدى لوفقت عليه ، لأنى أعلم الآثار التي تترتب عليه من إطلاق السلطة .

— إن فرعون نفسه وفي عصره لم يكن يتمتع بمثل السلطة التي ذكرها هذا القانون .

— أرسلت خطاباً إلى عبد الناصر قلت له فيه « اتق الله » فكان جزأى أن اعتُقلت مدة ثلاثة أشهر .

— في الفترة الأولى عندما كان مجلس الرئاسة يباشر مسؤولياته حدثت مشادات كثيرة بشأن الحريات والأوضاع الاقتصادية ولكن جمال عبد الناصر بصفته رئيس المجلس كان يفضي الاجتماع ، وينصرف ، ولا يعبأ بشيء .

— وعندما سئل كمال الدين حسين باحتمال عرض هذا القرار على مجلس الرئاسة بعد استقالته ، روى أنه كان حديثاً في زيارة حسين الشافعي الذي ظلّ في عمله بمجلس الرئاسة حتى انتهت مدته ، وسأله عن عرض هذا القرار بقانون على مجلس الرئاسة ، فقال حسين الشافعي إنه لم يعلم بالقرار ، ولم يسبق عرضه عليه ، كما أنه لم يوافق على إصداره .

وسئل نور الدين طراف عما إذا كان هذا القرار بقانون قد عُرض على المجلس ، فأجاب بأنه يُرجح أنه لم يعرض لأن مثل هذا القانون كان سيثير نقاشاً لخطورة ما يتضمنه من قواعد كانت ستعلق قطعاً بهذا كرتي ، وكوني لا أذكر شيئاً عن هذا القانون يجعلني أرجح أنه لم يعرض .

وسئل نور الدين طراف : ألم يصدر تفويض لجمال عبد الناصر ببعض اختصاصات المجلس ، فأجاب بالنفي .

وسئل عما إذا كان جمال عبد الناصر عرض على المجلس استعفاة  
كمال الدين حسين والبغدادي ، فأجاب بالنفي كذلك ، وذكر أن  
المجلس هو صاحب الاختصاص في قبول الاستعالات أو عدم قبولها .

وبعد ، لقد اتضح أن هذا القانون الذي أصدره عبد الناصر غير  
دستوري ، وأنه تزوير ، وقد ترتب عليه إزهاق الأرواح وتشريد  
المواطنين ومصادرة الأموال ، ولا شك أن هذه الأرواح ستمسك  
بتلابيب الظالمين ، ومن حق كل مظلوم أن يطالب بالتعويض اللازم ،  
ولكن يتحتم أن تؤخذ التعويضات من مال المسئول عن هذا التزوير  
وذلك الخفيف حتى يفقد ذلك المال . . . (١) .

إن السكوت عن فرعون قد يبعث فراعين آخرين ، فيجب أن  
يحس كل واحد أنه مسئول إن لم يكن اليوم فقداً ، وبذلك فقط نحى  
حاضرنا ومستقبلنا .

(١) كان من توافقي الحواطر أن اتهم المظلومون هذا الاتجاه ، فقد نشرت  
أخبار اليوم الصادرة في ١٩٧٥/٧/٥ الجهر التالي :  
رفع محمد شمس الدين الشناوى الجساعى دعوى تعويض ضد ورثة المسئولين  
السابقين عن حكم مصر . طلب تعويضاً قدره مليون جنيه مقابل الأضرار المادية  
والأدبية التي أصابته هو وأسرته نتيجة لاعتقاله وتعذيبه لمدة ٥ سنوات بدون  
سبب قانوني .

### عود المحدث عن الاضطهاد والسجون :

والعجب في قضية الاضطهاد والسجون أنها شملت جماعات مختلفة  
 المشارب ، فالإخوان المسلمون عانوا منها ، كما عانى منها الشيوعيون ،  
 كأن الفزع كان هدفاً لذاته ، ولذا يحرص عليها أحكام هدد المزمزم .  
 والعجيب كذلك أن ولي الأمر كان يفصل الناس من وظائفهم  
 ثم ينسأهم في البطالة والجوع ، ويلقى بهم في الواحات والسجون  
 ثم ينسأهم في الظلام والآلام ، فلم يكن ما ينزل بهم تأديكاً إن كان  
 هناك ما يدعو للتأديب ، وإنما كان نشفياً ومتعة ونعياً .  
 والعجب أيضاً أن الكثرين من الذين فصلوا من وظائفهم تم  
 فصلهم بأوامر تليفونية دون أن توجد في ملفاتهم قرارات بفصلهم ،  
 ولا أسباب هذا الفصل ، ويقول الأستاذ جلال الدين الحمامصي في مقاله  
 بجريدة الأخيار الصادرة في ٣/١٢/٧٤ « إن هذا ، كانت الطريقة المبتكرة  
 في قطع أرزاق الناس ، كأن الدولة بمن فيها من بشر كانت ملكاً لقلعة ،  
 أو بمعنى آخر كانت إقطاعاً لهم في وقت قيل لنا فيه إن عهد الإقطاع  
 قد انتهى ، وهكذا كانت عمليات الفصل خاضعة للزواج الشخصي أو  
 عدم الرضا السامى ، كأن مصر أصبحت « عزبة » لهؤلاء ، وأصحاب  
 العزبة يتصرفون فيها بما يشاءون » .



وليسمح لى القارىء بكلمة هنا ، فأنا واحد من فصلوا سنة ١٩٥٤ بدون سبب أو بسبب حبي لبلادى واهتمامى بحقوقها<sup>(١)</sup>، وهانيت البطالة والجوع ، وعشت ردحا من الزمن أرتعد كلما سمعت دقات ببابها طيلة الليل والنهار ، ولم تعد لى حقوقى إلا سنة ١٩٧٥ أى أنى أمضيت عمرى الوظيفى كله أو أ كثره وأنا أحس بالظلم والتخلف عن أقرانى . هل يمكنى أن تسوى حالتى وحالة زملائى بعد هذا المدى الطويل ؟  
ربما تسألى : ماذا تريد ؟ وأقول : أريد توجيه اللوم لمن ظلمنا ،  
ولسلك حاكم خان الأمانة التى كان يجب أن يرهاها .

#### الأبرياء فى مستشفى الأمراض العقلية :

ووصلت القسوة والوحشية مداها حين اتجهت القلوب الجاحدة إلى اتخاذ مستشفى الأمراض العقلية مكاناً يلتقى فيه الأبرياء عندما يحتجون على شىء أو يعترضون على تصرف ، وعندما أثارت مجاملة آخر ساحة هذا الموضوع فى مطلع عام ١٩٧٤ ، اتجهت العدالة إلى هذا المستشفى وأخرجت منه مجموعة من الأبرياء بعد أن مسهم الضيم الشديد وبعد أن عدوا مجازين عدة سنوات ، وقد تألفت لجنة من أعضاء مجلس الشعب لبحث هذه المأساة ، ونقول صحيفة الأخبار الصادرة فى ١٨ أبريل سنة ١٩٧٤ إن موسيقياً بهيئة السينما والمسرح تقدم عام ١٩٦٦ بشكوى

(١) انظر تقا - يل ذلك فى كتابى « رحلة حياة » .

يطلب تثبيت زملائه العاملين بمقود مؤقتة ففصلته الهيئة ، وعندما تظلم أدخلته سرا كز القوى مستشفى الأمراض العقلية حيث أمضى ٥ سنوات .

### قصة الشيخ عاشور :

والمعجب أن سياسة القمع والتعذيب عاشت بعد النكسة كما عاشت قبلها ، ومن أهم نماذجها بعد النكسة قصة الشيخ عاشور الذي بلغت شهرته الآفاق ، وكان هذا الشيخ عضواً في المؤتمر القومي سنة ١٩٦٨ ، وأرادت سرا كز القوى أن تجعل من هذا المؤتمر متنفساً ظاهرياً ، وأعلنت أن النقاش يدور على الهواء مباشرة ، فوقف الشيخ عاشور وكانت سرا كز القوى قد لفتته ما يقوله ، ولكنه تورد على النص ، وصاح في المجتمعين الذين كان يرأسهم جمال عبد الناصر حسين قائلاً : إن جماعة يأتون إلينا ليتحدثوا عن الاشتراكية ، ويطلبون منا أن نربط الأحزمة على البطون لبنى أمتنا ، ولكنهم يركبون سيارات فارغة ، طول كل منها ستة أمتار أو أكثر ، ويحملون أصحابهم بخواتم السوايتير والأحجار الكريمة .

وكانت هذه الجملة مثار غضب عليه ، فسرعان ما التقطته سرا كز القوى وأودعته وهو صائم زلزلة ضيقة قدرة رطبة عدة أيام ، ويقول الشيخ في حديثه الذي نشرته له مجلة آخر ساعة في أكتوبر ١٩٧٤ إنه

لم يقدم له أى طعام ولا أى شراب طيلة بقائه فى الزنزانة التى استمرت عدة أيام ، والسكن الشيخ كان حسن الحظ لأن برقيات عدة وردت من داخل الجمهورية وخارجها تسأل عن مصيره بعد أن اختفى ، فاضطرت سراكن القوى إلى إطلاق سراحه ، ويقول الشيخ عاشور فى حديثه المشـار إياه إنه استُدنىَ لمقابلة شخصية كبيرة قالت له : ستخرج الآن ، وحذار أن يعرف أحد ما حصل لك ، ولا زوجتك ، قل إنك كنت فى زيارة لبعض أقاربك ، وأضافت هذه الشخصية قائلة للشيخ : سأكذلك تبعاً لمعلوماتك ، أنت تقول إن الله يعلم الغيب ، فلتعرف أنى أيضاً أعلم الغيب ، وسأعرف كل همسة تهمس بها ، وتأكد أنك إن عدت إلى هنا فلن ترى النور بعد ذلك .

وينبغى - ونحن نتحدث عن الفزع - ألا ننسى أجهزة التسجيل التى قيل إنها كانت فى كل مكان حتى فى حجرات النوم ، تهصى على الناس همساتهم وخفقات قلوبهم ، ولتهدف لقوى الحق التى عثرت على هذه الأشرطة ودمرتها قبل أن تدمر البلاد والعباد .

### غيبية المـدالة

عندما زُكّت الأنوف بالقتل والعظم والديكتاتورية كان هناك شخص يمكن أن يلقب «أبو القانون» فى العصر الحديث ، ذلك هو

الأستاذ الدكتور عبد الرازق السنهوري الذى شغل أعظم الوظائف فى الدولة فى عهود متعددة ؛ كان أستاذاً بكلية الحقوق وعميداً لها ، وكان وزيراً للتربية والتعليم ، وكان رئيساً لمجلس الدولة ، وهو قبل ذلك كله وبعد ذلك كله مؤلف الموسوعات القانونية التى تتلمذت عليها عدة أجيال فى مصر وخارج مصر .

ومن الطبيعى أن رجلاً كهذا تهزه المظالم وتؤذيه غيبة القانون وتؤرقه الديكتاتورية ، فيعلن فقطع عن أمنيته أن يسود القانون ، ولكن هذه الأمنية البريئة تهدد الظالم ، فتصدر الأوامر بالنيل من هذا الرجل العظيم بدون ا كتراث بسنّه ، أو مركزه ، أو جلالة قدره ، ويجرى الاعتداء عليه فى مكتبه بمجلس الدولة ، إذ هاجمه أنصار البعث وضربوه وصنفوه وركلوه حتى تركوه بين الحياة والموت ثم صرّد من منصبه وحرّم عليه أى عمل بالبلاد .

هل يرث ذلك أيضاً بدون حساب ؟

مأداة كميتيس كنموذج من الظلم :

فى الحديث عن غيبة القانون تقفز إلى الذهن قضايا كثيرة مثل قضايا الإخوان المسلمين ، وقضايا قرية كرداسة التى عاشت كلها فترة حاسكة عانى فيها الشيب والشبان والرجال والنساء أسوأ ما يعانى البشر

وسنقص تفاصيل بعض هذه القضايا في كتابنا التالي « ثورة ٢٣ يوليو بين عهدين » ونعصر حديثنا هنا على قضية كمشيش .  
فهذه القضية ترينا كيف كانت الأمور تسير في بلادنا ، فهناك مشاجرة حدثت بالمنوفية قُتلَ فيها رجل اسمه صلاح حسين ، وكان شقيقُ القَتيل زميلاً وصديقاً لحسين عبد الناصر (وحسين عبد الناصر هذا هو شقيق جمال عبد الناصر ، وزوج بنت المشير عبد الحكيم عامر) واستعمل حسين عبد الناصر نفوذه لدى أخيه الرئيس وصهره المشير للانتقام لصديقه ، وصوّر المشاجرة العادية في صورة حركة من أسرة الفقى ضد القانون وضد الدولة ، ولُغَت الأحداث ضد أسرة كبيرة بالمنوفية هي أسرة « الفقى » وعانت الأسرة رجالاً ونساء وأطفالاً أشق ما يعانيه بشر ، ولما قالت العدالة رأياً وحكمت بالبراءة نزل الضرر برجال القضاء ، وكان ما يسمى بمذبحة القضاء ، فالعهد الأسود السابق لم يكن يعرف من القضاء إلا الحكم بما يشاء لا بما يشاء القانون ، فلما قال قضاتنا كلمة الحق لقوا أقصى العنت من ولى الأمر ، وانرفع القلم لنورد سلسلة من الوثائق في هذا الموضوع :  
رأى محافظ المنوفية في مأساة كمشيش :

نشر إبراهيم بغدادى الذى كان محافظاً للمنوفية إبان هذه المأساة في صحيفة أخبار اليوم الصادرة في ١٦ / ١١ / ٧٤ بياناً مهماً هذا نصه :

تعليقاً على ما نشر بجريدة أخبار اليوم عن قضية كمشيش ، أود أن أوضح للتاريخ بعض الوقائع المتعلقة بهذه القضية ، التي هاصرت أحداثها خلال عملي كمحافظ المنوفية من نوفمبر ١٩٦٥ إلى أغسطس سنة ١٩٦٧ :

١ - قضية مقتل صلاح حسين في كمشيش كانت أصلاً مشاجرة عادية يحدث مثلها كل يوم في مصر وانتهت بمقتله ، وليس لها أى خَلْفِيَّةٌ سياسية ، وكل ما قيل غير ذلك مخالف للحقيقة ، وقد اتخذتها السلطات ذريعة ومبرراً لما استتبعها من إجراءات بدعوى تصفية الإقطاع .

٢ - تدخل المباحث الجنائية العسكرية في التحقيق كان بناء على تعليمات من المرحوم المشير عبد الحكيم عامر ، الذى كان زوج ابنته الطيار حسين عبد الناصر شقيق الرئيس الراحل جمال عبد الناصر ، زميلاً لشقيق القنيل في القوات الجوية وتربطه به صداقة قوية .

٣ - المباحث الجنائية العسكرية كانت تتولى توجيه التحقيق ، حتى أن الطبيب الشرعى أثبت في تقريره - على غير الحقيقة - أن العُلَّات التى قُدمت له من ضباط المباحث الجنائية العسكرية هى نفس عيار المسدس الذى أطلق منه النار على القنيل .

وكان أفراد المباحث الجنائية العسكرية ومعاونوهم يتولون جمع الأدلة ، والقبض على بعض الناس ، والتنكيل بهم في شوارع القرية ، حتى قبل أن يوجه إليهم الاتهام .

٤ - أسهمت أجهزة الإعلام ومختلف وسائل الاتصال في الحملة التي وُجِّهت ضد أعداد كثيرة من المواطنين الأبرياء الذين حكم القضاء العادي ببراءتهم بعد أن أهينت كرامتهم ، واغتصب أموالهم وأعراضهم ، وشوهت سمعتهم على صفحات الجرائد .

٥ - تحت ستار تصفية الإقطاع نهبت منازل ، واخفت أموال ، وسلبت الخلى ، وكانت السلطة العليا هي المباحث الجنائية العسكرية التي كانت تتولى عمليات القبض والتفتيش .

٦ - قُتْ بِإثارة هذه الموضوعات وغيرها في اجتماع برئاسة المرحوم المشير عبد الحكيم عامر عام ١٩٦٦ حضره أعضاء اللجنة العليا لتصفية الإقطاع ، والمحافظون ، وأمناء الاتحاد الاشتراكي ، ورفض المشير أن تثار مثل هذه الموضوعات في اجتماع عام ، وطلب مني أن أشرحها له في مقابلة خاصة خارج الاجتماع ، ولم تتم هذه المقابلة .

٧ - كتبت تقريراً عن حقيقة ما حدث ورفعته للمرحوم الرئيس جمال عبد الناصر شخصياً ولم يمتنع بما جاء فيه ، مما أثبتته بعد ذلك القضاء المصري النزيه ، وكان تعليقه وقتها : يظهر إنك مش حارف إلی بييجرى في محافظتك .

٨ - صُنفت الدولة المواطنين الذين يجوز اعتبارهم إقطاعيين إلى فئات منها الإقطاع الزراعى ، والإقطاع الإجرأى ، وإقطاع النفوذ ، وتدخلتُ الحزازات الشخصية فى وضع مواطنين تحت الحراسة وهم لا يملكون شيئاً وتركوا مواطنين كانوا يستغلون آلاف الأفدنة لصالحهم ببعض ذوى النفوذ .

٩ - استغلت جهات أجنبية حادث كمشيش وعرفت سياراتُ السلك السامى طريقها إلى القرية ، ولم يقتنع المسئولون بتحذيرى لهم من هواقب ذلك .

١٠ - تطورت الأحداث كما كنت أتوقع حتى احتلت بعض العناصر نقطة البوليس فى القرية، وأخذوا أفراداً رهائن، وضاعت هيبة الحكومة ، وبعد اتصالات على أعلى المستويات ومع الرئيس عبد الناصر شخصياً ، حضر وزير الداخلية ومعه ثلاثة آلاف من قوات الأمن المركزى بسياراتهم المصفحة لتحرير نقطة الشرطة واعتقال مثيرى الشغب .

١١ - نتيجةً لتصرفات المباحث الجنائية العسكرية وإهانتهم للمواطنين ورجال الدين ، شكوا المرحوم الإمام حسن مأمون



شيخ الجامع الأزهر فارئيس من إهدار كرامة الدين ممثلاً في أحد رجال الأزهر - الذى لا يربطه بالإقطاع صلة - مما أدى إلى تشكيل مجلس عسكري عال برئاسة الفريق أول عبد الحسن مرتضى عقد في مكتب محافظ المنوفية بعد منتصف الليل، وحكم بإدانة ثلاثة من أفراد المباحث الجنائية العسكرية في عملية الإرهاب والبطش التى قاموا بها ضد مواطنين أبرياء .

١٢ - حضرتُ مع آخرين - في مكتب السيد / محمد أبو نصير وكان وقتها وزيراً للعدل - مناقشة حول إبعاد أحد المحامين العاملين عن التحقيق في قضية معينة، وكان تفسير الوزير لإبعاده أن هذا المحامى قانونى (ودغرى) أكثر من اللازم، والمطلوب في بعض القضايا السياسية شيء من المرونة ، وكان هذا المحامى العام من بين ضحايا مذبحه القضاة .

١٣ - أثبت القضاء العادل - بتهمة المتهمين في قضية كشيش رغم كل الضغوط - صحة هذه الوقائع وصدق الرئيس محمد أنور السادات على رفع الحراسات بصورة عامة - بعد ثورة التصحيح - وأمر بإعادة الحقوق لأصحابها وإعادة رجال القضاء إلى مناصبهم .

إبراهيم بنداى

## حقيقات الحكم بالبراءة بعد الادانة :

ونشر فيما يلي وثيقة خطيرة. هي حيثيات الحكم بالبراءة في قضية كشمش ، وقد نشرت هذه الحقيقات في ١١ / ٩ / ١٩٧٤ وتوضح هذه الحقيقات أن الزبانية من رجال التنظيم السري والمباحث ارتكبوا أقسى الاجراءات ضد المتهمين لينتزعوا منهم اعترافات عن أحداث لم تقع منهم، ولعل ذلك كان تنفيذاً للتدخل الذي أشار له الأستاذ إبراهيم بغدادى فى الوثيقة السابقة من أن حسين عهد الناصر شقيق الرئيس وصهر المشير كان له هوّى فى هذا الموضوع ، وفيما يلي هذه الوثيقة :

إن جميع المتهمين وجميع الشهود ، قد لحقهم من التعذيب مالا يطقه أحد من البشر ، بعضه تعذيب مادى جسمانى ، وبعضه تعذيب نفسى أشد إبلافاً من التعذيب الجسمانى ، وقد أجمعوا على أن ضباط المباحث الجنائية العسكرية وجنودها هم الذين ألحقوا بهم تلك الوسائل من التعذيب ، وأن التعذيب وصل ببعضهم فعلا إلى الموت ، ولقد قرروا جميعاً أنهم اعترفوا بهذه الأقوال القى انتزعت منهم خوفاً وإجباراً لا طوعاً واختياراً تحت تأثير هذا التعذيب . بل إنهم بعد نقلهم إلى السجن الحربى وفى أثناء تولّى نيابة أمن الدولة العليا التحقيق

معهم .. كان التعذيب مستمراً ومتوالياً .. لأنهم كانوا فى السجن الحربي بين أيدي ضباط المباحث الجنائية العسكرية وضباط السجن الحربي .

ومن صنوف التعذيب النفسى ماقرره محمود عيسى أنهم أحضروا زوجته وبناته وأمسروا زوجته بخلع ملابسها وسرواها وهددوه بهتك عرضها . ثم أحرقوا شاربه وأوسعوه ضرباً بالكرابيج ، فاضطر إلى الاعتراف على نفسه وعلى عائلة الفقى بأنهم حرضوه على القتل .

ومن صنوف التعذيب ماقرره صلاح الفقى أنهم أوسعوه ضرباً بالكرابيج والأحذية وكانوا يسمحون للكلاب المتوحشة أن تنام معه فى الزنازة رقم ٨ بالسجن الحربي ، وكان الكلب يسبقه إلى الأكل والشرب ، ووصل التعذيب به وبأهله إلى أنهم كانوا يشربون بولهم . ولقد ثبت التعذيب من تقارير الطبيب الشرعى الذى كشف على كافة المتهمين والشهود .

فبالنسبة لمحمود عيسى قد خاضت بعض أسنانه كى يعترف ، وبه ٢٣ إصابة من ضرب الكرابيج ، وتخلفت لديه عاهة مستديمة بيديه وبأذنه . وثبت من الكشف الطبى على عبد الوهاب الهادى من الطبيب الشرعى أنه عُلق بالفلقة ، ووجدت به ١٤ إصابة من الكرابيج .

وأن صلاح الفقى أضحى مريضاً هزىلاً من التعذيب حيث كان  
ينام معه الكلب المتوحش فى زنزانته ، وكشف عليه الطبيب الشرعى  
قوجد خلعاً فى سِنتين من فمه ، وكذلك به ٢٠ إصابة من ضرب  
الكرابيج !!

والمتهم بسيوفى الفقى أثبت الكشف عليه الضرب بالكرابيج  
ونزع بعض أظافره . . ومثله المتهم محمد عرفه عمارة .

وقد أثبت كشف الطبيب الشرعى على السيد عبد الله رمضان  
الفقى وجود كسر بالأسنان ، وخلع ضرسين ، وكسر بالغاب العلوى  
والضرس العلوى ، وكذلك ٢٥ إصابة على الساقين والفتحين والركبتين  
والمعدة جميعها من الكرابيج والضرب . . وكذلك الحال بالنسبة  
للسيد فراج . . وهاتم مكاولى الذى فقد أسنانه وضروسه جميعها  
وضرب بالكرابيج .

وكذلك الحال بالنسبة لعبد القادر حافظ الوكيل ومحمد عبد الرازق  
العربى اللذين وجد بهما نزع بالأظافر . . وإصابات عديدة من الضرب  
بالكرابيج وكذلك الحال بالنسبة لأحمد عبد الرحمن رزق . وأما  
السيد إبراهيم صالح فقد ثبت وجود ورم بخصيتيه وخمس إصابات من

الضرب بالسكراييج . . وأما محمود غازى فقد ثبت ضربه بالسكراييج  
ووجود كسر بيديه .

وقبل أن نثبت الفقرة التالية من فقرات هذه الوثيقة نهتف بضرورة  
معاينة من ارتكبوا هذه الأعمال الوحشية ومن تسببوا فيها . أما  
الفقرة التالية من الوثيقة فتقول :

وحيث أن جميع المتهمين وجميع الشهود قد عدلوا - فى التحقيقات  
التي أجرتها المحكمة - عن أقوالهم الأولى التي أبدوها أمام المباحث  
الجنائية العسكرية ونيابة أمن الدولة والتي تتضمن اعترافاً بارتكاب تلك  
الحوادث بتعريض عائلة الفقى ، ونسبوا هذه الاعترافات إلى صفوف  
التعذيب سابقة الذكر ، فهمى التي دفعتمهم إلى أن يعترفوا طلباً للنجاة  
من الموت والتعذيب .. ذلك التعذيب الذى أودى بحياة آخرين غيرهم .  
وليس أدل على كذب الاعترافات وعدم صدقها من أن المحكمة  
أمرت بضم ملف اعتقال المتهم عهد الجليل شحات العربى الذى نُسبَ  
له مقابلة صلاح الفقى فى منزله ، وأن صلاح الفقى سلمه سلاحاً ليتركب به  
حادث القتل ، ثم اتضح أنه يوم الحادث كان معتقلاً وفى صميم المعتقل ،  
وكان من المستحيل أن يرتكب القتل .

وحيث أن الدفاع عن المتهمين جميعاً ممثلاً فى السيد الأستاذ

— ٩٢ —

عبد العزيز الشوربجي نقيب المحامين السابق وانضم معه كل من السادة :  
على منصور والطاهر حسن ومحمد مسعود وآخرون .. قد طلبوا من المحكمة  
هذه مطالب أساسية هي :

١ - الحكم بإعلان إجراءات المباحث الجنائية العسكرية وتمحيقاتها  
لأن كل تصرفاتها تصرفات باطلة .

٢ - طالب الحكم بإراءة المتهمين استناداً إلى ما ثبت من تحقق  
التعذيب القذى وقع عليهم .

٣ - محاكمة من أجروا هذا التعذيب من ضباط المباحث العسكرية  
وسؤال وكلاء النيابة أمن الدولة عن معلوماتهم عن هذا التعذيب .

وحيث أنه ثبت لدى هذه المحكمة أن ما لحق المتهمين والشهود  
من التعذيب مع استثناء المتهم الأول كقيل بأن يؤكد عدم الأخذ بأى  
أقوال صدرت منهم . ولقد أكد ذلك واقعة ضم ملف اعتقال المتهم  
عبد الجليل شععات العربى والذي شمله الاعتراف بارتكاب حادث  
قتل وقع فى ٤ / ١٢ / ٦٢ بينما ظهر أن هذا المتهم كان فى المعتقل من  
تاريخ ٢٨ / ١١ / ١٩٦١ حتى ٢٢ / ٣ / ١٩٦٣ .

ومن ثم فإن كافة الأقوال التي أبديت قد جاءت نتيجة إكراه أدتم إرادتهم تماماً ، فسُـرَّت أقرارهم لتروى قصة مافقة لإرضاء للقائمين على التعذيب . . الذين ظنوا خاطئين أن الأدلة يمكن أن تأتي عن هذا الطريق فضلوا وضل معهم محققو نيابة أمن الدولة العليا ، فتاهوا في متاهات اعترافات خيالية ، وظهرت محاولة اصطناع الدليل الذي كشفته تحقيقات المحكمة والأوراق الرسمية التي أصرت بضمها .

- يضاف لما تقدم ما ثبت في القضايا المضمومة أن السلاح المستعمل والموصوف على لسان المتهمين والشهود لا ينطبق على العائلات المستخرجة من الجثث ، ومن أن تقارير الأطباء الشرعيين في القضايا المضمومة تؤكد أن اتجاه الأعمدة يخالف ماقرره المتهمون والشهود » .

ولست قضية كشيش قضية وحيدة في مجال الضغط والحصول على اعترافات غير صحيحة تحت وابل من التعذيب ، فقد نشر النائب العام الأستاذ محمد عبد السلام في الثاني من نوفمبر سنة ١٩٧٤ بياناً أورد فيه أرقاماً لمشرات القضايا التي أثبت التحقيق أن صوراً شنيعة من التعذيب استعملت مع المتهمين المظلومين ليعترفوا بما لم يحصل منهم ، وكان من هذه الصور الضرب بالأيدي والسياط والتجويب والتعويق في الفلقة

وإطلاق الكلاب عليهم ونزع أطراف أيديهم ورميهم في زنايات  
مغمورة بالمياه .

ومئات من الناس ماتوا تحت هذا العذاب واختفى أسرهم ، بل  
قيل عنهم أنهم هربوا من السجون ، وهناك قلة ممن ماتوا تحت العذاب  
دات الأحداث على حقيقة أسرهم ومنهم زوج السيدة التي يحكى  
الأستاذ جلال الدين الحامصى قصتها فى ٨ / ١٢ / ١٩٧٤ وهاك جزءاً  
من كلمته :

« حكمت محكمة جنوب القاهرة الابتدائية بإلزام وزير الداخلية  
بصفته بأن يدفع لأرملة مصرية ١٢ ألف جنيه تعويضاً عن قتل زوجها  
نتيجة لضربه فى سجن أبو زعبل وذلك خلال اعتقاله على ذمة إحدى  
القضايا السياسية ، وكان ذلك فى ١٥ يونيو سنة ١٩٦٠ .

« ولم تذكر الصحف - على مدى أكثر من ١٤ عاماً - شيئاً  
عن تفاصيل هذا الحادث ، لأن أحداً لم يكن يستطيع أن يتكلم ، ولم  
تسكن أرملة القتل بقادرة على أن تذهب إلى المحكمة وتطلب من  
القاضى إنصافها ، ومعاقبة الذين ارتكبوا الحادث أو الذين أباحوا للزبانية  
ارتكاب أبشع أنواع التعذيب ، وذلك لأن القانون كان فى إجازة إجبارية ،



وكان صعباً أو محالاً الوصول إلى ساحة القضاء طلباً للقصاص والإنصاف .  
 حذر بمحنة القضاء :

ولم يقبل عهد المظالم هذا الموقف من القضاء ، لقد كان هذا العهد يريد أن يتبع القضاء المصرى هوى المنحرفين من ذوى النفوذ ، ولكن القضاء المصرى كان دائماً درهماً أمام الباطل ، وسلاحاً فى يد الحق ، فلما أصدر القضاء أحكاماً تتنافى مع هوى الحاكم ، تعرض القضاء إلى محنة عاتية ، فقد صدرت القرارات بفصل جميع رجال القضاء وإعادة من لم يشترك فى إغضاب السادة منهم ، وكانت هذه مأساة تعد الأولى من نوعها ، فهى من مبتكرات هذا العهد ، وظل رجال القضاء بعيدين عن وظائفهم حتى أعادتهم ثورة التصحيح المباركة ، وأزالت الظلم عن المظلومين .

ومرة أخرى نذكر أن هناك من يلوم توفيق الحكيم أو يلومنا حين نكتب الآن عن عبد الناصر ، ويقولون : لماذا لم تسكتوا عنه . وهو حى ؟ ولعل ما أوردناه آنفاً يحمل الإجابة عن هذا التساؤل ، فعبد الناصر لم يكن يحتل أية صورة من صور النقد ، وكان موقفه من أى ناقد موقفاً بعيداً عن الإنصاف وبعيداً عن العدالة ، ووصل به الأمر إلى أن قبض على نائب رئيس الجمهورية السيد كمال الدين حسين كما ذكرنا آنفاً .

## الثقة لا الكفاءة

لا يستطيع ملك أو رئيس أن يحكم وحده، ولا بد له من أعوان يشيرون عليه ويحكمون باسمه ، وعلى ولى الأمر أن يحسن اختيار أعوانه فهم امتداد له ، ويقول صلى الله عليه وسلم : من تلد رجلاً عملاً على جماعة وهو يجد في تلك الجماعة من هو أرضى منه ، فقد خان الله ، وخان رسوله ، وخان جماعة المسلمين .

فإذا نرى في أعوان جمال عبد الناصر ؟

وما المقياس الذى اتخذ لاختيار هؤلاء ؟

لقد وضع هذا العهد أساساً عجبياً لاختيار الأعوان ، ذلك هو الثقة ، لا الكفاءة ، فاستبعد أهل الخبرة لأنهم لم يكونوا موضع ثقة (١) وأسندت المناصب الحساسة لمن يوثق بهم ولو لم يكونوا ذوى كفاءة لمثل هذا النوع من المساوئيات ، وغاب الرجل الكفاء عن المكان الذى يناسبه ، وحُشِد الأتباع فى أدنى الأمكنة ، حتى وجد فى المؤسسات الإسلامية من لا يجيد قراءة الفاتحة ، ووجد فى المناصب الإدارية الكبرى بالجامعات من لم يسبق له أن التحق بالجامعات ، وأسندت

---

(١) انظر هيكل : بصراحة عن عبد الناصر ص ١٨٧

أكبر الأعمال في أعظم مشروع للإصلاح الزراعي لمن لم يدرس الهندسة ولا الزراعة ، وعندما كنت مديراً للمركز الثقافي المصري بإندونيسيا وهي قطار غير عري أرضي لي عدد من الموظفين الذين لا يعرفون كلمة واحدة من اللغات الأجنبية ، فكان وجودهم عبثاً على المركز لا هوفاً لتيسير شؤنه .

وكان السلك الدبلوماسي من أهم الوظائف التي اهتم بها ولاية الأمور ، فاخترنا لهذا السلك أنصارهم حتى لا يذيع هؤلاء بالخارج مخازي العهد ، فازدحت وزارة الخارجية بهم ، وكانوا في نفس الوقت وسائل لمن اختاروهم ممن يشغلون وظائف كبرى من ذوى النفوذ ، يتاجرون باسمهم ، ويستوردون لهم مطالبهم .

وقد نشرت صحيفة أخبار اليوم في ٢٣ / ٣ / ٧٤ صفحة كاملة عن هذه المخازي فقد اشتغل هؤلاء تجاراً ، وعاشوا لأنفسهم ولم يندكروا بلادهم ، بل عرضوها للآسي ، وتقول الصحيفة إنه عندما ألغيت أوراق النقد المصري ذات الخمسين جنيها وذات المائة جنيها ، اتجه هؤلاء الدبلوماسيون لشراء هذه الأوراق بأرخص الأسعار ، وتوافدوا على مصر ليشتدوا بها عملات لم يشملها الإنهاء من البنوك المصرية في المدة المقررة ،

( ٧ )

وقد وصل إلى القاهرة منهم خلال هذه المدة القصيرة ٧٥ / من تعدادهم،  
وضُبطت حقائب بعضهم وبها عشرات الآلاف من الجنيهات ، ولكن  
سرعان ما صدرت الأوامر بتسليمهم الحقائب بما فيها ، وكان شيئاً  
لم يكن .

وحكاية أخرى : كان هناك إصرار من مراكز القوى على  
الاحتفاظ لأهوانهم بمناصب معينة في سفارتنا في عاصمة إحدى الدول،  
وكانت حركة التغيرات والتعيينات الخاصة بهذه السفارة تصدر من  
مكاتب مراكز القوى وترسل إلى وزارة الخارجية للاهتمام والتنفيذ .

وفي سنة ١٩٧٠ اكتشفت سلطات الأمن المصرية السر وراء إصرار  
مراكز القوى على إرسال رجالها إلى هذه السفارة بالذات ، إذ اتضح أن  
الذهب يباع في البلد الذي به هذه السفارة بأسعار خيالية ، وأن رجال سفارتنا  
يهربون الذهب من مصر ويبيعونه في تلك الدولة ، ويحققون بذلك  
أرباحاً طائلة ، وفي سجلات إدارة مكافحة التهريب بمديرية أمن  
القاهرة، وفي ملفات البوليس الحربى ما يثبت لإلقاء القبض على موظف  
صغير قبل دقائق معدودة من إقلاع طائرته إلى عاصمة هذه الدولة ،  
إذ كان يحمل معه حقيبة بها ٥٠ كيلو جراماً من سبائك الذهب عيار ٢٤ .

واعترف الموظف بكل شيء : إنه مجرد شيال ، مجرد وسيط بين

مراكز القوى في القاهرة التي تمول وبين أعيانها في السفارة الذين يقولون «النسويق» وهو - أي الموظف - لا يعرف محتويات الحقائق التي يرافقها من القاهرة إلى الجهة التي يعمل بها . فهذا هو عمله الوحيد ، وسيط أبكم أصم أعمى .

ونتيجة لهذه الفئات الفاشلة التي ألحقت بالخارجية وبالوظائف الدبلوماسية دون كفاءات ، وُجد بالخارج ممثلون لمصر كانوا لا يعرفون لغة أجنبية ، واضطروا أن يعيشوا متفوقين لا يتصلون بأحد ، وقد وصل بعضهم إلى درجة السفراء ، ولكنهم كانوا لا يعرفون عن هذا المنصب إلا مزاياه المادية ، بل العجيب أن بعض السفراء وضع في أخطر السفارات ، لا شيء إلا لإبعاده عن مصر ، حتى وُجد خليط لا يربطه رابط إلا الجهل والمرارة ، وكانت بلادنا ضحية هذا العبث المشين ، ضحية مبدأ الاعتماد على الثقة وإهمال الكفاءة .

### صورة لنائب الرئيس في ذلك العهد :

وفي الحديث عن الثقة والكفاءة ننتقل إلى قمة من قمم الحكم في العهد الماضي ، إلى واحد من أكبر أعيان رؤيس الجمهورية هو نائبه «على صبرى» وقد شاهدنا هذا النائب يسافر إلى الخارج ويعود بطائرة خاصة تحمل ماعظم قدره وغلامنه ، وكانت هناك سيارات ضخمة تنتظره

في المطار لتعمل هذه الثروة الهائلة وأدوات البذخ إلى قصره المنيف ،  
ولكن الستار كُشِفَ عن هذا التصرف ، فنشرت جريدة الأهرام أن  
الدولة وضعت يدها على كل هذه الأشياء ، ووصفت الصحيفة هذه  
المصادرة بأنها « ظاهرة صحيّة » ولكن نائب رئيس الجمهورية طل  
في جبروته وسلطانه ، حتى لقد ائتمر بعد وفاة الرئيس ، ليجمع في يده  
كل القوى والنفوذ . ويقف الإنسان حائراً ؛ هل كان هذا الرجل  
موضع ثقة وجديراً بها ؟ أو أنه قد انحرف وينبغي أن يعاقب ؟ ولكننا  
لا نجد جواباً شافياً ، فالمصادرة تتم ، والصحف تهاجم وتغمز ، ولكن  
الرجل يبقى في نفوذه ، بل يحاول أن يزحف ليضم نفوذاً جديداً .

## المشير والذهب

بل نقفز إلى الشخص الثاني في الدولة ، إلى المشير عبد الحكيم عامر  
الذي كان نائباً أول لرئيس الجمهورية ، ونائباً للقائد الأعلى للقوات  
المسلحة ، وكان يحرص إذا ذكر اسمه في الإذاعة أو الصحافة أن يتهنئ  
بهذه الألقاب ، وإن تحدث عنه في ظرف من الظروف العادية ، بل سنعصر  
كلامنا على فجيعة مَرَّة حدثت في أحلك الأوقات ؛ في اليوم السابع من  
يوليو الحزين ، وقد نشرت جريدة الأخبار مقالاً طويلاً للأستاذ موسى  
صبري تعليقاً على المحاكمات التي أجريت في مطلع عام ١٩٦٨ بسبب تجمع

أعوان المشير حوله في مؤامرة تستهدف استعادة السلطان له ولهم ؛ وكان دستورهم « لا ناصر بدون عامر » وفي هذه المحاكمات كُشِفَ القناع عن شناعة كبرى لا يغفرها التاريخ بحال من الأحوال؛ ففي خلال الانسحاب المشؤوم الذي تم بشكل غير منظم، والذي قفى على كثير من رجال الجيش بأن يتساقطوا دون مقاومة ، وأن تزهق أرواح الآلاف منهم ويقع في الأسر عدد كبير من الجنود والضباط، وبهم المئات ضالين في سيناء ، في نفس هذا الوقت كان كبار قادة الجيش يحفرون أرض الحدائق ليُخْفُوا حقائق مليئة بالذهب والعملات الأجنبية ، يا لله ! لقد باعوا بلادهم رخيصة ، وبلغت الأناية مداها عندهم ، ولكن الله أنقذ البلاد ، وأوقع بهم .

ولا يمكن أن تمر هذه الحادثة المريعة دون أن نقبس بعض كلمات الأستاذ موسى صبرى مما نشره بجريدة الأخبار يوم ١٩٦٨/٢/٧ مع تعليق بسيط ، هو أن هذه المحاكمة لم تكن لقيم ، وهذه الأسرار لم تكن لتنداع ، لولا أن هذا النفر بقيادة المشير كانوا قد وضعوا خطة للاستيلاء على الحكم ، ومن هنا قد موالى المحاكمة .

وعن هذه المحاكمة يقول الأستاذ موسى صبرى :

لإنها تكتب فصلاً حزيناً من أيام تاريخنا ، تاريخنا الذي كنا

- ١٠٢ -

نجهل الكثير من أسرارهِ حتى جاءت هذه القضية لنعلمنا بأعلى صوت :  
أيقوا أيها الجماهير ، وتنبهوا ، واسمعوا بكل الأذان ، كيف كان نصر من  
قادتكم يحكون مصيركم .

ويستمر موسى صبرى فيسأل : ماذا قال عباس رضوان ؟

قال عباس رضوان إن صلاح نصر ملئى حقيقتين بهما ٦٠  
ألف جنيه لأحفظهما فى مكان أمين ، ثم علمت أن هذا المبلغ يخص  
المشير ، لأن المشير قال لى بعد ذلك : « أنا كنت طلعت من صلاح  
تدبير حاجة » . . ويقول عباس رضوان لى سأأت صلاح نصر عن  
هذه الحاجة ، فقال لى : إنها المبالغ الذى أعطيتك لك . .  
ومتى حدث هذا ؟ . .

يوم ٧ يونيو ١٩٦٧ .

يوم النكسة ، أسود الأيام ، ساعات استشهاد آلاف الأبطال  
من رجالنا ، يوم النفوس المحطمة فى كل بيت وكوخ وشارع وزقاق ،  
يوم وصول الأعداء إلى ضفة القنال .

هل كنتُ أستطيع أن أغالب الدمع وأنا أنسكر فى قائد الجيش  
الذى تنبه وسط الحطام والأنقاض ليطلب من صلاح نصر تدبير مبالغ ؟ .



فيمدُّه على الفور ستين ألفاً من الجنيهات ويمدُّها مخبأ أميناً وينتقل عباس رضوان في سيارته ومعه ( الأمانة ) ، ليسترها تحت القراب في حديقة منزل القرية .

\* \* \*

وماذا قال أيضاً عباس رضوان ؟ . .

قال: المشير عامر قال لى .. فيه حاجة عاوز أشيلها عندك يا عباس .

— حضر يا أفندم . .

— هاتها يا طنطاوى . .

ويحضرها طنطاوى على الفور . . وطنطاوى هذا هو السكرتير العسكرى للمشير الذى صعبه إلى منزله ، وكان يقيم به مستمراً فى أداء وظيفته حتى بعد رفع كل السلطات من المشير . ويتسلمها عباس رضوان ، ويحفظها فى منزله .

وماهى ؟ . .

حقيبة بها خمسة أكياس . . وكل كيس به ألف من الجنيهات الذهبية ، خمسة آلاف جنيه ، من الذهب ، أى خمسون ألف جنيه من العملة المصرية .

— ١٠٤ —

وأين كانت ؟ . . .

كانت في مكتب المشير ، ثم انتقلت من مكتبه إلى منزله .

ومضى . . .

وقت أن كان المشير غاضباً من أجل الديمقراطية . . . ديمقراطية

الكهاس الذهب !

وقت أن كان المشير يتصل بعدد من الضباط ، ويعقد الاجتماعات

السرية في حجرة نومه ، وفيلا الدق ، وشقة الشرنبلى ، ويدرس الخرائط

ويحدد العمليات . . من أجل ماذا ؟ . . يعود إلى الجيش ويستولى على

الحكم . . ويهدى أحكام البراءة لكل المسؤولين عن المكارثة . .

\* \* \*

وماذا قال أيضاً عباس رضوان ؟ . . .

قال : في يوم القبض على الضباط المقيمين في منزل المشير . .

« سلمنى جلال هر يدى مبالغ ٩٠٠ جنيه وقال لى : دول بتوع المشير

و ٦٠٠ جنيه بتوعه هو . . وشمس بدران سلم لى مظروفاً فيه عملة

أجنبية . . وصندوق به عملة أجنبية أيضاً » .

ويقول رئيس المحكمة إن شمس بدران قرر أن العملات الأجنبية

كانت أفى جنيه إسترليني و ٨ آلاف دولار . .

نعم آلاف العملات الأجنبية يحتفظ بها أشخاص كانوا في موضع المسؤولية . . ومصانع الكادحين العارفين يحتاج إلى قطع الغيار . . ، ونداءات الكتّاب تطالب بربط الأحزمة على البطون لأن البلاد في حاجة إلى كل ملجم من العملة الصعبة لزيادة الإنتاج .

ومتى كان المتهمون يحتفظون بهذه الآلاف ؟ . . وهم يحتفظون ساخطين غاضبين . . من أجل الديمقراطية ؟ . . الديمقراطية في توزيع أسلاب العملات الصعبة على من كان ييدهم كثير من سلطات الحكم . . من منا يستطيع أن يقوى على عينه فلا تذرف الدمع الحزين على هذا البلاء . . ؟ ؟

هذا ما ظهر . . وما خفى لابد أنه أعظم . . !

والعجيب أن الأستاذ موسى صبرى مسه الضرر بسبب هذا المقال لأنه كشف بعض أسرار الماضي ، فأبعد عن الكتابة ردها من الزمن ، لأنه كشف القناع عن جماعات كان يجب أن تظل مسدودة القناع ، ولأن كشف القناع عن هذه القمم يضع مؤشرات تهز كيان الحاكمين جميعاً .

## الحراسة

لعبت الحراسة دوراً مهماً في تمزيق المواطن المصري ، وتهديده ، وإضمار الجبهة الداخلية ، ووزال الثقة بين الحاكم والمحكوم .

والحراسة كلمة أبرزها قاموس السياسة المصرية في الستينات ، ومدلولها الواقعي يختلف تماماً عن مدلولها اللغوي ، فإذا كانت في اللغة تعيد أن نحرس شيئاً ونراقبه ، فإن مدلولها لواقعي كان مختلفاً ، فقد كانت تقريباً تعيد المصادرة ، وحرمان الملاك من أملاكهم بدون قانون وبدون أسباب عادلة ، وكانت تفرض قرارات من رئيس الجمهورية .

وقد وافق مجلس الشعب في أرائل يوايو سنة ١٩٧٤ على قانون بتصفية الحراسات وإعادة الأموال إلى أصحابها ، وحدد تعويضات عادلة للذين بيعت ممتلكاتهم ، وأتاح الفرصة لمن كانوا تحت الحراسة ولم يمتنعوا بالتعويضات أن يتظاهروا أمام الحاكم .

وبهذه المناسبة نشرت « أخبار اليوم » الصادرة في ١٩٧٤/٧/٦ تحقيقاً تحدث فيه بعض المسؤولين عن صور من المآسي والعنت التي

كانت طابع ذلك النظام الجائر ، ونحن نقف على بصيرة من هذا التحقيق  
بعض الفقرات :

### أنواع الحراسة :

الحراسة التي فرضت على بعض المواطنين المصريين والتي كان  
موضوعها مثار مناقشات طويلة ، وصدرت بشأنها قوانين في المدة  
الأخيرة كانت ثلاثة أنواع :

١ - الحراسة التي فرضت في أعقاب القوانين الاشتراكية في  
أكتوبر سنة ١٩٦١ وانتهت بعد دستور مارس ١٩٦٤ وصدر  
القانون ١٥٠ الذي قرر أيلولة الأموال التي خضعت للحراسة إلى الدولة  
وتعويض أصحابها بما لا يتجاوز ٣٠ ألف جنيه من قيمة المال وأن يكون  
التعويض على شكل سندات .

٢ - هناك الحراسات التي وُضعت طبقاً لقانون أمن الدولة وهو  
القانون رقم ١١٩ لسنة ١٩٦٤ ، وكان يميز فرض الحراسة في حالة  
وجود دلائل على قيام الشخص بأي نشاط ضار وكانت بذلك أشبه  
بالعقوبة. ولولى الأمر وحده أن يصف أى إنسان بأن نشاطه ضار بدون  
أى مقياس آخر ، ويصدر أملاكه بناء على تقديره هو .

والقانون رقم ١١٩ لسنة ١٩٦٤ هو القانون المزور الذي أمرنا  
إليه عند الكلام عن محكمة الدجوى .

٣ - الحراسة التي عرفت بحراسة تصفية الإقطاع بعد حوادث  
كشيش في مايو ١٩٦٦ . . وصدرت على بعض الأشخاص باعتبارهم  
من أصحاب النفوذ والسيطرة ، وأنهم يتهربون من قوانين الإصلاح  
الزراعي .

### مضابط للحراسة في الماضي :

وعلق الدكتور جمال العاطفي وكيل مجلس الشعب ورئيس اللجنة  
التشريعية التي أقرت قانون الحراسات على القانون الجديد بقوله :

نلاحظ أنه بمراجعة حالات الحراسة التي فرضها النظام الماضي  
لا نجد ضابطاً أو معياراً لفرضها أو رفعها أو الاستثناء منها ؛ فالحراسات  
التي فرضت عام ١٩٦١ بحجة أنها وسيلة للحد من الثروات الكبيرة  
لم تشمل أفراداً كثيرين كانوا يمتلكون ثروات طائلة ، وشملت أناساً  
لا يملك الواحد منهم سوى بضعة مئات من الجنيهات وأحياناً لا يملك  
شيئاً على الإطلاق .

وفي بعض الحالات كان يُستثنى شخص وترد إليه أمواله بالكامل ،

وأحياناً تفسخ عقود البيع التي عقدها الدولة مع المشتريين . . وفي أحوال أخرى ترفع الحراسة دون رد الأملاك . وقد استسملت السلطة في الماضي لإجراء الحراسة فكانت تفرضها في حالات اعتقال أحد المواطنين حتى أنها فرضت الحراسة مرة على خفير إحدى الشركات لاتهامه في إحدى القضايا الجنائية .

كل هذا فتح الباب للتحكم والانحراف ، وأخلّ بما كان يقال آنذاك عن هدف هذه الإجراءات وهو إحداث تغييرات اجتماعية وخصوصاً أن ثروات جديدة نشأت لفئات جديدة ولم تمتد إليها الرقابة

---

أو الحاسبة .

ويضيف د. العلي : لذلك تمّ وضع القانون لتصفية الحراسات باعتبارها إجراءً انحرف عن الطريق السليم في التطبيق . . ورغبة في حل مشاكل الخاضعين للحراسة حلاً جذرياً وتسوية أوضاعهم . . وبالتالي تضمن القانون تعويضات عادلة أكثر مما كان يتوقع أصحابها . وبعد الآن لن تفرض حراسات إلا عن طريق المدعى العام الاشتراكي ومحكمة الحراسات وبضمانات حددها القانون كما ورد في دستور ١٩٧١ - وأهمها أن يواجه الخاضع للحراسة بما هو منسوب إليه ويستمع دفاعه ثم يحقّق فيه ، وهذه الضمانات الأساسية لم تكن

موجودة من قبل ، وعلى هذا فإن رئيس الجمهورية ليس له الحق بعد الآن في فرض الحراسة ، وإنما يفرضها المدعى العام الاشتراكي عند الضرورة . . والمدعى العام يمكن مساءلته أمام مجلس الشعب وأمام الرأي العام . . أما رئيس الجمهورية فإنه بحكم الدستور لا يسأل سياسياً أمام مجلس الشعب ، وقد احتتمت مراكز القوى السابقة خلف هذا الوضع الدستوري . . كما أن الحراسة لا يفرضها قرار المدعى العام الاشتراكي بل يقتصر قراره على التحفظ على الأموال تحفظاً مؤقتاً ، ويحيل الموضوع إلى محكمة الحراسة وهي التي تفرض الحراسة بحكمها الذي تصدره . . وقد توافق على قرار فرض الحراسة أو توقيفه . ومن هنا فإن الحراسة أصبحت تفرض بحكم قضائي بعد ضمانات أكيدة في حالات محددة .

### من فضائح الحراسة :

وقد حدثت فضائح ومهازل في أعقاب فرض الحراسة بأنواعها . ويعلق على هذا الدكتور يوسف أمين وإلى المستشار السابق للإصلاح الزراعي ورئيس قسم البساتين بزراعة عين شمس حالياً . . فيقول : إن فرض الحراسة كان إجراء قصدت به السلطات أحياناً التنكيل



ببعض العناصر التي افترض فيها عدم الولاء للسلطة ، وكانت الحراسة  
خسارة على الدولة أكثر منها مكسباً . . فقد أدت إلى ضعف الإنتاج  
بصورة مخجلة في أثناء إدارة الحراسة مقارنة بالإنتاج قبلها كما شاب  
تصرفات الحراسة عيوب من حيث الإدارة ، أو من حيث الاستغلال .  
والأمثلة على ذلك كثيرة :

مثلاً . .

عائلة فرضت عليها الحراسة في الفترة من سبتمبر ١٩٦٦ إلى يوليو  
١٩٦٧ على مائة فدان كانت تعطي إيرادات سنوية قدره ١٥ ألف جنيه بالإضافة  
إلى أربع مائة كينات تعطي إيرادات قدره ثلاثة آلاف جنيه سنوياً . .  
وماشية تقدر قيمتها بحوالي خمسة آلاف جنيه . . وبعد رفع الحراسة  
قدمت الحراسة لأصحاب الأرض كشوفات بديون ومصروفات على الأرض  
قدرها ١٥ ألف جنيه . . أما الماشية فقد باعوها . . وأصبح على أصحاب  
الأرض أن يدفعوا ديوناً بدلاً من أن يحصلوا على إيرادات . .

وبعد ، هذه لمحة عن الحراسة التي عانى الجوع بسببها كثير من  
الأسر بدون ذنب ارتكبه هذه الأسر ، وكان الدافع الوحيد لفرض

الحراسة هو النشفي ، وبسبب هذا النشفي جاع أطفال ونساء أبرياء ،  
ومسهم الضرر ، وقد نشرت أخبار اليوم صورة زنكوغرافية اشيك  
بمبلغ ١٩٥ قرشاً ، كان المرتب الشهري لسيدة من سيدات هذه الأسر  
هي سعاديه مصطفى الشلقاني ، وكانت الحراسة تدفع هذا الشيك لسيدة  
مصرية في نفس الوقت الذي تقدّر النفقات حمار - تمتلكه إحدى هذه  
الأسر - مبلغاً يزيد عن عشرين جنيماً شهرياً .

وكان المبالغ الذي يصرف إلى أحمد عبد الغفار ( باشا ) زهر الزراعة  
سابقاً هو ١٤٥ قرشاً شهرياً .

إنها في الحق فترة صعبة بالنسبة لبلادنا ، فترة السنينات نذكرها  
لاجئين إلى الله أن ينتقم ممن أنزلوا بأهلينا الضرر ، ومن كانوا حرباً  
شرسة على المواطنين ، وقوى تجريد التخطيط للنيل منهم ، وفي نفس  
الوقت كانوا ينهاون أمام خطط أعداء الله اليهود ، فهم بذلك يمثلون  
قول الشاعر :

أسدٌ علىَّ وفي الحروب نعمة

## النفاق

لعب النفاق دوراً خطيراً في تدمير حياتنا خلال الخمسينات والستينات فقد كان جمال عبد الناصر يستطيط المدح، وربما جاز القول بأنه كان يصدّقه ويُثيب عليه، وتبعاً لذلك وُجِدَتْ حوله جماعات تخطط للنفاق، وتنظم لاصطناع الإكبار له والإجلال، ولى تجربة في هذا المجال؛ ففي سنة ١٩٦١ كنت مديراً مساعداً للإدارة العامة للوافدين والمبعوثين، وتُشْرِف هذه الإدارة على الوافدين، وكانوا في ذلك العهد عدداً كبيراً قبل أن تنمشر المدارس والجامعات بالأنظار التي استغلت حوالى ذلك التاريخ، وكان معى موظف دهشت عندما عرفت الوظيفة المخصصة له، كانت وظيفته قيادة فيلق المناققين، فسكان إذا استضاف عبد الناصر ضيفاً كبيراً أو إذا كان عبد الناصر مسافراً أو عائداً تحرك فيلق المناققين من هنا وهناك ليردد المعافاة الرجل الملهم، قائد العروبة، وزعيم إفريقية . . . .، وكان موظف إدارتنا يأخذ عدداً من السيارات ليضعها بالطلاب الوافدين الذين تُقدِّم لهم المنح على أن تكون حناجرهم قوية، وإخلاصهم لذات الناصرية إخلاصاً، مطلقاً وعميقاً .

وراح النفاق يتسع نطاقه ويتطور، فشمّل الرسم والتصوير

والنعت ، وأصبحت رسوم جمال عبد الناصر توضع مع صور أمس وتحمس وصلاح الدين الأيوبي ، ووصل النفاق أحياناً إلى الكفر ولكنه كان مقبولا ومحموداً ما دام يتجه في التيار السائد آنذاك . وقد رأيت ورأى الناس جميعاً معنى تعبيراً شاع عقب زيارة جمال عبد الناصر للمملكة العربية السعودية لمحاولة تصفية ما كان بين مصر وبين هذه المملكة من خلافات بسبب حرب اليمن ، هذا التعبير هو وصف رئيس الجمهورية بأنه « رسول السلام » وقد اقترح البعض استعمال كلمة رائد السلام ، أو رجل السلام بدل كلمة « رسول » ولكن هذا الاقتراح ذهب أدراج الرياح ، وينس أصحاب الافتراحت من المنافقين ، فقالوا لهم : قولوها صراحة ، قولوا رسول الله فتلقوا إجابة جريئة هي : انهموها أنتم ، فإن الله هو السلام .

وحادثة أخرى أكثر صراحة حدثت عند ما زار عبد الناصر بعض مدن الصعيد ، فوقف المحافظ المضيف يعلن أن الرئيس في أي بما لم تأت به الرسل والأنبياء من قبل ، وقد همهم بعض المستمعين مستغفرين من هذا الإلحاد في بلد يقال إنه منارة الدين ، بل يقال إن الرئيس امتنع لهذا الوصف حتى توقع الناس نصيراً سيئاً للمحافظ الملحد ، وبعد أيام قليلة كوفى الرجل بأن عين محافظاً للعاصمة ، ويبدو

أنه منح سلطات واسعة لدرجة أنه أعلن بعد تسلمه منصبه الجديد أنه منحه القانون إجازة .

والمجيب أن هذه الاتجاه السكافر استمر حتى عندما كان رفات جمال عبد الناصر يُحمل إلى مقره الأخير ، فقد كان المناقون يحملون رسم الحرم النبوي الشريف ، ومن وراء قبة الحرم تظهر صورة الفقيد ، وتحتها الآية الكريمة « وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين » (١) .

بل يمكن القول بأن النفاق لا يزال موجوداً حتى كتابة هذه السطور بعد عدة سنوات من موت عبد الناصر ، فهؤلاء الذين تعودوا مدحه خوفاً أو نفاقاً لا يستطيعون أن يعودوا للحق ، كأن الباطل أصبح طبيعة الحياة ، فلا تزال صورته في كثير من الإدارات والمكاتب ، ولا يقوى أحد على إنزالها واكتفى هؤلاء الناس بأن وضعوا صورة الرئيس المؤمن محمد أنور السادات بجوار صورة جمال عبد الناصر ، مع أن صورة الرئيس رمز للبلاد ، ولا يمكن أن يكون هناك إلا رمز واحد ، وعلى هذا فليس بقاء صورة جمال عبد الناصر إلا استمراراً لنفاق تعوده الناس وألقوه ، بل ظل الناس يقولون عنه بعد وفاته « الرئيس » كأنه رئيس بعد أن رحل وحل محله سواء ، واضطرت

(١) رسائل من نفاستان للدكتور إبراهيم عبده ص ٤٤ و ١٢٥ .

وزارة الزراعة أن تسلك طريقاً وسطاً ، فأذاعت منشوراً يصفه بأنه  
 « الزعيم الراحل ، وذلك مزيج من الخوف والذفاق .  
 ومن صور الذفاق أن ملأ أهوان عبد الناصر البلاد بتماثيله ، فألقى  
 تسير تجمعات مثالا له ، في الوزارات والإدارات والمحافظات ومراكز البوليس  
 والمدارس والطرق ، ودخلت تماثيل عبد الناصر القرى الصغيرة ،  
 وقد وجد أهوان عبد الناصر وسيلة لتدخل تماثيله القرى والكفور عن  
 طريق الجمعيات الزراعية والمدارس الابتدائية ، وحوالى سنة ١٩٦٥  
 أصدرت إدارة الجمعيات التعاونية الزراعية أوامرها لهذه الجمعيات أن تشتري  
 كل منها من الأرباح تمثالا للزعيم ، وقد رأيت في قرينتنا الصغيرة موضوعاً  
 في نافذة الحجرة الضيقة التي تباشر فيها الجمعية نشاطها ، ولو صدرت  
 أوامر بجمع هذه التماثيل لامتلاؤها بها ميدان فسيح ، ولو قُدِّرت  
 تكاليفها لأدركنا أننا فقدنا مئات الآلاف من الجنيهات أثماناً لهذه  
 التماثيل التي ظنَّ أنها نخلد صاحبها ، مع أن الإنسان لا يخلده إلا عمله ،  
 وفي كثير من الحالات تذكَّر التماثيل بأخطاء كان يمكن أن تُنسى ،  
 لو لم تذكَّر بها هذه التماثيل .

وقد ظهرت فكرة إقامة تمثال كبير لعبد الناصر ، ويقول  
 توفيق الحكيم إنه تلقى خطاباً في هذا الشأن يقول فيه صاحبه إنه

موافق على إقامة التمثال ، ولكنه يرى أن يكون مكانه ليس في القاهرة بل في تل أبيب ، لأن إسرائيل لم تكن تعلم يوماً بأن تباع بهذه السرعة هذه القوة العسكرية ، ولا أن تظهر أمام العالم بهذا التفوق الحضارى إلا بفضل سياسة عبد الناصر<sup>(١)</sup> .

وبسبب عمق النفاق في بلادنا ورواج سوقه جعل الأستاذ الدكتور إبراهيم عبده عنوان كتابه عن هذه الفترة « رسائل من نفاقستان » ويقصد طبعاً بكلمة نفاقستان مصر كأن النفاق أصبح علماً عليها .

وهكذا كانت الجبهة الداخلية تعيش في حرمان وتفكك وخوف ، وكانت المهجرة من مصر أسى ما يتطاع له الناس ، وكان القلق يهز الفوس ، ولم يكن أحد آمناً على نفسه أو آله أو ماله ، وكان الجيش يمثل قطاعاً بعيداً عن الشعب لأن كثيراً من قاداته بعدوا عن الشعب وأصبحوا ملوكاً وأباطرة ، انتقلت إلى قصورهم تحف القصور الملكية ورياشها ، وإلى خزائهم جواهر الأغنياء والأمراء ، فلم يعودوا من الشعب ولا عاد الشعب يراهم على صلة به ، وكان هذا الوضع من الأسباب التي قادت للهزائم العسكرية .

---

(١) توفيق الحكيم : عودة الومى ٦٧ .

## الإنسان بضاعة في طرد

وقبل أن نتخطى ماعانته الجبهة الداخلية من مرارة وألم ، نذكر أن ذلك العهد البغيض ابتكر في مجال تعذيب الإنسان لوناً عجيباً ، إن دل على شيء ، فإنه يدل على أن المواهب والمعنويات أتجهت بحماسة لا لخدمة الإنسان بلى لتدميره نهائياً أو بجعله جسداً بدون روح ، والذي يخطر ببال في هذا المجال هو أن أحكام ذلك العهد لم يكونوا يقبلون النقد فكَّمت الأفواه ، ولكن بعض الناس أفلتوا من قبضتهم وهاجروا للخارج ، وهناك تكلموا بما يريدون ، ولم يحتمل ولاية الأمر هذا النقد ، فأعدوا عدَّتهم للقبض على هذا الذي خدعته نفسه فظن أنه بمنجى من قبضة الأشرار أعداء الإنسانية .

وللقبض على مصرى بإيطاليا مثلاً بهذه التهمة يتحتم إنفاق أموال الشعب المصرى بسخاء وبذخ ، فالزبانية يُرسلون إلى إيطاليا ، ويتفكرون أو يتصلون بوسيلة ما بأصدقاء هذا المصرى ، ويرتكبون حماقات متعددة وحيل كثيرة يستطيعون بها أن يلتفوا بهذا الإنسان بمنأى من الناس ، وهناك يسقونه دواء مخدراً أو يعطونه بعض الحقن المخدرة طويلة المفعول ، فإذا نَمَّ لهم ذلك وضعوه في صندوق على أنه بضاعة ديبلوماسية تابعة للسفارة يراد إرسالها إلى مصر بطريق السرعة ،



ويدفعون أغلى الأجر لأمرع طائرة تقوم من هناك أو يسخرّون لذلك طائرة مصرية ، وتقول الأنباء إنه حدث مرة أن زال تأثير الخدر قبل الوصول إلى الهدف ، فتمحركت البضاعة وكانت فضيحة .

إننا باسم الإنسانية نطالب بالتحقيق في هذه الأمور ، ولا يمكن أن يكون كل الذين ارتكبوا هذه الجرائم قد ماتوا جميعا ، فلا بد من مساءلة الأحياء ، ولا بد أن ينسب للأموات ما ارتكبهوه من خير أو شر فذلك هو دستور السماء « كل نفس بما كسبت رهينة »  
صدق الله العظيم .

---

وبعد ، إن مؤلفي الأفلام والمسرحيات التي تصف ما عانته الشعوب من ظلم المستعمرين والمستبدين ستجد في هذه الفترة مادة خصبة قل أن وجدت في عهد من العهود .

## ٢ -- وسائل أضعفت الجيش

هناك وسائل أضعفت جيش مصر في عهد عبد الناصر ، وسلبته ما عرف عنه من قوة وإصرار ، وما حققه مدى التاريخ من انتصارات وإجماد ، ولذلك ينبغي أن نقف وقفة نعرف فيها على أسباب هذا العجز الكبير في جيشنا العظيم .

والجيش أهم الهيئات التي ينبغي أن نقف معها في هذه الدراسة ، فهو الذي ضحى أكثر مما ضحى الآخرون ، قدّم آلاف القتلى ، وباتالي خاف هؤلاء عشرات الآلاف من اليتامى والأرامل والشكلى . وقدم كذلك آلاف الجرحى والمشوهين .

وأكثر من ذلك هناك شيء مسّ الأموات والأحياء جميعاً من الجنود والضباط ، ذلك هو سمة الجيش ومكانته التي هبطت إلى أدنى مستوى .

ومن أجل هذا يتحتم علينا أن نحاول أن نعرف على الأسباب التي أضعفت الجيش والتي فرضت عليه الهزيمة بدون معركة حقيقية :

**الموقف بين عبد الناصر ومشرقه :**

سببت حرب ١٩٥٦ اضطراباً في العلاقة بين عبد الناصر

وعبد الحكيم عامر ، وكانت الأيام تمر والعلاقات بينهما تزداد سوءاً ويقرر محمد حسنين هيكل أن حبّ عبد الناصر لعبد الحكيم عامر استمر لفترة ما بعد الوحدة مع سوريا (١٩٥٨) ، ثم بدأت علاقتهما تنزعزع<sup>(١)</sup> ، ومع هذا فإن عبد الناصر لم يستطع أن يتخلص من المشير فأبقاه كارهاً ، وتم اتفاق بين الاثنين على أن يكون الأول زعيماً شعبياً ، والثاني زعيم الجيش ، وعانت مصر وعانى جيشها أسوأ النتائج بسبب سوء العلاقة بين الشخصيتين السكبريين في الدولة .

وكانت هناك هيئتان للمخابرات ، إحداها تابعة لرئاسة الجمهورية ، والأخرى تابعة لمكتب المشير ، وكانت هناك منافسة تخفيها المصالح المشتركة ، وتطفو أحياناً على السطح ، وكان للجيش ميزانية مصر ، وقد نشرت الصحف يوماً أن بعض الهيئات شكت من نقص في الاعتمادات فقال الرئيس المشير : أعطهم بعض النقود ، ويقولون إنه كان في مكتب عبد الحكيم عامر خزانة بها الملايين من العملات المحلية والصعبة ، وكان يتصرف فيها دون رقيب أو حساب .

ورغبة في المصالح المشتركة للزعيمين اختفى التنافس خلف وفاق مصطنع ، فلما كانت هزيمة ١٩٦٧ انفضح الخلاف وأسفر عن أنيابه ،

---

(١) بصراحة عن عبد الناصر ص ١٠١

ونتم الاتفاق بأن يستقيل الاثنان وتبعاً لذلك استقال المشير ، ثم وقف  
عبد الناصر يعان على الجماهير تنحيه ، ولكن سرعان ما استجاب  
لجماهير ٩ و ١٠ يونيو الذين سيقوا بنظام ليتمفوا بضرورة بقاء زعيم  
الشعب بعد أن تخلف من زعيم الجيش ، ولكن المشير وأعوانه ثاروا  
لهذا ، وتجمعوا وقاموا بمسيرة تهدد وترقى وتزبد و«تقفوا» لا ناصر  
بدون عامر . . . .» على نحو ما أشرنا من قبل .

والمهم أن هذا الخلاف الكبير الذى عُرِفَ بعضه وخفى بعضه  
كان من أبرز الأسباب لإضعاف جيشنا الذى خلّد فى التاريخ القديم  
والوسيط والحديث صفحات مجد لا تُنسى .

### مواهب المشير :

واستمراراً مع المشير عبد الحكيم عامر ، ومدى مواهبه كنائب  
للقائد الأعلى للقوات المسلحة ينبغى أن نعود مرة أخرى إلى محمد حسنين  
هيكل الذى يصوره لنا تصوير العالم الخبير فيقول :

إن حب عبد الناصر لعبد الحكيم عامر حال دون أن يقتنع  
عبد الناصر بأن عبد الحكيم عامر لا يصلح للقيادة : إن عبد الحكيم  
عامر كان نصف فنان ونصف بوهيمى ولطيفاً جداً ، ولكنه من الناحية

المسكرية توقف عند رتبة الصاغ ، أى أنه كان يستطيع أن يقود كتيبة لكنه لا يستطيع أن يقود جيشاً<sup>(١)</sup> .

من المستول عن تسليم جيشنا إلى مثل هذا القائد ؟  
وتبقى كلمة حق نقولها هى أنه ليس الحب هو الذى دفع عبدالناصر الإبقاء على عامر ، بل المصالح المشتركة للأتين على حساب الشعب .  
واستمراراً لوصف قيادات الجيش فى العهد الماضى يقول الأستاذ صالح جودت<sup>(٢)</sup> : كان جيشنا فى الخمسينات والستينات جيشاً مسكيناً ، أسلم إلى قيادات هزيلة عابثة متسبية ، وكانت النتيجة أنه ملى بشر هزيمة بغير معركة ، واستشهد من فلذات قلوبنا عشرون ألفاً فى سنة ٦٧ ومثل هذا القدر تقريباً فيما سُمى بحرب الاستنزاف .

### كبار ضباط الجيش فى الوظائف المدنية :

ومما أضعف جيشنا كذلك أن كثيرين من كبار ضباط الجيش اختيروا ليشغلوا مناصب مدنية بعيدة كل البعد عن تخصصاتهم ، فأصبح بعضهم يدير مؤسسات اجتماعية أو إسلامية أو صناعية أو يشغل وظائف دبلوماسية ، وأصبح عادياً أن تراهم رؤساء الإدارة فى مؤسسة الأحذية

(١) بصراحة من عبد الناصر : س : ١ و ١١

(٢) المصور فى ٧ / ٣ / ٧٤

والمطاحن والنقل والأغذية : وغيرها من المؤسسات ، مما سبب حرمان الجيش من كفاءات ممتازة ، ووضع قادته في وظائف لم يدرسوا تخصصاتها ، ومما دفع كثيرين من زملائهم لمحاولوا أن يغالوا مثل هذه الوظائف التي تضمن لهم رفاهية العيش والمكاتب الوفيرة بدل خنادق الصحراء وصراع الموت .

إبعاد الأوكفاء منهم القضاة عمن الجبهة :

كانت القيادات العابثة التي أسلم لها الجيش لاتعطي العمل مع القادة الأحرار ، فأبعدت الكثيرين منهم ، ولو استطاعت لأبعدت الجميع ، بل أتى هؤلاء في السجون ، وكان ذلك من أهم الأسباب التي أضعفت جيشنا ، وعندما أطلق القادة الأحرار من السجون في عهد النور قادوا جيشنا إلى النصر المؤزر .

أعرف من هم هؤلاء الرجال الأحرار ؟ . إنهم كثيرون ، فيما يلي أسماء بعضهم مما ذكرته الصحف :

الواء أحمد بدوى قائد الجيش الثالث

الواء يوسف عفيفى قائد الفرقة ١٩

الواء أحمد الزمر أحد شهداء حرب أكتوبر

الواء عادل عباس نائب رئيس هيئة العمليات

الواء عبد الحميد حمدى رئيس أركان المدرعات

الواء جابر عبد الله مساعد رئيس هيئة التدريب

الواء أحمد الحديدى قائد مدرسة المشاة

الواء جمال فؤاد رئيس أركان حرب المنطقة الجنوبية

العميد إبراهيم رشيد رئيس أركان حرب منطقة البحر الأحمر العسكرية

وكان اللواء طه المجذوب منفصولا من الجيش ونجا من السجن بأعجوبة وأعاد عهد النور ، فقام بدور مهم فى العمليات الحربية ومثل مصر فى مؤتمر جنيف .

### الاستيقاظ على أكياس الذهب باليمن :

وضعف جيشنا كذلك بسبب العناصر للفاسدة التى احتجرت بعض أكياس الذهب باليمن ، تلك الأكياس التى كانت توزع على القبائل لتؤيد مصر ، ونحن هنا نعانى الحاجة والحرمان ، ويقول محمد حسنين هيكل وهو شاهد عيان عن هذه القيادات المحرفة : لقد تسببت بعض القيادات العسكرية باليمن ، وبدأت تستفيد من الحرب هناك<sup>(١)</sup> .

---

(١) بصراحة عن عهد الناصر ص ١٠٢

## الاستيلاء على جواهر القصور :

وما أضعف جيشنا كذلك أن الضباط المقرّبين هم الذين وُكِّل لهم جرّد القصور الملكية التي صودرت وبيّعت محتوياتها . . . وامتدت الأيدي فسلبت ما استطاعت الحصول عليه من تحف هذه القصور وجواهرها ، ويقول الأستاذ سعيد سنبل في ذلك ما يلي :

« عندما قامت الثورة الفرنسية احتفظت بقصور الملوك والأمراء والنبل ، احتفظت بكل ما تحويه هذه القصور من كنوز ، ومن تراث تاريخي لا يقدر بثمن . وتمكن الشعب الفرنسي من حماية القصور ، فلم يهدمها انتقاماً من الملوك الذين ظلموه ، ولم ينهبها ، ولم يبددها ، وإنما حولها إلى متاحف تحكي تاريخ فرنسا ...

« وتمحوّت هذه المتاحف بدورها إلى مصدر دخل للشعب الفرنسي ، لا ينضب ولا ينقطع . . ففي كل يوم يتوجه الألوف من زوار باريس إلى هذه القصور لزيارتها ومشاهدة ما في داخلها . . ويدفع الزوار في كل يوم ألوف الجنيهات ثمناً لهذه الزيارات . . تدخل جيب الشعب الفرنسي . .

« وعندما قامت الثورة في ٢٣ يوليو . . وأطاحت بالملكية ،



مصادرت أموالها . . كان المفروض أن تحتفظ بالقصور الملكية ، وأن تحتفظ بقصور الأمراء والنبل ، وأن تحولها إلى متاحف تحكي تاريخ مصر ، وأن تجعل منها مصدر دخل للشعب لا ينضب ، ولا ينقطع كما فعل غيرنا من الدول . . ولكننا للأسف لم نفعل ذلك ، بددنا هذه الثروة ، وألقينا بها في التراب .

« بيعت محتويات القصور بأبخس الأثمان والأسعار ، واختفت من هذه القصور أندر التحف والقطع الفنية التي صنعها أكبر المثلين والرسمين والفنانين تلك التي لا تقدر بثمن . . فنهبت ، وهربت إلى الخارج في ظل قوانين الحراسة والمصادرة »<sup>(١)</sup>.

ونرجو أن يحىء اليوم الذى نعرف فيه أين اختفت جواهر الأسرة المالكة ومحتويات القصور المصادرة ، والقصور التي فرضت عليها الحراسة ولا شك أن مثل هذا الانحراف كان له أسوأ العواقب على جيشنا وعلى المعارك التي خاضها ، فالتطلع إلى مباحج الحياة والرغبة في الانغماس فيها ، كل ذلك يتنافى مع التضحية التي هي الأساس الأول لانقصار الجيش ونحن نتذكر الحكمة التي تقول « اطلب الموت توهب لك الحياة » ، ولكن هؤلاء طلبوا متع الحياة ، نقضوا بالموت على كثير من الشباب الأبرياء .

---

(١) أخيرا اليوم في ١٦/٦/٩٧٥ بتصرف

## قادة النصر يذكرون أسباب الهزيمة

ويجيء الآن إلى أخطر الأسباب التي كتبت على جيشنا هذه الهزيمة المريرة ، وأراقت الدماء البريئة ، ونستمد ذلك من أهل الخبرات ، من كلمات قادة النصر ، من الرئيس أنور السادات ، ومن المشير أحمد إسماعيل ، ومن الفريق أول محمد عبد الغنى الجسى .

### أنور السادات يحكى أسباب الهزيمة :

يقول الرئيس أنور السادات فيما سنرويّه عنه فيما بعد :

لقد سبقت الأمة العربية إلى الحرب مع إسرائيل عدة مرات خلال ربع قرن من الزمان دون أن يكون هناك إلزام بعشرات من العناصر العسكرية والاقتصادية والسياسية والنفسية المحلّة منها والدول على السواء ، ودون تحديد سابق لهدف الحرب وغايتها وكل الاحتمالات التي تصاحبها<sup>(١)</sup>.

ونحن نصرّح : كيف يستهد بأمر هذه الأمة من يجهل أساليب السياسة والقيادة ؟

### المشير أحمد إسماعيل يروي أسباب الهزيمة :

- كنت قائدا للجبهة سيناء في أثناء حرب الين ، وكانت فرقة (الثانية مشاة) هى للمسئولة عن تأمين سيناء ، ولكن سحبت منها

(١) ورقة أكتوبر

للمين بعض القوات التي كانت مدرّبة تدريباً عالياً ، فضمّت بذلك الجبهة التي كنت أتولى قيادتها في سيناء .

— ولم يكن التنسيق بين مصر وسوريا في حرب ١٩٦٧ صادقا من الطرفين ! فقد كانت سوريا تخفى عن مصر خططها الحقيقية ، وكانت مصر تُخفى عن سوريا خططها الحقيقية كذلك ، وكان الشك متبادلا ، ولا يمكن أن يتعاون جانبان في معركة واحدة بغير مكاشفة كاملة بكل الأسرار والخطط ، والتنسيق الكامل لكل تحرك من الجانبين .

ونستمر مع المشير أحمد إسماعيل الذي يروى النتائج المريرة الانسحاب الذي صدرت به أوامر القيادة العليا وهو في ذلك يقول :  
— كان الانسحاب قاسياً . . فالتقات كثيره العدد والعقاد ، وخاصة أعداد الدبابات ، وكان عليها أن تنسحب غرب القناة على ٣ محاور رئيسية في منطقة المضائق ، تحت السيطرة الجوية الكاملة للمدور . . لقد كان الانسحاب مخاطرة ومجازفة غير محسوبة النتائج ضاعفت من حجم الخسائر .

وبعد الهزيمة يصف المشير أحمد إسماعيل الموقف على الجبهة بأنه كان رهيباً ومثيراً للذعر ، وهو في ذلك يقول :

كانت للجبهة عبارة عن جنود متفرقين على الشاطئ الغربي بلا وحدات تجمعهم ، وكان هناك عدد من الدبابات من مختلف الأنواع ، بدون قيادات ، كانت مبعثرة هنا وهناك ، المعنويات هابطة بعد الانسحاب ، وبعد تفوق العدو الرابض على الضفة الشرقية بزهو الانتصار ، ولا يفصلنا عنه أكثر من مائتي متر<sup>(١)</sup> .

### الجلسي يبرز أسباب الهزيمة :

وإذا ذهبنا إلى الفريق أول محمد عبد الغني الجلسي فإنه يعطينا معلومات مهمة عن أسباب هزيمة ٦٧ الذكراء ، وبالتالي يعطينا مؤشراً عن المسئول عن هذه الهزيمة ، يقول سيادته<sup>(٢)</sup> :

— إن القيادة السياسية حين تضع استراتيجيتها يجب أن تربط وتوازن بين القوة العسكرية والقوة الاقتصادية والعمل السياسي . وهذا لم يحدث في سنة ١٩٦٧ ، ووجود هذه الاستراتيجية هو سبب انتصار أكتوبر .

---

(١) الأهرام في ٢٧ / ١٢ / ١٩٧٤

(٢) لقطات من حديث له مع الأستاذ موسى صبري المر في ٢٩ / ٥ / ٧٥

— ١٣١ —

— يوم الخامس من يونيو كان يُسمى في القوات المسلحة «اليوم الحزين» وكانت تصدر الأوامر فيه للقوات المسلحة بعدم الحركة أو النزول إلى شوارع المدن .

— وفي رأي أن اليوم الحزين بدأ يوم ١٤ مايو سنة ١٩٦٧ ففي ذلك اليوم فوجئت القوات المسلحة بالأمر برفع استعاداتها إلى الحالة الكاملة للقتال ، وتنفيذ التعبئة ، وبدء حشد القوات في سيناء فجأة دون سابق إخطار ، ولهذا وقعت الكارثة في ٥ يونيو .

— كنا نُمثل القيادة العامة في سيناء ، ولكننا في الحق لم تكن قيادة لأن العليمة كانت تُدار مباشرة من القاهرة .

— وفي يوم ١٥ مايو ١٩٦٧ فوجئت القوات المسلحة بقرار سياسى آخر وهو سحب القوات الدولية . . . . ، ثم صدر قرار سياسى آخر مفاجىء بقفل مضيق تيران ، وكان على القوات المسلحة إرسال قوات لتأمين شرم الشيخ لمنع العدو من السيطرة عليها بدون قتال .

— لقد كانت القوات المسلحة المصرية ضحية الخامس من يونيو ولم تكن أحد أسبابها ، وهذه شهادة الرئيس أنور السادات في خطابه بمجلس الشعب في ١٦ أكتوبر ١٩٧٣ .

## من المسئول ؟

تلك كلمات قادة النصر ، وهى تبين بوضوح أن الهزيمة لم تكن مصادفة وإنما كانت لسوء التخطيط وإضعاف الجبهة بوسائل متعددة وسوء العلاقة بين الرئيس والمشير، واتخاذ قرارات عن الجبهة العسكرية بدون إشراك قادة الجبهة ، ودون التنسيق بين الأهداف السياسية والقوى العسكرية . . وراح ضحية ذلك عشرات الآلاف من الجنود والضباط ، وحلت بنا هزيمة قاسية ، وفقدنا جزءا عزيزا من أرضنا لا نزال نصارع لاستعادته ، وهوى اقتصادنا إلى القاع .

ولم يستطع جمال عبد الناصر أن يخفى مسئوليته عن هذه النكبات فأعلن فى نوفمبر سنة ١٩٦٧ أنه المسئول عن هذه النتائج .

فهل يمرُّ كل ذلك بدون حساب ؟؟

### ٣ - أسباب خارجية

إن سياسة عبد الناصر الخارجية فرضت علينا العزلة ، وقطعتنا عن كل شعوب الأرض ، عن العرب أشقاء الدم ، وعن المسلمين رفاق العقيدة ، وعن أوروبا وأمريكا بل وروسيا ، وكأن عبد الناصر كان يجد اللذة في الشتم والسباب ، ولكن النتائج المريرة التي أعقبت هذه الشتمات نزلت على الشعب بأسره ، ذلك الشعب الطيب الذي يميل إلى الود والجمالة وينفر من السباب والقذف .

وسنرى في الصفحات التالية صوراً من انحراف السياسة الخارجية ، ذلك الانحراف الذي كان من أهم أسباب هزيمتنا سنة ١٩٦٧ .

#### ملامة مصر في العالم العربي والإسلامي :

لمصر بالنسبة للعالم العربي والعالم الإسلامي مكانة توشك أن تكون موضع اتفاق ، ولا يكابر فيها إلا قلة قليلة تقطن شوارع الجراء بلبنان أو تتأثر بالعصافنة المأجورة التي يجردها كتاب هذا الشارع .

وإذا كانت مصر بمدد سكانها وتاريخها وموقعها وحضارتها وجهودها قد احتلت بين الدول العربية مكانتها ، فإن مصر قد دفعت

ثم هذه المسكنة جهداً وكفاحاً في الميادين الفكرية والعسكرية والاقتصادية على مر التاريخ ، ووقفت موقف الحارس الأمين على التراث العربي ولخدمة الإنسان العربي ، وضحت ولا تزال تضحى بأعلى ما تملك لتحقيق للعرب مكانهم بين دول العالم .

وهذه منفعة متبادلة نعتزُّ بها ونتمسك بدوامها ، أن نظل من العرب وبالعرب وللعرب .

ولمصر نفس المسكنة بالنسبة للعالم الاسلامي ففيها ارتفع صرح الأزهري ، وتلقَّى عَبرَ القرون والأجيال وفود الراغبين في الدراسات الإسلامية من مختلف بلاد العالم الإسلامي يوم لم يكن هناك سواء يحمى الفكر الإسلامي ويشرّحه ويذود عنه ، ومن الأزهري خرج العلماء الذين ساهوا في إفريقية وآسيا وغيرها يحملون دعوة الحق ويشرحونها ، ولا تزال مصر تقوم بنفس الدور حتى العهد الحاضر ، تستقبل الطلاب وتوفد المدرسين والدعاة ، ويمكن القول بصدق إنه لا توجد دولة تنافس مصر في هذا المعمار أو يكتب مؤلفوها عن الإسلام ، فذكره وتاريخه وحضارته مثل ما يفعل المصريون .

ومن أجل هذا تنعم مصر بمكانة صرموقة بين العرب وبين المسلمين عبر التاريخ .



## ماذا قال عبد الناصر عن ملوك العرب ورؤسائهم ؟

في ضوء هذا التقديم نسأل كيف كانت صلة مصر بالعرب وبالمسلمين في خلال عهد عبد الناصر ؟ .

الإجابة على هذا السؤال نأخذها من حقائق الواقع ، فقد أطلق عبد الناصر أسنانه على ملوك العرب ورؤسائهم بالسب والطعن ، ينتف لحية هذا ، ويسب أم ذلك ، ويتهم فلاناً بالخيانة ، وآخر بالجنون<sup>(١)</sup> . وعندما نسترجع ما قاله جمال عبد الناصر في المؤتمر الصحفي الذي عقده في ٢٨ مايو سنة ١٩٦٨ نرى فيه النص التالي :

ولقد رحبتُ باقتراح وزير خارجية الكويت الذي أكد فيه أن الكويت سوف توف تدفق البترول إذا حدث شيء ، ونحن في انتظار موقف السعودية ، وعلى أية حال فإننى أى بلد عربى تتأخر حكومته عن أداء دورها ، فإن المسؤولية تُنقل إلى الشعب ، فتصرف جماهيره بوحى من ضميرها القومى .

وهذا النص واضح الدلالة على أن عبد الناصر يُثير الشعوب ضد الحكومات ، وكان ذلك ما يؤخذ على مصر دائماً في هذه الآونة .

---

(١) الأستاذ صالح جودت : مجلة المصور ٨/٣/٧٤

وإذا أردنا أن نذكر القارىء ببعض التفاصيل عن العلاقات بين مصر من جانب ، والدول العربية والإسلامية من جانب آخر ، فإن سوريا تقفز إلى قمة الدول التي نتحدث عنها ، فقد تمت وحدة مع سوريا وسرعان ما تم الانفصال ، وفي فترة الوحدة خسرت مصر الكثير ، ثم كان الانفصال الذي تسبب عن تصرفات سيئة ، والذي كان سبباً في خلق علاقات سيئة عاشت فترة طويلة بيننا وبين سوريا .

أما خلافاتنا مع العراق فإن القارىء يذكر الصراع المبرر أيام عبد الكريم قاسم ، وبعده ، واستمرت صلاتنا في فترات كثيرة غير طيبة مع العراق ، وتبذل الآن جهود كبيرة لتأخذ هذه الصلات مكانها الموقر .

ومع لبنان نزائنا صراعاً طويلاً ضد كميل شمعون ، أنفقنا عليه عشرات الملايين من الجنيهات ، ويروى الرواة أن عبد الناصر دفع ملايين الجنيهات لزعيم معين لإبان هذا الصراع ليوزعها على من يساعدونه في الصراع ضد كميل شمعون ، ولكن هذا الزعيم خسر نفسه بنسبة كبيرة من هذا المبلغ ، فشكاه شركاؤه إلى عبد الناصر ، وكان ذلك من أهم أسباب إلغاء ورق النقد ذي الخمسين جنيهاً والمائة جنيه انتقاماً من هذا الوسيط المنحرف .

وكان لمصر دور كبير جداً في الدفاع عن الشمال الأفريقي ، ولا ينسى جيلنا ما قامت به صحيفة « المهرى » من جهود في هذا الميدان ، واستقلّت تونس والمغرب ، وأنجّحت المغرب إلى التعريب للقضاء على الفرنسية التي كان المستعمر قد أشاعها ، وطلبت عون مصر ، فأرسلت مصر لها عدداً كبيراً من المعلمين والخبراء ، ولكن سرعان ما هب النزاع بين عبدالناصر وملك المغرب ، فسحبت مصر من المغرب كل خبرائها ومدرسيها ، وتركت المدارس التي كان جل اعتمادها على مصر في فراغ وفوضى شاملين ، وأذكر أن أستاذاً في الفلسفة والتصوف تأخر في العودة لمصر عدة أيام لأن أولاده كانوا يؤدون امتحاناً بالمغرب فوضّيع في القائمة السوداء ، ومنع بعد ذلك ردها من الزمن من مغادرة مصر على الرغم من أنه كان قد عرض مشكلة أولاده على سفيرنا بالمغرب ، ووافق السفير على تأجل عودته حتى يكمل أولاده الامتحان .

وتوقفت صلاتنا بتونس توقفاً يكاد يكون تاماً بعد الهجوم على رئيسها والنيل منه .

أما السعودية وهي أكثر الأقطار العربية صلة بمصر وارتباطاً

بها ، فقد ساءت علاقاتها إلى أبعد حد ، حتى توقف ركن مهم من أركان الإسلام وهو الحج ، مع أن المصريين كانوا يكوّنون على مر التاريخ أكبر نسبة لحجاج بيت الله الحرام .

وقد عرفنا في مصر مسألة تنف الذقون التي سمعناها وأشار إليها الأستاذ صالح جودت فيما سبق أن اقتبسناه منه ، ولكن ما لم نعرفه في مصر كان أعظم ، ويمكن أن نقبس سطوراً من كتاب أفقه الدكتور صلاح الدين المنجد عن الملك فيصل ، وفيه يقول :

— في أول يناير سنة ١٩٦٣ صدر بيان رسمي سعودي يعلن أن كاذبات قنابل من طراز « اليوشن » تابعة لمصر تعمل في اليمن قامت بخارتين على مدينة نجران السعودية في ٣١/١٢/٦٢ (١) .

— في ١٨ يناير سنة ١٩٦٧ ذكرت وكالات الأنباء العالمية أن مخبرين درهم المصريون ، تلقوا من القاهرة أوامر بعمليات نسف بالسعودية ، وأن عدة يمينيين تم اعتقالهم في المملكة العربية السعودية واهترفوا بذلك (٢) .

ومن حق السعودية أن نذكر أنها واصلت تقديم الدعم بسخاء .

---

(١) الدكتور صلاح الدين المنجد ص ٥٠ .

(٢) المرجع السابق ص ٦١ .

وعندما انخفض سعر الجنيه الإسترليني دفعت الفرق بين السعرين ،  
وأنها اشتركت بسخاء مع مصر لتنفيذ سياسة الانفتاح الاقتصادي ،  
وقد سمعت من بعض القادة السعوديين تعاليمهم على الدعم بقوله :  
طالباً أخذنا وأخذ العرب من مصر ، وما ندفعه ليس إلا جزءاً يسيراً  
 مما أخذنا .

ويقول الملك فيصل في ذلك : إن تأييد مصر باليد والصلات  
لنبقى قوية وعزيزة هو حماية للعرب جميعاً ، وليس فضلاً يُمنُّ به عليها .  
مرب اليمن وتناجها السياسية والاقتصادية :

أما الين فحديثنا عنها يتجسم أن يطول لشدة ما عانينا من موقفنا  
منها ، من الناحية العسكرية ، والناحية الاقتصادية ، والناحية السياسية ،  
وقد حدث الانقلاب العسكري بالين برياسة عبد الله السلال في أواخر  
سبتمبر سنة ١٩٦٢ وبسرعة زحفت الجيوش المصرية إلى الين بدون  
سبب نعرفه إلا أننا كنا مستعدين لتأييد أية ثورة على حكام البلاد  
العربية ، وكان هذا الاتجاه يقضى على الثقة بيننا وبين هؤلاء الملوك  
والرؤساء .

وبمناسبة الحديث عن حرب الين وما جرته علينا من أهوال ،  
نذكر أن شيئاً لم يُدَّعَ حتى الآن عن الدوافع التي دفعت لهذه الحرب ،

التي كان العرب طرفيها ، والتي كلفت مصر آلاف الملايين من الجنيهات ، وآلاف الشهداء الذين سقطوا هناك ، بالإضافة إلى آلاف اليمنيين الذين قضت عليهم غارات جيشنا وقواتنا .

وقد ظلت هذه المعارك تدور حوالى ست سنوات ( ١٩٦٢ - ١٩٦٧ ) فاستنفدت الكثير من جهودنا وكية هائلة من أسلحتنا ، وأغضبت علينا كثيراً من الأصدقاء ، وكانت من أهم أسباب الهزيمة التي منيّا بها سنة ١٩٦٧ ضد إسرائيل ، فقد كانت قواتنا المسلحة مرهقة ، وأسلحتنا مبعثرة ، وكنا نحارب في ميدانين . ومن العجيب أننا كنا نحارب لتثبيت الثورة التي أعلنها المشير السلال ، وكانت قواتنا تخوض هذه المعارك ، واللال تابع في قصر منيف بمصر الجديدة .

وحرب اليمن كانت فاتحة فساد بمصر ، استمر مدى طويلا ؛ فبروى أن مصر كانت تقدّم أكياس الذهب لبعض القبائل لتتحول عن الإمام البدر الذي يقال إنه كان يقوم بعمل مماثل ، وطمع بعض الذين كانوا يقدمون أكياس الذهب في بعض هذه الأكياس ، وكان ذلك مطلع الاتجاه إلى ثراء غير مشروع كان من أسوأ ما عانينا في الستينات .

ويضيف الأستاذ توفيق الحكيم في حديثه عن أكياس الذهب قائلا : إن خطأ الذهب الذي نملكه ضاع بأكمله في هذه الحرب الضائعة ، وإن كثيراً من القبائل كانت تأخذ ذهبنا بالنهار ، وتترصد لضباطنا وجنودنا بالليل ، فتصطادهم ، وتقطع رؤوسهم أو تسلمهم للطرف الآخر ، وانتهى الأمر بالبن أن سارت مخالفة لمصر في اتجاهها السياسي<sup>(١)</sup> .

ومن الأشياء المضحكة المرتبطة بالبن أن خلافاً شديداً برز بين مجلس الوزراء الليبي من جانب والرئيس السلال من جانب آخر ، فدعى مجلس الوزراء إلى القاهرة لتصفية الخلاف ، وفي القاهرة اعتُقل الوزراء جميعاً وأودعوا سجن القلعة .

والمعجب أن الصحافة المأجورة بلبنان كتبت عن هذا الحادث منوهة بأريحية مصر وكرم حكامها الذين استضافوا مجلس الوزراء ووضعهم في ضيافة كريمة بالعاصمة المصرية .

**علاقاتنا مع الدول المسلمة بين الضعف والقطيعة :**

وإذا جئنا إلى العالم الإسلامي وجدنا أن الدول الإسلامية بعدت عنا كلها تقريباً ، فقد طردنا سفير تركيا ، وسفير إيران ، وصادقنا

الهند على حساب باكستان ، وصادقنا قبرص على حساب تركيا ، وكان من الممكن أن نصادق الهند وباكستان معاً ، وتركيا وقبرص جميعاً ، ولكن الفسكّر الإسلامي لم يكن يوضع في الميزان .

وهناك دول إسلامية غير تلك التي ذكرناها ، وهي توجد في إفريقيا وفي آسيا ، ولكن العلاقة كانت بيننا وبينها فاترة ، ولعل موقف مصر من الإخوان المسلمين كان من أسباب فنور هذه العلاقة ، وبخاصة أن بعض رؤساء الدول الإسلامية ، وبعض برلمانات هذه الدول تقدمت بصور من الاستعطاف لإنقاذ رأس الأستاذ سيد قطب من للشنقة ، ولكن جمال عبد الناصر أسرع فدفن بالرجل العالم إلى المقبرة . فمكان لذلك أثر سيء في كل البلاد الإسلامية .

والذي حدث بالنسبة للدول الإسلامية في آسيا حدث مثله بالنسبة للدول الإسلامية في أفريقيا ، فقد توثقت علاقات جمال عبد الناصر بالامبراطور هيلاسلاسي الامبراطور السابق للحبشة الذي كان يقيم أعياد ميلاد سخية لسكرانه ، وشعبه يسقط من الجوع والحرب ، ومن المعروف أن علاقات الحبشة بكثير من المناطق والدول الإسلامية المجاورة لها كانت سيئة للغاية مما أساء إلى علاقاتنا بالصومال والسودان وأريتريا .



والذى لاشك فيه أن سوء علاقاتنا بالبلاد العربية والإسلامية ،  
أضعف من كياننا أمام العالم ، فقد كان من الممكن أن تقوى هذه الدول ،  
ولسكن انصرافها عنا لهذه الأسباب ولغيرها حرمتنا قوة كبيرة كانت  
دورها يساعدنا لدى الأحداث .

وحق يتبين للقارى مدى التأييد الذى يمكن أن نلقاه من الدول  
الإسلامية ، نذكر أنه لما أصبح أنور السادات رئيساً للجمهورية ،  
ووضع أسساً جديدة لعلاقاتنا مع الدول الإسلامية ، حصلنا على  
تفسيرات اقتصادية ضخمة من إيران ، وارتفعت أصوات الدول  
الإسلامية تؤيدنا ونشد من أزرنا .

### علاقاتنا مع روسيا وأمريكا وأوروبا :

ولم تسكن علاقاتنا طيبة بباقي دول العالم ، فالتاريخ يشهد أننا بعد  
الاعتداء الثلاثى هاجمنا روسيا وسخرنا من تهديد بولجانين المعتدين ،  
ولم يسلم خروشوف من هجومنا ، مع وقوفه بجانبنا فى كثير من الأزمات .  
وقد قلنا من قبل أن أمريكا وقفت وقفة صلبة ضد المعتدين  
سنة ١٩٥٦ ، واستمجتعت الاعتداء وأمرت على سرعة جلاء الجيوش  
المعتدية ، وكان لها ما أرادت ، فلأمريكا وزنها العالمى ، ولسكننا لم  
نشكر هذه اليد ، وانطلقنا فتغنى بنصر مزعوم ، وحددنا يوماً أسميناه

- ١٤٤ -

« عيد النصر ، وانطلق المغنون بقرنودون بأننا انتصرنا . . . وقد سمعت آنذاك - وكنت بالخارج - من بعض الأمور يكان من يقول : إن عدم الاعتراف بالجبل سيدفعنا يوماً أن نتخلى عنكم إذا حدث عدوان جديد . وكان هذا هو موقف أمريكا منا في عدوان ١٩٦٧ .

وقطعنا علاقاتنا مع ألمانيا الغربية ، فتوقفت مصانع عديدة ببلادنا كان موظفوها يذهبون في أول الشهر ليتسلوا مرتباتهم ، ثم يعودون إلى الضياع والفراغ باقى أيام الشهر .

ويقول الأستاذ صالح جودت رئيس تحرير مجلة « المصور » في مقاله الذى أشرنا له من قبل :

« أما العلاقات الدولية . . . لحدث عنها ولا حرج ؛ لقد ساءت علاقاتنا بكل الدول ، وبالعسكريين منها حد القطيعة وإغلاق الأبواب بالنضبة والمنتاح . حتى الاتحاد السوفيتى . . . الصديق الوحيد الذى احتفظ هذا « الماضى » بصداقته ، نازله فى أكثر من جولة ، وألقى بالمعاطفين معه واللائذين به فى مصر سبع سنوات فى ضياع المعتقلات وأذكر ذات يوم ، أنه حدث فى إحدى الحفلات الدبلوماسية فى الخارج ، أن التفت أحد الدبلوماسيين الأجانب إلى السفير المصرى ،

وقال له : لماذا لاتضع سفير دولة كذا . . لأنه سفير الدولة الوحيدة  
التي لم تصفعوها حتى الآن » .

وهكذا أصبحنا وحدنا في عصر يُعدُّ التجمع فيه أساس النصر ،  
واكتفينا بالأصوات التي تنبعث من شارع الجراء بلمبان مشجعة لنا  
على هذا الموقف المريب ، لأنها في الحق لم تسكن تقصد مصالحنا ،  
ولما كانت تحمدها لتضعفنا وتضعف بنا العروبة والإسلام ، فهذه  
الأصوات مأجورة ، متهمة في عروبتها ، بعيدة عن الإسلام ، تعمل  
وراء المنفعة الذاتية السريعة ، وللأسف وجدت استجابة منا ، فمادت  
في اتجاهاتها الشريرة .

**المصري بالخارج بين هميين :**

وامتداداً لما ذكرناه عن موقف مصر من الدول العربية ،  
وموقف الدول العربية من مصر ، كان المصري بهذه الدول خلال  
العشرين سنة الماضية إنساناً كريهاً إلى الناس مع حاجة الناس إليه .  
وانفسح المجال للأستاذ أنيس منصور ليقبس بعض عباراته  
في هذا المجال (١) :

هذه حقيقة نعرفها ويجب أن نقولها بهراحة : لقد كان المصري

---

(١) الأخبار : ١٣ / ٣ / ١٩٧٤ .

هو الإنسان «القبيح الوجه» في كل العالم العربى ، كان إنساناً يخاف منه العرب ولا يحبونه ، وقد يحزنون على ما أصابه ، فحصر أم العالم العربى ومقدأمله ، والدولة الكبرى ذات الحضارة العريقة ، وهى التى احتضنت أكثر العرب ، وهى رمز ذكرياتهم ... فقيها عاشوا ، وفيها شربوا العلم والأدب والفن ... ومنها أكثر أمهاتهم وزوجاتهم ، وفيها أولادهم يدرسون أو يتنزهون .

ولجأة ولدة عشرين عاماً ، تحول كل مصرى يعمل بالخارج - فى نظر الذين يعمل لهم - إلى جاسوس ومخرب لكل مدرس مصرى اتهم بأنه جاء يقلب نظام الحكم ويوزع المنشورات ، كل طبيب جاء ينقل الأخبار ، ويبعث بها إلى المخابرات المصرية ، وهكذا أصبح كل مصرى شخصاً غير مرغوب فيه ، واحتاج المصرى البريء إلى أن ينطوى على نفسه وأن ينمزل أو يكد لأهل البلاد التى يعيش بها أنه لا شأن له بما يحدث فى مصر ، وفى نفس الوقت ، كان هذا المصرى الانطوائى خائفاً من زملائه المصريين الذين يعملون لحساب المباحث والمخابرات ... أو يدعون ذلك ... فأصبح المصرى كريباً أمام كل مصرى ... وأمام غير المصريين ، ولجأة تغير كل شيء ، وسوف يتغير أكثر وأكثر ، فقد أصبحت مصر دولة يرأسها حاكم لا اطلاع له خارجها ، يرأسها رجل

يرى أن همومه المصرية عبء ثقیل جداً ، وأنه ليس في حاجة إلى مزيد من الهموم العربية .

وأحس كل مصري أنه مصري ، وأن هذا مصدر إعزازه ، وأنه يستطيع أن يعيش في أمان ، وأن يقدم خبرته لمن يريد . وأنه لاشأن له بغيره ولا بحياة الآخرين . . . إنه ضيف حايهم ، وضروري لحياتهم كما أنهم ضروريون له . . . يعطى ويأخذ . . . وأنه سلاح لكل بلد يعمل فيه ، وليس سلاحاً على هذا البلد ، وأنه استطاع أن يجعل وجهه كريماً . .

إن هذا المكسب الهائل يجب ألا نضيعه . . . وهذه الثقة الغالية يجب ألا نبدها . . . ويجب أن يبقى كل مصري في مكانه الكريم حيث يعمل مدرساً ، ومهندساً ، ومحاسباً ، وطبيباً ، وعاملاً ، إنهم جيش عمل ، من أجل مصر ، ومن أجل العروبة . . . إن كل يوم من أيامهم هو ٦ أكتوبر جديد . . . لأنه يقضى على المصري القبيح الوجه بغير ذنب جناه !!

## جيل مضلل

كأستاذ في جامعة القاهرة وفي غيرها من الجامعات والمعاهد ، أقابل أحيانا بعض الشبان المصريين الذين يتمصبون لعبد الناصر ، ويؤمنون به ، ويدافعون عنه ، صييح أن هناك جمهرة واسعة منهم ، استطاعت أن تعرف الحق وتنتصر له ، ولكن أتباع عبد الناصر على كل حال لا يزالون موجودين .

وكأستاذ تستلزم أعماله وتبعاته أن يزور كثيراً من البلاد العربية ، وأن يستقبل الكثيرين من الوافدين على مصر من هذه الأنظار ، أقرر أن بعض هذه الأنظار الشقية يوجد بها أنصار لعبد الناصر ، يسبحون بحمده ، ويدافعون عنه .

وهكذا بينما نجد إجماعاً من الأساتذة ومن جيلهم على انتقاد عهد عبد الناصر ، والشعور برأته ، وبأنه سبب ما تعاني من احتلال يهودي ، وحرمان اقتصادي ، واضطراب في المرافق والنفوس ، نجد جيل الطلاب ، ونجد الإخوة العرب لا يجتمعون على هذا الرأي ، وإنما يقفون صفين بين الولاء وبين الجفاء .

ما الذي ضلل بعض الجيل الناشئ بمصر ؟

ما الذى ضلّل بعض الإخوة العرب ؟  
 ماذا ما نحاول هنا أن ندرسه بصبر وأناة لئلا نساعد هؤلاء وأولئك  
 العودة للطريق المستقيم .

### الأسباب التى ضللت الجيل الناشئ بمصر

ليما يتعلق بمصر كان من الطبيعى أن يوجد هذا الجيل المضلل ، فإن  
 له الشبان الذين ولدوا أو شبوا فى العشرين سنة الماضية كانوا فى  
 ر فكري محكم تنطق كل جوانبه بتمجيد عبد الناصر وتعظيمه ،  
 هؤلاء فريسة هذا الحصار ؛ فى خطواتهم الأولى إلى المدارس  
 دائية فى سن الخامسة أو السادسة تلقاهم المدرسون فى هذه المدارس  
 يد وتوجيهات حفظوها وآمنوا بها وهم فى سن الزهور ، وقد كان لنا  
 ، بجوار مدرسة بالمعادي ، وكان النشيد الآتى يكرر كل يوم عدة مرات :

ناصر كننا بنحبك ناصر

وحننفضل جنبك ناصر

ونعيش ونقولك ناصر

يا حبيب الكل يا ناصر

فإذا وصل هؤلاء إلى المدارس الإعدادية وجدوا تاريخاً مزيفاً  
 عليهم حياتهم ويقرر لهم مجد عبد الناصر فى كل علم يطرأونه ؛

ففي مواد اللغة العربية أصبح عبد الناصر موضوع المحادثة والمطالعة والإنشاء ، وفي التاريخ ظهر عبد الناصر الخالق الأوحد لتاريخ مصر ، وفي العلوم ظهر عبد الناصر مصنّع البلاد ، وازدانت المدارس بتماثيله وصُورِهِ في كل مكان وكل اتجاه . . . فإذا وصل هؤلاء إلى المدارس الثانوية وإلى الجامعة وجدوا مواد تنتظرهم لتوثق في نفوسهم حب عبد الناصر ، ومن هذه المواد :

— المجتمع العربي الذي كان يُدرس بالجامعة بالفرقة الأولى ويُبنى كما، على أن عبد الناصر هو باني هذا المجتمع .

— ثورة ٢٣ يوليو وأجسادها وهو رائدها وعمادها وتدرس بالفرقة الثانية .

— الاشتراكية كطريق وحيد للتغيير منحه عبد الناصر لاهل وتدرس بالفرقة الثالثة .

— المادة القومية وتدرس بالفرقة الرابعة .

وفي خارج المدرسة أو الجامعة يصرخ المذيعون بالإذاعة والتلفزيون ، ويكتب الصحفيون في صحفهم في نفس هذا الطريق ، والويل كل الويل للمدرس والصحفي الذي يحيد عن هذا الخط ، ومن أجل ذلك فُصل مدرسون ، وأُقفلت دور صحفية عظيمة ، وأُبعد صحفيون



إلى مؤسسة الأحذية والمضارب ، ابقى صوت واحد ونقمة واحدة  
تسبح باسم عبد الناصر .

ربما تسألني عن دور البيت في إرشاد التلاميذ والطلاب ، وأقول  
لك والألم يملأ نفسي إن الآباء كانوا يخافون إن تسكلموا لأولادهم  
ضد عبد الناصر أن ينقل الأولاد لزملائهم في سداجة هذا الاتجاه ،  
فيكون في ذلك تدمير الأسرة وتعذيب هائلها ، وقد حدثت نماذج  
من ذلك جعلت الآباء يكشفون عن الحديث عن عبد الناصر أمام أولادهم  
مسلمين أسرم وأمر أولادهم .

وهكذا لم يعرف الكثيرون من الشباب طريق الهداية ، حتى زال  
هذا العصر ، وبدأ عصر النور ، وأخذ جيل الثورة يسمع غير ما عرف ،  
فتمزق واضطرب حيناً ، وقاوم حيناً ، وعرف أكثرهم الحق فارتضوه  
ولا يزال آخرون يرون بمرحلة دراسة واختبار .

صحيح أن جمهرة الطلاب ثارت على عبد الناصر سنة ١٩٦٨  
وكانت ثورة الجامعات عاتية ، ونتيجة لها توقف للتدريب العسكري  
الذي كان مقررأ على الجامعات لفقدان الثقة بين القائد والطلاب ،  
ولسكن ولي الأمر سرهان ما هدا هذه الثورة بجاذبات صورية ،  
وبتعبير ابتدعه هو أن ماحل بنا كان بسبب « مراكز النفوذ »

واستطاع عبد الناصر بذلك أن يحتوى أكثر عناصر هذه الثورة وأن يقلل فاعليتها ردحاً من الزمن ، حتى كُشِفَ النقاب وأُسِفِرَ الفجر ، وبدأت الحقائق تتضح ، فتحدث الأساتذة بصراحة إلى طلابهم ، والأساتذة أكبر سناً وأوسع معرفة من أولئك الذين علموا في المدارس الابتدائية والإعدادية والثانوية ، أو كتبوا وتحدثوا تحت ضغط فاس في الصحافة أو الإذاعة أو التلفزيون ، فبدأ الباطل بذلك يتفشع ، والحديعة تزول .

ومن حق الدراسة التي نقوم بها هنا أن تكون دراسة علمية لا عاطفية ، ومن أجل هذا نريد أن نعرض الأساطير التي شيدوا عليها مجد عبد الناصر انرى مدى الصدق فيها ، فهذه الأساطير كانت السراب الذى تخيلوه صرحاً هائلاً ، ووضعوا في قوته عبد الناصر ، فلنسرّ معاً مسيرة علمية انرى حقيقة ما اعتبره المزيّفون مكاسب لذلك العهد .

ونسكرر ما سبق أن أوردناه من أن الإنسان المصرى في عهد عبد الناصر كان قلقاً مهدداً ، أو معذباً ، ولا قيمة لأى تقدم مادي لا يخدم الإنسان ، فما بالك لو اتضح أن ما اعتبر تقدمًا ماديًا كان في الحقيقة سراباً لا وجود له ؟

## مكاسب عهد عبد الناصر في الميزان

يشرفني أن أقف في صفوف الكادحين الذين يعملون لتصحيح اتجاهات الشباب ، ليس فقط حبا في تسفيه ضلال الماضي ، ولكن أملا ألا يعيش ضلال جديد في بلادي ، يعرقل سيرها ، ويضعف أهلها ، ويوهن خطواتها الحضارية . فأنا مصرى أغدقت عليه بلاده الخير ، واتاحت لي هذه البلاد التحاقاً بأعظم جامعات أوروبا ، ونلت من عرق الفلاح والكادح الشيء الكثير ، ولذلك ترى مديناً مصر ملتزماً بالوفاء لقرابها ولبنيتها ، ومن الحق أن أقرر أنه كانت أمانى طرق وأنظار تحاول أن تجذبني بذهبها وأموالها ، ولكنني رفضت كل هذه الصنوف من الإغراءات ، وقررت أن أبقى في بلادي ، أعلم أبناءها وأكتب في جوها لكل العرب وكل المسلمين ، وأنا هنا أقدم دراسة علمية لسهل ما قيل عنه إنه مكاسب الثورة ، ولم كنت أتمنى أن تكون لها مكاسب حقيقية ، تتلاءم مع العشرين سنة الماضية التي خطاها العالم خلالها أوسع خطواته في مختلف الميادين وحقق أعظم المعجزات ، وسنرى من الدراسة التالية مدى الصدق أو مدى الزيف فيما سمي « مكاسب ذلك العهد » وستكون معنا في البحث آراء المتخصصين والخبراء :

## الاشتراكية

ما معنى الاشتراكية ؟

وماذا حقق عهد عبد الناصر منها ؟

في الإجابة عن السؤال الأول نقرر أن الاشتراكية عند Sweezy هي نظام اجتماعي متكامل لا يسمح بوجود ملكية خاصة لوسائل الإنتاج ، ولا يسمح بوجود طبقات ، ويخضع العمل في ظل الاشتراكية إلى تخطيط يكفل مصلحة المجتمع <sup>(١)</sup> .

والاشتراكية عند Bonar هي السياسية أو النظرية التي تستهدف تحقيق توزيع أفضل للثروة ، ويؤدي ذلك بالضرورة إلى إنتاج أفضل ، وذلك عن طريق تدخل السلطة الديمقراطية المركزية <sup>(٢)</sup> .

وعند G. Sumner هي أية خطة أو مذهب يستهدف إنقاذ الفرد من أية مصاعب أو متاعب يلقاها في نضاله من أجل البقاء ، وفي تنافسه في معترك الحياة <sup>(٣)</sup> .

وخلاصة هذه الآراء أن الاشتراكية ينبغي أن نتحقق بها الأهداف التالية :

---

The Theory of Capitalist Development p. 7. (١)

Socialism : Encyclopaedia Britannica. (٢)

See : Class and American Sociology from Ward (٣)  
to Rans p. 103

- الديمقراطية .
  - نظام اجتماعى متكامل .
  - لاطبقات .
  - تخطيط يكفل مصلحة الفرد ومصلحة المجتمع .
  - حسن توزيع الثروة .
- ونجىء للسؤال الثانى لفسأل : ماذا حقق عهد عبد الناصر من هذه الأهداف ؟
- يقول الأستاذ توفيق الحكيم إن اشتراكية ذلك العهد كانت مجرد التأميم والاستيلاء على أموال وقصور ، لتحلّ فيها طبقة أخرى باسم آخر ، تماثلها فى الثراء ، وتنشبه بها فى الترف (١) .
- ويقول الأستاذ إحسان عبد القدوس : إنه لم يحدث شيء فى المجتمع المصرى بعد الثورة ، وكل ما حدث أن أشخاص وأسماء وعائلات الطبقة الراقية وأولاد الذوات قد تفرقت (٢) .
- ويتحدث الأستاذ صالح جودت عن اشتراكية عبد الناصرية قولاً إنه نظام ظاهره العدالة الاجتماعية ، ولكنه انتهى إلى إفقار الأغنياء وتجويع الفقراء . وما باللك باشتراكية يتزعمها على صبرى بعد جمال عبد الناصر ،

(١) عودة الوعى : ص ٧٢ .

(٢) جريدة الأهرام فى ٢/٨/١٩٦٠ .

وَأُلِفَ فِيهَا عَلَى صَبْرِي كِتَابًا عَرَضَ فِيهِ نَفْطَرِيَاتُ شِيوعِيَّةٍ تَفَرِّضُ حَيَاةَ  
التَّقَشُّفِ ، وَتُوجِبُ الْقَضَاءَ عَلَى التَّمَلُّعَاتِ الرَّأْسِمَالِيَّةِ الَّتِي تَبِيحُ الْقُصُورَ  
وَمَتَاعَ الْقُصُورِ ، وَلَكِنْ هَذَا الزَّعِيمُ الْأَشْتِرَاكِيُّ كَانَ لَهُ قَصْرَانِ أَحَدُهُمَا  
بِالْقَاهِرَةِ وَالثَّانِي بِالْإِسْكَنْدَرِيَّةِ وَقَدْ أَزْدَجَا بِالرِّيَاشِ الْفَاخِرِ وَبِأَحْدَثِ  
الْأَجْهَزَةِ مِمَّا لَا يَوْجَدُ إِلَّا فِي قُصُورِ أَهْمَابِ الْمِلَايِينِ مِنَ الْأَمْرِيكَانِ ،  
وَأَنْ مَلَابِسَهُ وَمَلَابِسَ آلِهِ كَانَتْ تَجْلِبُ مِنْ لَنْدُنَ وَبَارِيسَ ، كَمَا تَجْلِبُ لَهُ  
الْفَاكِهَةُ النَّادِرَةُ وَالْعَطُورُ الْفَاخِرَةُ (١) .

وَيَذْكَرُ الدُّكْعُورُ لِإِبْرَاهِيمَ عَهْدَهُ (٢) عَنْ رَئِيسِ جِهَازِ الْأَشْتِرَاكِيَّةِ أَنَّهُ  
كَانَ عِنْدَمَا يَصِلُ إِلَى مَقَرِّ جِهَازِهِ ، بِسَرْعٍ مُوَظَّفٌ خَاصٌّ إِلَى الْمُسْعَدِ  
فِيَطْلُقُ فِيهِ نَوْعًا مُتَمَازًا مِنَ الْعَطُورِ الْإِكِيَّةِ ، وَيَنْطَلِقُ سَاعَاتُ آخَرُونَ يَطْلُقُونَ  
الْعَطُورَ فِي حَجَرَةِ مَكْتَبِهِ ، وَهُوَ بِذَلِكَ يَفْعَلُ مَا فَعَلَهُ الْأَبَاطِرَةُ وَالْمُلُوكُ  
فِي الْعُصُورِ الْوَسْطَى .

وَإِذَا كَانَتِ الثَّوْرَةُ قَدْ حَدَدَتْ لِلْمِلْكِيَّةِ الزَّرَاعِيَّةِ ، فَإِنْ مَلَكَاتِ  
كَبِيرَى قَدْ اِمْتَلَكَهَا أَنْاسٌ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ عَهْدٌ بِالثَّرَاءِ مِنْ قَوْلِ ، كَالْعِمَارُ  
الشَّاهِقَةِ ، وَالْحَدَائِقُ الْغَنَاءُ ، وَمِلَايِينُ الْجَنِينِيَّاتِ بِالْإِدَاخِلِ وَالْخَارِجِ ،

(١) رِسَالَتَانِ مِنْ نَفَاقِسْتَانِ ص ٥٦ .

(٢) الْوَسْوَاسُ الْخَنَاسُ ص ٦٧ .

وشئون الاستيراد والتصدير التي تنفلّ ييسر أرقاماً خيالية من الثراء .  
 وهل يُعَدُّ من الاشتراكية أن يوجد في القصر الجمهوري مئات  
 من الأفراد في درجة وزير أو يتقاضون مرتب الوزراء ومخصصاتهم  
 دون أن تكون لهم وزارات أو أعباء الوزارات ؟  
 ويقال إن عدد وزراء هذا النوع فاق كل مبالغته وطالما قابلتُ  
 بعض الناس ورأيت من يناديهم « معالي الوزير » فإذا سألتُ عن  
 وزارته قيل لي أنه وزير بالقصر .

ويقول الدكتور محمود القاضى في مناقشات مجلس الشعب  
 في ١١ / ١٢ / ٧٤ أن عدد هؤلاء في القصر وخارجه بلغ سبعة وزراء  
 ونائب وزير ، وتلك مخالفة دستورية ، وعبء ثقیل على الميزانية .

وهل يُعَدُّ من الاشتراكية أن تزدهم وزارة الخارجية بسفراء  
 متعددين ينالون حظ السفراء ولا يعرفون معارفهم ؟

وهل يُعَدُّ من الاشتراكية أن تُخْلَق الألقاب والأصهار حديشي  
 التخرج وظائف رفيعة في صحيفة الأهرام وأمثالها من المؤسسات بمرتبات  
 تعد بمئات الجنيهات بينما يعاني زملاؤهم البطالة حيناً ، حتى تلقى بهم القوى  
 العاملة بمكان ما ، بمرتب لا يفي بأجر السكن أو القوت الضروري ؟  
 وهل يُعَدُّ من الاشتراكية أن تقدم المنح بالآلاف المرتزقة من

المؤلفين الأجانب ليكتبوا كتباً يمجدون فيها عبد الناصر ؟ أو للصحفيين في لبنان وغيره ليكتبوا عن زعيم الشرق بعض المقالات ؟ وهل يعد من الاشتراكية ماورد في صفحة ٢٠٧ من التحقيق الذى أجرى بعد تصحيح مايو مع أحد وزراء القصر في عهد عبد الناصر من أنه اشترى لزوجته وبنتيه ملابس من الخارج بعملة أجنبية بلغت قيمتها ١٢ ألف جنيه في عام واحد ، دُفعت من المصروفات السرية ، في نفس الوقت الذى تقف فيه طواير طويلة من المصريين أمام المحال التجارية في انتظار القليل من الكسكسور والدمور .

إنى اشتراكية عبد الناصر كانت نطاً وحدها ، ولذلك قدّر لها أن تكون قصيرة العمر ، وأن تعود الدولة إلى سياسة الانفتاح ، وإلى الديمقراطية الحقة ، وتعيد التخطيط لمصلحة المجتمع ، وتقضى بذلك على استعمال الكلمات بدون مدلول .



## الإصلاح الزراعي

ما معنى الإصلاح الزراعي ؟

هل هو فقط تحديد الملكية وتمليك الفلاح عدة أفدنة من أرض

مالك كبير ؟ أو أن الإصلاح الزراعي مفهوم أعم وأسمى ؟

إن المفهوم العلمي للإصلاح الزراعي يسعى لتحقيق الأهداف التالية:

— العمل على كسح المزارع لاستصلاح مزيد من الأراضي لغرض

مساحات جديدة من الأرض البور إلى الأراضي المنزرعة .

— رعاية التربة في الأراضي المنزرعة بتحسين الصرف وإنتاج

المخضبات بأرخص الأسعار .

— تنظيم الدورات الزراعية ومحاولة الإكثار منها بدون

إرهاق للتربة .

— حسن اختيار البذور ذات المحصول الجيد والوفير .

— الرقي بوسائل الفلاحة ، وذلك بالقضاء على المحراث والطمبور

والشادوف والساقية التي انحدرت من عهد خوفو إلى الوسائل الزراعية

الحديثة التي أنتجها العقل البشري ، وفوقت جهد الإنسان والحيوان ،

وضاعفت دخل الأرض .

— ويدخل في مفهوم الإصلاح الزراعي الحديث الاهتمام  
بالإنتاج المتصل بالأرض ، كإنشاء مصانع لتعليب الخضرة والفاكهة  
حيث تسكثر أنواع معينة من الخضرة والفاكهة .

— ويدخل في الإصلاح الزراعي كذلك الاهتمام بتربية العجول  
والأبقار للارتفاع بلحومها وجلودها وألبانها مما يستتبع إنتاج  
الأعلاف والإكثار من معامل الألبان ومستخرجاتها ، ومصانع  
دبغ الجلود .

— ويدخل في الإصلاح الزراعي كذلك تربية الدواجن للارتفاع  
باجمها وبيضها .

ذلك هو الإصلاح الزراعي كما عرفه الفكر الحديث ، ولكن  
عهد عبد الفاصر اكتفى بأن جعل الإصلاح الزراعي لا يزيد عن  
أخذ الأرض من كبار الملاك لتوزيعها على صغار الملاك ، ومع هذا  
لم تثبت ملكية هؤلاء الفلاحين لقطع الأرض التي حصلوا عليها  
إلا في عهد أنور السادات ، وربما كان في هذا التوزيع فائدة لبعض  
الأسر ، ولكنه كان شديد الضرر بالمجموع ، لأن المساحات الصغيرة  
لا تقوى على تنفيذ الإصلاح الزراعي كما عرفه الفكر الحديث ، وكما  
أوجزناه فيما سبق ، ولأن الارتفاع به على النحو الذي اتبع كان مجرد

مقامرة ، فالفلاح الذى يعيش فى « العزب » نال شيئاً من أطلان  
الملك الكبير ، أما ملايين الفلاحين فى القرى التى ليس بها ملك  
كبار فقد بقوا على حالهم ، والإصلاح الزراعى بمعناه الحقيقى يخدم  
الجميع على السواء ، ما بين عامل فى الأرض ، أو عامل فى مصانع التعليب ،  
أو مصانع الألبان ، أو راع لشئون المواشى ، أو بين موظفى التسويق  
والإدارة .

## السد العالى

تبنى عهد عبد الناصر بالسد العالى وجهه أسطورة الزمان ، حتى  
توقع الناس أن النيل سيسيل ذهباً وفضة ، وتوقف العمران فى البلاد  
لأن كل الحديد والأسمدة والعمال والمهندسين أتجمروا للسد العالى الذى  
بلغت نفقاته ٣٢٠ مليوناً من الجنيهات .

وقد قيل لنا يومها إن السد العالى سيجقق الأهداف التالية :

- ١ — إضافة مليون فدان من الأرض ، إلى الأرض الزراعية .
- ٢ — تعميم الرى المستديم لأرض الحياض ، وقدرها ٢٠٠ ألف  
فدان .
- ٣ — ضمان زراعة الأرض سنوياً فى مساحة لا تقل عن ٧٠٠ ألف  
فدان .

٤ — توليد طاقة كهربائية مقدارها ١٠ مليارات كيلوات ساعة سنوياً ، تستخدم في الأغراض الصناعية .

٥ — خفض منسوب المياه ، الجوفية ، وخاصة في الوجه البحرى ، مما يحسن وسائل الصرف في الأراضي الزراعية ، ويضاعف إنتاجها .

٦ — زيادة الثروة السمكية نتيجة تسكين بحيرة ناصر .

وبحق لنا الآن أن نتساءل : ماذا تحقق من هذه الأهداف ؟

وما الأضرار الجانبية التي أصابت بلادنا بسبب السد العالى ؟

في الحق أن الدولة لا تزال تبخل علينا بوثائق رسمية تظهر الحق حول مايداع عن « السد العالى » ، وإحفاقاً للحق الذى نسعى للوصول إليه سأقتل وجهتى النظر حول هذا الموضوع تاركاً القول الفصل للمستقبل :

ينسب الذين يدافعون عن السد العالى إليه أنه الذى حمى بلادنا من الفيضان العالى سنة ١٩٦٨ ، وأنه الذى ادخر المياه خلفه فحمانا من القحط سنة ١٩٧٢<sup>(١)</sup> ، وأنه هياً أو يهياً لإضافة أرض جديدة للأرض المزروعة ، وزراعة بعض الأرض بالوجه القبلى أكثر من مرة فى العام بعد أن

---

(١) فى حديث الرئيس أنور السادات للمصريين فى ندوة مصر حتى سنة ٢٠٠٠ لم يذكر سيادته من فوائد السد العالى غير هذه الحسفة .

كانت تزرع مرة واحدة ، ولا يسلم هؤلاء تسليماً مطلقاً بالعيوب التي تنسب لهذه المؤسسة ، وإن كانوا يعترفون ببعض الأضرار الجانبية ويدعون علاجها كإنتاج البدائل التي تعوض الأرض الزراعية عما فقدته من الطمي ، وكتفشيظ تسكأر السمك في بحيرة ناصر ، وقوفير سبل صيده ونقله ، ومواجهة مشاكل النحر ، وإقامة المزارع حول بحيرة ناصر وتعمير المنطقة بمشروعات للسياحة والذشجير<sup>(١)</sup> .

وإذا كنا قد ذكرنا رأى من يدافعون عن السد العالي ، فإن باحثين آخرين يُبدون منه تخوفاً واسعاً ، وهم يقسمون :

لماذا لم تقم عمليات إصلاح الأرض يوماً بيوم مع العمل في السد العالي ؟

وأي أسماك بحيرة ناصر ؟

وماذا عن الأرض التي « طبأت » بسبب كثرة المياه الجوفية

ورداءة الصرف ؟

أما عن كهرباء السد العالي فإن أدق تعليق نورده هو قول وزير مسئول نشرته صحيفة أخبار اليوم الصادرة في ١٩٧٤/٧/٢٧ ونصه :

---

(١) هذا موجز واف لبحث نشرته الأهرام في ١٩٧٤/١٢/٢٠ للدفاع

من السد العالي .

إن البيانات والأرقام التي كانت تُطلى للناس وتقدم لأجهزة الإعلام عن نتائج السد العالي فيما يتعلق بالكهرباء غير سليمة ، بل وخيالية .

وقد كثرت التهميمحات الرسمية خلال شهر يوليو ١٩٧٤ بأن رصيد الكهرباء بمصر ينتهى فى سنة ١٩٧٥ ، وعلمنا أن نسرع فى تدبير مصادر جديدة للكهرباء ، وإلا توقفت مصانعنا وتراجعت خطا بلادنا .

وحرمت بسبب السد العالي أرض مضر من الغرين الذى كان سماداً لاثنين له ، وحرمت مبانى مصر من الطوب الأحمر الذى كان يصنع من الغرين ، وزحف الماء على الشواطىء فتآكلت ، وانبثقت المستنقعات بسبب ارتفاع منسوب المياه ، ويقرر بعض الأطباء أن السد العالي من الأسباب التى أدت إلى تلوث مياه الشرب ، لأن تجمع المياه فى البحيرة خاف السد وركودها مدة طويلة يؤثر فيها تأثيراً ضاراً .

ويسخر العقلاء من الدعاية الواسعة للسد العالي كأن النيل لم يعرف السدود والقناطر على مرّ التاريخ ، مع أن القناطر الخيرية وخزان أسوان ، وجبل الأولياء ، نماذج للجهود الهائلة التى نفعت ولم تضر ، والتي تنوسيت كأنها لم ترتفع شاهقة .

وقد نشرت أخبار اليوم صباح ٢٣ / ١١ / ١٩٧٤ أنباء عن ندوة علمية عقدتها هيئة التدريس بجامعة الاسكندرية عن الآثار الجانبية للسد العالي ، وقد تحدث في هذه الندوة ١٩ متخصصاً في أعمال الري ، والاستثمارات ، والصرف ، والكهرباء ، والصحة العامة ، والهندسة الصحية ، وأصدر المجتمعون قرارات هامة بالنسبة لهذا الموضوع ، وقررت الندوة تشكيل لجنة من المختصين لمقابلة رئيس الوزراء ، وشرح وجهة نظر المجتمعين وتوصياتهم ، دون النظر إلا للتأثير القومية المترتبة على السد العالي .

ولم تنشر بعد هذه البحوث ، وإن كان هذا الذي نُشر عنها يشير إلى خطورة هذه الأسطورة التي سموها السد العالي .

وقد قام المجلس القومي للإنتاج بدراسة عن السد العالي ولم ينشرها مما دفع رئيس مجلس الشعب (الأخبار في ١٨ / ٣ / ٧٥) إلى طلب هذه الوثيقة ليستفيد بها المجلس في الرقابة على متابعة الآثار الجانبية للسد .

ومن الطبيعي أنه لو كانت الشكوك ضد السد باطلة لأسرع المجلس القومي للإنتاج بنشر هذه الوثيقة على الجماهير المتشككة . وفي ختام هذه الكلمات عن السد العالي أرجو الله أن يكون

من الممكن أن يتدارك ولاية الأمر في بلادنا أمره ، وأن يعملوا على تحقيق أهدافه وعلاج ما ظهر من عيوب ارتبطت به ، فمن أجل بقاءه فاسيناً ألواناً من الشدائد ، ومن حقنا أن نبني بعض الثمار .

## سياسة عبد الناصر وهل جلبت الجلاء أو الاحتلال ؟

أترى يُعدّ من مكاسب مصر على يد عبد الناصر أن الاحتلال البريطاني انتهى في عهده ؟

لقد كان يطيب لنا أن نصفق لهذا المكسب ، ولكن حقائق مرة تمسك الأيدي عن التصفيق ، فإن سياسة عبد الناصر جلبت لمصر لوئاً من الاحتلال أفسى من الاحتلال الأوربي ، ذلك هو الاحتلال الصهيوني بمخازيه وجبروته ، الاحتلال الذي قفى على عشرات الآلاف من شبابنا ، ودمّر عدداً كبيراً من مدناً ، وحطم اقتصادنا ، ثم إن هذا الاحتلال يعتبر سيناء أرضه ، ولا يعد نفسه دخيلاً عليها ، وعلى هذا فإنخراجه منها أشق بكثير من إخراج المحتل الأوربي .

وقد شمل الاحتلال الصهيوني شبه جزيرة سيناء كلها ، ومدّ نفوذه



وجبروته إلى مدن القناة فأخلاها السكان ، وجعلها العدو الأثيم ركناً  
وخرائب ينقع فيها البوم وتعيش في فراغ صرير حتى أنقذها السادات  
من هذا الدمار .

وسياسة عبد الناصر لم تجلب فقط الاحتلال اليهودي إلى ميناء  
والنفوذ اليهودي إلى مدن القناة ، بل إن هذه السياسة العرجاء تعدت  
ذلك بالنسبة للعطار كله ، وفي ذلك يقول الأستاذ أحمد أبو الفتح:  
« إن سياسة العهد الماضي حطمت استقلال مصر عندما أدلت تفويضاً  
تاماً للاتحاد السوفيتي ليتصرف بمقتضاء كيفما شاء في القضية العربية » .

وكان الرئيس أنور السادات قد كشف القناع عن ذلك في حديثه  
لمجلة الحوادث اللبنانية الذي نشرته الأخبار في ٢٠/٣/١٩٧٥ وفيه  
يقول : « عام ١٩٦٧ بعد الهزيمة الآلية المريرة التي نعرف كلنا أبعادها  
فوضت مصر السوفييت في الاتصال بالأمريكان والتحدث باسمنا ،  
وكان هذا التفويض بلا تحفظ ، فقد قالت السلطة لهم اتفقوا مع الأمريكان ،  
وما تمفقون عليه فنحن سلفاً نرضيه ، بل خطت مصر أكثر من ذلك  
فطلبت قائداً سوفيتياً لطيران ليتولى قيادة سلاح الطيران المصري ،  
وقائداً ليتسلم الدفاع الجوي المصري » .

ويستمر أنور السادات فيقول: «لقد أحسست أن الاتحاد السوفيتي أصبح وليّ أمرنا وهذا هو ما أدّى إلى أن أتخذ قرارى بإخراج الخبراء السوفيت في يوليو ١٩٧٢ وكنت بذلك أقول للسوفيت إننا أولياء أمر أنفسنا ، ولسنا في حاجة إلى تفويض أحد بعد اليوم ، وأنهيت بذلك الوكالة لنعود بعلاقاتنا إلى ما قبلها ، ولنثبت أنه لا ولاية لأحد علينا ، وأننا أحرار في إرادتنا وفي قرارنا» .

وهكذا يتضح أن سياسة جمال عبد الناصر جلبت الاحتلال اليهودي إلى سيناء ، وجلبت النفوذ اليهودي إلى منطقة القناة ، كما جلبت النفوذ السوفيتي إلى باقي البلاد ، والعجيب أن عبد الناصر كان يتحدث من حين إلى آخر عن « الاستعمار الروسى » فلم تكن رغبة السوفيت في النفوذ والتوغل غائبة عن فكره <sup>(١)</sup> ، ومع هذا فقد فتح لهم الطريق ولم يغلّه إلا أنور السادات في عهد الدور والعبور .

فإذا جئنا للحديث عن جلاء البريطانيين عن مصر ، فإننا ينبغي أن نقرر أن حدوده كان غاية عظمى بذلت الأجيال من أجله أعظم الجهد وأغلى الدماء ، ولا يمكن أن نقلل من أهمية وقوع هذا الحدث على يد

---

(١) هيكل : عهد الناصر ص ٦٩ و ٧٠

عبد الناصر مهما كان خلافنا مع سياسته ، ولكن لا بد أن نذكر خطوات الأجيال السابقة من أجل هذا الهدف ، ولا بد أن نذكر كذلك أن جمال عبد الناصر قبل الشرطين اللذين كانا دائماً عقبة تتحطم عليها المفاوضات بين مصر وبريطانيا ، والشرط الأول هو قبول عودة بريطانيا لاحتلال القناة إذا تعرضت مصر لخطر ، والشرط الثاني عزل مشكلة السودان عن مشكلة مصر ، وقد علق الزعيم مصطفى النحاس على المعاهدة التي وافق عليها جمال عبد الناصر بقوله : « إن الصخرة التي كانت تتحطم عليها المفاوضات المصرية دائماً من أجل إجلاء الإنجليز هي السودان ، ولم طرحنا مسألة السودان جانباً لثم الجلاء منذ عشرينات هذا القرن »<sup>(١)</sup> .

ومع هذا فأنا أميل إلى القول بأن موقف جمال عبد الناصر وثورة ٢٣ يوليو من هذا الموضوع كان أحكم وأدق ، لقد كانت الثورة قوية فلم تخضع لمواطف الجماهير التي كانت تتجه لضرورة ربط السودان بمصر ، وأعلنت الثورة حق السودان في اختيار مصيره ، وهو اتجاه نزيه ، فإن حبنا للسودان لا يعني أبداً أن نمنع هذا القطار الشقيق من اختيار وضعه اختياراً مطلقاً .

(١) نقلاً عن عودة الوعى ص ٥٠

أما الموافقة على عودة الاحتلال إذا هوجمت مصر ، فهو شرط  
نرتضيه أيضاً ، فإذا كان الاحتلال قائماً ، فإن قيامه أشق من احتمال  
عودته ، هذا بالإضافة إلى أن هذا الشرط كان موقتاً بسبع سنوات  
وهي فترة قصيرة في عمر الدول ، ومن أجل هذا نرى أن موقف  
الثورة في قبول هذين الشرطين كان أرشد وأنفع .

ولكن هذا الإنصاف لا ينسينا ما ذكرناه من قبل من أن  
سياسة عبد الناصر جلبت لنا الاحتلال الإسرائيلي للعين ، والنفوذ  
الروسي المريع وأن عبد الناصر حارل جهده أن يؤثر في السودانين  
فأرسل عضواً بمجلس قيادة الثورة ليرقص في حالة عُري بالسودان ،  
ودفع ملايين الجنيهات ليؤثر على سير الانتخابات ، ولكن ذلك  
كله كان بدون جدوى ، بل ربما كان هذا التدخل هو السبب  
في الانفصال ، وقد كانت ملايين الجنيهات المصرية التي أنفقت  
في الحملة الانتخابية بالسودان من الأسباب المبكرة لتدهور اقتصاد  
بلادنا الحبيبة .

### عصر الامتداد وعصر الجلاء :

بقي أن نذكر نقطة مهمة ترتبط بجلاء إنجلترا عن مصر ، تلك النقطة  
هي أن العصر عصر جلاء ، وأن الدول الأوروبية جلت عن كل الأقطار

التي كانت محتملة تقريباً ، سواء كانت بعيدة في أقصى آسيا ، أو كانت تعيش معنا في إفريقيا .

ولعل من الخطير أن نمنح هذه النقطة مزيداً من الشرح بأن تدارس المصريين جميعاً : عصر الاحتلال وعصر الجلاء انرى كيف كانت الدول الكبرى تختلق الوسائل وتصطنع السبل لاحتلال الدول الصغرى في العصر الماضي ، وكيف جلت في العصر الحاضر شامت أو لم تشأ عن كل الدول المستعمرة :

١ - في يونيو سنة ١٨٣٠ احتلت فرنسا بلاد الجزائر العربية ، لأن الداي سأل القنصل فرنسا عن السبب في عدم رد ملك فرنسا على رسالته ، فأساء القنصل الجواب فصرخ الداي في وجهه ملوحاً به ورحته ليخرج من حضرته ، وعدت فرنسا ذلك إهانة لها وللشعب الفرنسي وجرت الأحداث المتلاحقة التي انتهت باحتلال الجزائر .

٢ - في إبريل سنة ١٨٨١ كانت جيوش فرنسا تقف على الحدود الجزائرية التونسية ، وأشيع أن بعض القبائل التونسية اعتدت على دورية فرنسية فأمرت فرنسا جيشها بالزحف على تونس .

٣ - في يوليو سنة ١٨٨٢ حدث بالإسكندرية شجار بين رجل

مالطى ورجل مصرى وكان عربى يقوم بتحصين قلاع المدينة فأتخذ ذلك وسيلة لاحتلال بريطانيا لمصر .

تلك هى نماذج سريعة من مظاهر عصر الاحتلال ؛ اختلاف الأسباب ليعتدى القوى على الضعيف .

فإذا نرى لو ذهبنا إلى عصر الجلاء ؟

فى خلال الحرب العالمية الثانية تغيرت الأوضاع فى العالم ؛ فالدول الأوربية سقطت تحت أقدام النازى ، ودمرت قنابل هتلر مدن بريطانيا ، ونجت أوربا من النهاية الأليمة على يد الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى ، وانتهت هذه الحرب تاركة جراحا غائرة فى أوربا وواضعة فى القمة الدولتين العظميين ، وإذا كانت دول أوربا لعبت فى الماضى دور الأسد فقد أصبحت الآن تمثل القذائب فحسب ، واحتلت الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى عرش الأسود ، ومن الطبيعى أن الأسود لا تسمح للذئاب بأن تمرح فى الغابة وتستبد بها ، فإذا أضيف إلى ذلك ما ظهر من أسلحة جديدة فتاكة ، وإذا اتضح أن الاتحاد السوفيتى لا يقبل أن تستولى الدول الأوربية على الدول المجاورة له فتحدد حدوده ، وإذا وضعنا فى الميزان ما قدمه الاتحاد السوفيتى من وسائل مادية وأدبية لمساعدة الدول على الثورات والتحرر . كل ذلك جعل العصر الحاضر عصر جلاء ، فقد

جلت بريطانيا حتى عن دول كانت هذه الدول ترى - لظروف خاصة - أن من صالحها استمرار الاحتلال ، وعندما حاولت بريطانيا وفرنسا وإسرائيل أن تحتل منطقة القناة سنة ١٩٥٦ أزعجت القوتان الكبيرتان وأرغمت المعتدين على الانسحاب السريع مع أن السبب أعظم جدا من الأسباب الهزيلة التي سميت الاستعمار لكثير من الدول في عصر الاستعمار.

مرة أخرى إن هذا العصر عصر جلاء ، وهو بذلك قد ساعد الثورات الوطنية التي لم تهدأ يوما ولكنها كانت تنهزم أيام القوة الجائرة ، فلما جاء عصر الجلاء أيدت القوى الجديدة حركات الثوار الوطنيين حتى تحققت الحرية ، وأصبح الطابع العام هو الاستقلال وحرية تقرير المصير للجميع .

## تأميم القناة

في موجة عاطفية قوية هلّل الشعب لتأميم القناة ، ولم يكن يدور في خلد أحد أن ذلك سيجلب علينا الدمار ، فقد تسبب هذا التصرف في حرب ١٩٥٦ ، ولما جلا المعتدون عن سيناء بإصرار أمريكا ، تركت إسرائيل ذبولا لها في شرم الشيخ ، ووُضعت قوات أمن دولية لضمان ملاحه إسرائيل ، وكان ذلك من أسباب حرب ١٩٦٧ كما قال جمال عبد الناصر ، ولا تزال نعاني من هذه الحرب ، ثم إن حركة الملاحه في القناة أوقفت مرتين مرة عقب حرب ١٩٥٦ حوالى العام ، والأخرى ثمانى سنوات ؛ من يونيو ١٩٦٧ إلى يونيو ١٩٧٥ .

ومعنى هذا أننا لو وضعنا في الميزان الفوائد والأضرار لتأميم القناة لكان عدم تأميمها أفضل ، ولحقنا دماء عشرات الآلاف ممن سقطوا في الحربين ، وحينما بلادنا من الدمار الاقتصادي الذي جرّته الحرب والاستعداد للحرب .

وقد ذكر الرئيس أنور السادات ( الأخبار ١٣ / ٣ / ٧٥ ) أننا صرفنا حتى عام ١٩٧٣ مبلغ عشرة آلاف مليون جنيه ، وأننا سنصرف ألف مليون هذا العام .



وتلك أرقام تفوق بمراحل أى تقدير لإيراد القناة .

ومن المريب أن جمال عبد الناصر كان يتوقع الحرب بعملية التأميم ، ويقول محمد حسنين هيكل : إن عبد الناصر كان يفترض أن التدخل سيحدث عاجلاً أم آجلاً<sup>(١)</sup> .

ولهذا يحار الإنسان من تصرف كهذا كان ضرره واضحاً جداً وعظيماً جداً فى الأرواح والأموال .

ويجب ألا ننسى أن قرار تأميم القناة ألزم مصر بدفع تعويضات لحلة الأسهم مع أن القناة كانت ستنتهى مدة امتيازها بعد سنوات قليلة وتسلم لمصر بدون تعويضات ، وقد رفضت مصر مدّ امتيازها بإصرار حتى فى عهد الاحتلال ، ودفع رئيس الوزراء « بطرس غالى » حياته ثمناً لميوله لمدّ امتيازها .

وربما جاز لنا أن نقول إن سياسة عبد الناصر كانت ستقضى نهائياً على القناة ، فإن إغلاق القناة هذه المدة الطويلة جعل العالم يتجه لبناء عابرات المحيطات العملاقة ، وقد أخذت هذه فعلاً تملأ الفراغ أو أكثره ومن أجل هذا اتجهت قوى العهد الجديد بمصر إلى مزيد من التعميق

---

(١) بصراحة عن عبد الناصر ص ٨٧ .

— ١٧٦ —

والتحسين للقناة لجلب لها هذه العبارات أو أكثرها حتى تستعيد القناة حياتها الطبيعية .

وعند الحديث عن عودة الملاحة في القناة يتحتم علينا أن نثني أعمق الثناء على الجهود التي أعادت الحياة إلى هذا المرفق العظيم ، ولكن ثناء خاصاً يتحتم أن نوجهه للرئيس أنور السادات الذي اختار يوم الخامس من يونيو لإعادة فتح القناة ، فوضع ابتسامة على كل فم في هذا اليوم الذي كان يمر ثقيلًا مريراً فحوله أنور السادات إلى يوم بهيج .

## التصنيع

كل مصري يتمنى أن تصبح بلاده بلاداً صناعية ، ولكننا نعلم كذلك أن يكون التصنيع مبنياً على أسس علمية دقيقة ، كصناعة النسيج التي قام بها طلعت حرب فحقق بها معجزة ومفخرة ، أما أن نصنع من الإبرة إلى الصاروخ فهذا هو الخطأ الفادح ، فلا الإبرة المصرية نجحت ، ولا يستطيع أحد أن يخيط بها شيئاً واحداً ، وهي والدبابيس ترتدُّ لئلا تستعملها بدل أن تحترق القماش أو الورق ، أما الصاروخ المصري فقد ظل في حرب ١٩٦٧ صامتاً هادئاً بدون حركة أو نشاط .

وعندنا مصانع للسيارات اسمها «مصانع النصر» تيمناً باسم  
عبد الناصر، وأنا وسواى من الناس نرى سيارات «فيات» تحملها  
الاوريات وتحترق بها شوارع القاهرة، قادمة من إيطاليا لتصل إلى  
شركة النصر لصناعة السيارات، وبعد قليل تخرج هذه السيارات كأنها  
صناعة مصرية ١١٩ وتلك خديعة لا تليق.

بل إنى أرى ويرى معى الناس سيارات كبيرة كتب عليها «مصانع  
الطائرات» ولا بد أن فى هذه المصانع مهندسين ومجلس إدارة ورئيساً  
لهذا المجلس، ولسكننا لم نر بعد طائرات مصرية، وربما لن نراها فى  
المستقبل القريب، وعلى هذا فأغلب ما يقال عن الصناعة زيف فى زيف.

ولنعد الإنتاج الفعل الذى تنتجه مصانع ذلك العهد، ومن المؤكد  
أن المهندس المصرى، والعامل المصرى مشهود بكفاءتهما إلى أبعد  
الحدود، ومع هذا فإنى أنا وأنت نترك السلعة المنتجة محلياً لشترى سلعة  
مستوردة ابتداء من الأقفال والحفريات إلى قطع الفيار والأدوية، وغير  
ذلك مما تنتجه هذه المصانع.

ما السبب فى هذا مع ما حُرِف عنا من حق فى الوطنية وحب  
فى السير ببلادنا إلى مستوى أرفع؟

الإجابة هي سوء الإدارة وسوء التنظيم ، ومن هذا وذاك يشكو المهندس والعامل والمستهلك .

وقد أشرنا من قبل إلى مصنع التليفزيون والراديو الذى كان بالإسماعيلية ، وقد قطع جمال عبد الناصر علاقاتنا بألمانيا ، فتوقف بسبب ذلك ورود أجزاء الأجهزة التى كانت تردُّ لنا لنقوم بتركيبها وإخراجها على أنها صناعة مصرية ، وكان مهندسو هذه المصانع وعملها يذهبون لقهض مرتباتهم فى أول الشهر ثم يعودون إلى الفراغ والضياع باقى أيام الشهر .

رمع هذه التسلية الفادحة فى هذا المصنع وأمثلة تخرجُ للناس ميزانيات تتحدث عن أرباح طائلة ، ويقول الماطسون إن كل مصنع كانت له ميزانيتان إحداهما حقيقية خائفة ، وهذه تظل سرّاً ، والثانية معلقة تعلن على الناس .

## الاتحاد الاشتراكي

أصدر الرئيس محمد أنور السادات ورقة لتطوير الاتحاد الاشتراكي، وحسبت آنذاك أن الدنيا كلها ستجتمع على إلغاء هذا النظام ليحل محله نظام الأحزاب ، وأخذت أنتبه النقاش في هذا الموضوع وأحياناً أشارك فيه ، ولقد راعني أن كثيراً من الناس ردّوا نفس العبارات التي كان يرددها جمال عبد الناصر ، والتي تقول إن الاتحاد الاشتراكي تحالف لقوى الشعب العاملة ، وأنه خير لمصر من الأحزاب .

وأنا في كثير من الأحوال ألتبس المذر لشعبنا العزيز عندما يتبع فكرياً آثاره عبد الناصر أو يردّد كلمات وتعابير قالها وابتكرها ، وذلك لأن وسائل الإعلام كانت تلتقط عبارات عبد الناصر وتردها عشرات المرات ومئات المرات حتى تصبح هذه العبارات من محفوظات الجماهير ومعتقداتهم ، وهكذا سمع الشبان كلام عبد الناصر وحفظوه ولم يسمعوا غيره فآمنوا به ، وهذا ينطبق على الاتحاد الاشتراكي وعلى غيره من قيم ذلك العهد وأتجاهاته .

ماذا رأينا من الاتحاد الاشتراكي حتى نتمسك به ؟

وهل حقيقةً هو تحالف لقوى الشعب العاملة ؟

من الواضح أن هذا التحالف تعبير يقال وليس له أى ظل من الواقع ، فلا الملتقف يعرف الطريق إليه ، ولا العامل ، ولا الفلاح ، ولا سوام ، وإنما هناك ممثلون يُختارون ليصبحوا في البناء الشاهق أسراء أو كالأسماء وفيما عدا هؤلاء فإن البناء الفاخر على كورنيش النيل لا يستطيع أحد من طبقات الشعب أن يقرب منه .

ولم نر قط أية فائدة من أى نوع من الاتحاد الاشتراكي ، لقد ظل صامعا طيلة السنين الماضية ، يعيش في قلاعه الحصينة المنعزلة تماما عن الخارج ، وحتى عندما هب نسيم الحرية وانطلق أعضاء مجلس الشعب يسألون ويستجوبون ويقترحون القوانين ، وعندما هبت الصحافة حاملة علم الحرية ، ومعلنة كلمة الحق ، وعندما انطلق المفكرون يكتبون ويتكلمون ، ظل الاتحاد الاشتراكي يخط في نومه ، بعيداً كل البعد عن مشكلات الحياة المصرية وعن المساهمة في حلها .

لقد عابوا الأحزاب ، ولا شك أنه كانت هناك في الأحزاب عيوب ، ولكن القدي لا شك فيه أن الأحزاب حققت الكثير من الخير لبلادنا فيما يتعلق بالمشاكل الداخلية والمشاكل الخارجية ، وطالما صرخ رجال الأحزاب في وجه الباطل ، وينبغي لمن يريد أن يتكلم عن الأحزاب خيرها وشرها ألا ينسى الظروف القاسية التي كانت تسيطر على البلاد

فى ذلك العهد ، فقد كان الاحتلال جائئاً على صدر البلاد ، وكان الملك آثمًا ، ومع هذا فقد حققت الأحزاب نجاحاً لا يمكن أن نضع معه فى الميزان ماحقهه هذا النظام الذى يسمى بالاتحاد الاشتراكى .

وينبغى أن نقرر أن الأصوات القوية التى تدافع عن الاتحاد الاشتراكى هى فى الحق أصوات المنفعين به الذين نالوا وينالون فيه الوظائف العالية أو يحصلون على الثراء الرفيع بواسطته ، والعجيب أن بعض الشبان دافعوا عنه وهاجوا الأحزاب مع أنهم لم يروا الأحزاب ، ولم يعيشوا عصرها ، وإنما سمعوا ولى الأمر يهاجمها فقلدوه ورددوا عباراته .

إن أساس الحياة الناجحة الذى لا أساس سواء هو أن توجد حكومة تباشر الأمور ، ويوجد حزب أو أحزاب فى صفوف المعارضة تغربل وتنقد هذه الحكومة ، وقد كانت حكومة عهد الناصر لا تقبل النقد ولا المعارضة ، ومن هنا حاربت مبدأ الأحزاب حتى لو كانت نقيّة دقيقة .

ولقد آن الأوان لتنفيذ الاتجاه العالمى السليم فى الأحزاب وفى الصحافة ليدرك كل مسئول أن هناك عيوناً تراقب وتنقد ، وقوى تتكلم ، وحسينذ فقط تتعاضى السقطات الضخمة التى عاينناها فى غيبة المعارضة والنقد .

أقد كان مجلس الشعب فى الماضى يعينه الرئيس ، وكان أيضاً يعين أعضاء الاتحاد الاشتراكى ، ويعين رؤساء التحرير فى الصحف ، وهو

فى الوقت نفسه يخيف كل هؤلاء ، ولا يسمح لهم إلا بتريد ما يراه .  
فلنزل الفشاوة عن العيون ، ولنطالب بأحزاب محدودة العدد من  
جانب ومحددة البرامج والأهداف من جانب آخر ، فذلك هو السبيل  
الذى رسمته كل الحضارات والمدنيت .

ويقول الأستاذ الدكتور محمد حلى مراد<sup>(١)</sup> : إن تجربتنا أثبتت  
أنه لولا قبية المعارضة فى مصر لما وقع الكثير من الأخطاء والمتاعب  
التي نشكو منها حالياً ، ولما قُفِى على سيادة القانون ، واعتدِى على  
القضاء ، واستبُيحت الحرمات ، ووقعت حوادث التعذيب ، وكُمُمت  
الأفواه ، وقُصِفَت الأفلام ، ونشأت سرا كز القوى ، وأُرى البعض  
نراء غير مشروع ، بل لما وقعت هزيمة يونيو سنة ١٩٦٧ .

وقبل أن نترك الاتحاد الاشترا كى ينبغى أن ندوّن بعض  
ملاحظات كانت دائماً تخطر بهالى كك ، استعدت ظروف القاهرة أن  
أدخل هذا البناء ، أو أسره قريباً منه .

وأولى هذه الملاحظات هى أن رجال المباحث والخبرات يطوفون  
حوله دون انقطاع ، ولا يسمحون لأحد بالوقوف بجواره أو بارتياحه  
دون صك المرور ، وكنت دائماً أسائل نفسى : هل يمكن أن يكون

(١) صحيفة الأهرام فى ١٩ / ٦ / ١٩٧٥



هذا البناء يمثل قوى الشعب العامل مع أن قوى الشعب العامل لا تقرب منه ولا تدخله ؟ .

ومن يخف أولئك الذين يعيشون به حتى أحاطوه بهذا السياج من المباحث والحرس مع أنهم يدعون أنهم يمثلون هذا الشعب ؟ .  
وملاحظة أخرى كانت تراودنى كلما دخلت هذا البناء ، هى أن صمماً رهيباً يعيش فيه ، وأنه نظيف جداً ، وليست به ذبابة واحدة ، والسجاد الفاخر الملقى بطرقه وممراته وحجراته لم تخطُ فوقه قدم ، وكنت كلما رأيت ذلك انطلقت صرخة فى جوائى تقول : إن هذا البناء غريب فى بلادنا ، ولا يعكس حياة قوى الشعب العامل ، وكيف يقال إنه يمثل الشعب العامل مع أنه بعيد فى جميع سماته عن هذا الشعب وعن حياته .

ولو قارنا هذا بأبنية الأحزاب كما رأيناها لكان الفرق شاسعاً ، فراكز الأحزاب كانت مفتوحة للجميع ، وكانت منتدًى وملتقى للشباب والشيوخ والمتعلمين والعمال والفلاحين .  
وفى مطلع حياتى كنت أرتاد هذه المراكز فأجدها تبعج بالزائرين والوافدين حتى كأنها معاهد للسياسة والوطنية .  
فى اعتقادى أن الاتحاد الاشتراكى هاش همره فى عزلة ، وسيموت

يوماً ، ولكنه لن يجد شخصاً واحداً يؤمنه إلا أولئك الذين استغلوه  
أو استغلوا الشعب عن طريقه .

والذي يبدو لي أن الاتحاد الاشتراكي مات فعلاً في كثير من  
الأمكنة ، فكليننا يُفترض أن يكون بها وحدة للاتحاد الاشتراكي ،  
ولكني أقرر أنها منذ مدة لا توجد بها وحدة على الإطلاق ، ولا نسمع  
بها ذكراً للاتحاد الاشتراكي ، ومثل كليننا كليات وأما كن أخرى  
كثيرة ، فلنصرخ صرخة الحق ، لنعود للوضع السليم ، ولنغني هذه  
الترسمية إلى الأبد .

وسيرى الناس جميعاً لعراض الغالبية العظمى عنه يوم يتحقق  
مارسه الرئيس أنور السادات من أن الانضمام له اختياري ، حينئذ  
سيصبح هذا السكان جسماً بدون روح .

**الاتحاد الاشتراكي في عهد الرئيس :**

رسم الرئيس أنور السادات خطاً جديداً للاتحاد الاشتراكي  
فأعلن أن الانتساب له اختياري ، ومن الحق أن نقرر أن وجود  
أنور السادات ظلًا لهذه المؤسسة يُمدّ حياة كبرى ، فلأنور السادات  
ثقل في نفوس الناس ، لما قدمه إليهم ولمصر الحبيبة من خير وأفضال .  
ولكني أقرر من ملاحظاتي ومشاهداتي الدقيقة ، أن هناك حدثاً

على القيد من الجهات الرسمية في الريف والمدن ، وأن هذا الحث انقلب إلى تهديد في كثير من الأحوال .

وهناك كذلك اتهامات نشرت الصحف ألواناً منها ، فبعضها يشير إلى أن تكتلات مهمة بدأت منذ فتح باب القيد للاتحاد بالاتحاد الاشتراكي ، وأن أصحاب هذه التكتلات حرصوا أحياناً على قفل باب القيد قبل أن يتقدم معارضوهم للقيد به .

وهناك ما يشير إلى أن القوى هي هي ، والأسماء هي هي مما لا يُشعر بتغيير ذي بال .

وقد نشر الذين يميلون للأحزاب ، ويرونها الوسيلة الحقة للديمقراطية الصحيحة ألواناً من البحوث والدراسات أظهروا فيها تحوُّلهم من إمكان وجود تعارض بين المنابر المختلفة في الاتحاد الاشتراكي ، فإذا تكتل اليساريون في جانب ، ووقف المعتدلون في جانب آخر ، فكيف يمكن أن يجمعهما إطار واحد ؟

وأنا شخصياً وقفت متردداً في الالتحاق بهذه المؤسسة لما كتبه عنها في الطبعة الأولى والثانية من هذا الكتاب ، ولكنني سمعت نغمة تفاؤل عند بعض الناس فخطر ببالى أن أكون متفائلاً ودخلت هذه المؤسسة حتى لا يفوتني أن أسهم في خير بلادي إن سارت هذه المؤسسة في طريق الخير ، فإن عادت القهقري إلى حياتها الأولى عُدت إدراجي إلى السلبية كما كنت من قبل .

## عهد في الميزان أو حصيلة عشرين عاماً

يقضى الفكر الاجتماعى أن يتوقف الإنسان من حين لآخر  
وينظر خلفه ليحاسب نفسه وليعرف ماذا كسب وماذا خسر ، وما سرُّ  
الكسب أو الخسارة ، أو باللغة العالمية يتوقف قليلاً لتقييم عمله .

فهل وقف جمال عبد الناصر طيلة عهد حكمه ليرى نتائج سياسته ؟  
وليُحدِّث فيها بعض التغيير نتيجة الدرس والحساب ؟

كل المعلومات تجيب بالنفى ، فالسجون والمعتقلات بقيت كما هي  
ولم تنقل إلا بعد انقضاء عهده ، والحراسة ، والمخابرات ، وعلاقاتنا مع  
دول العالم ، وفصل القضاة ، وصراعنا الأعمى مع إسرائيل . . . . كل  
هذا ظل كما بدأ حتى زال هذا العهد .

والفترة التي حكمها عبد الناصر تعبر فترة انقلاب فكرى  
 واجتماعى فى العالم كله ، إنها الفترة التي صعد فيها الإنسان إلى  
 القمر ، وطورَ فيها كل شيء فى الميدان الصناعى والزراعى  
 والاجتماعى ، وقد سارت كل دول العالم فى مجال التقدم ، وإن اختلفت

نسبة التقدم تبعاً لاختلاف الظروف والأحوال ، وحسبك أن نفسك  
في الدول التي تشبه في مستواها مصر فتضع في الميزان دولة مثل إيران  
أو تركيا أو العراق أو السعودية لترى كيف كانت سنة ١٩٥٢ وكيف  
أصبحت سنة ١٩٧٠ وستجد إن التحول الذي حدث في هذه الدول  
في كل مجالات الحياة تحول يدعو للدهشة والإعجاب ، بل لو نظرنا  
إلى الدول التي نعمت بالاستقلال في الستينات مثل تونس والجزائر  
لأينا أنها حققت حتى الآن مفاخر رائعة في جميع الميادين الاقتصادية  
والاجتماعية والثقافية والسياحية وغيرها .

ماذا حدث في مصر خلال هذه العشرين عاماً ؟

وما مدى التطور الذي حققناه في هذا المجال أو ذاك ؟

إن الإجابة سنراها - فيما سنعرضه بعد قليل - حزينة مسيرة ، لأننا  
لم نحقق أى تقدم ، بل لم نبق كما كنا ، وإنما تراجعنا أشواطاً وأشواطاً  
إلى الوراء ، ويصدق ذلك على أساليب الزراعة وعلى مياه الشرب وعلى  
المواصلات ، وعلى صناعات ما قبل الثورة ، وعلى التليفونات والمجاري  
وغیرها كما سنرى بعد قليل ، هل أن مصر كانت من أحوج البلاد  
لتحقيق تقدم واسع في سيرها الحضارى ، لأنها حرمت خلال فترة طويلة  
من الإصلاح الاجتماعى ومن تنمية الفسکر والرقى بالمرافق والصناعات .

... وذلك خلال العهد المملوكى الذى لم يكن السلاطين خلاله على درجة مناسبة من التقدم الفكرى ، وخلال العصر العثمانى الذى اتجه بكل نشاطه إلى الأمور العسكرية ولاقى هزائمه تفوق انتصاراته ، وكذا نعانى مع العثمانيين نتائج الهزائم ولا نلهم . بهم بنتائج الانتصارات ، ثم جاء الاستعمار البريطانى فعات البلاد شرور العثمانيين وشرور الاستعمار البريطانى فى آن واحد .

وانقشع عنا ظلام العصر العثمانى وخفت وطأة الاستعمار البريطانى بتصريح ٢٨ فبراير سنة ١٩٢٢ وبمهادنة سنة ١٩٣٦ فحققنا الكثير من التطور فى الميدان الاجتماعى والاقتصادى والثقافى ، ولكن الاستعمار وصرعنا ضده كان يحول دون الانطلاقة الواسعة نحو التقدم .

وزال الاستعمار البريطانى وكنا نتوقع جولة واسعة وسريعة فى مختلف المجالات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية ، ولكن جمال عبد الناصر اتجه للأسف للخارج ونسى الداخل تماماً ، فذهبنا نضرب فى مكان وننفق فى كل مكان ، إلّا فى مصر التى لم تنم بها إلّا مشروعات وهمية ذكرناها فيما سبق ، وأصبحنا كالشجرة تلقى ظلها وتمازها بعيداً عن أصحابها ، وكان من نتيجة ذلك ما نعاينيه الآن مما سنمطلى بعض الصور عنه .

## صور مرئية من عهد عبد الناصر

بقى على أن أذكرك بصورة بلادك التي تراها كل يوم ، وما  
أكتبه هنا - هو بالإضافة إلى أنه تذكير لك - تسجيل لجيل جديد  
لم يأت بعد ، ليعرف كيف عشنا ، وبدرك ما عانينا ، وأرجو أن يعيش  
هذا الجيل في ظروف أحسن من الظروف التي عشناها ، وأن يشكر الله  
أن احتملنا الصعاب حتى أسلمناه لبر السلامة .

والآن إليك بعض الصور المرئية :

— الأمية تستوعب أكثر من نصف المواليد الذين جاءوا للحياة

في عهد عبد الناصر .

— مدينة القاهرة الحبيبة : تعيش تحت ثقل السنين والقرون ، وحسبك

أن تُطلّ من الأدوار العليا من دار أخبار اليوم لترى أكواخ بولاق  
وبيوتها المتداعية ، ومثل هذا المنظر تراه في حى الأزهر الذى يبدو من  
الداخل كما وجد منذ قامت هذه المنطقة في عهد الفاطميين ، وتراه  
كذلك في باب الشعرية وعلى شواطئ النيل في ماسبيرو ومصر القديمة  
وطره ، وتراه في أى زقاق تنحدر له من الأزقة المتفرعة من شارع الجيش

وشارع عبدالعزيز . . . . وما إن ترك العائر التي نطل على الشارع وتنساب بضعة أمطار بالداخل حتى تجد نفسك في عالم لا يابوق بالقرن العشرين وبأ كبر عاصمة في إفريقية .

لماذا لم تتجه يد عبد الناصر بعد أن زال الاستعمار لتزيل الآلام عن القاهرة قلب العروبة وأعظم مركز إسلامي في الأرض ؟ لماذا لم تقوم بهذه المناطق ناطحات سحاب تحل أزمة الإسكان ؟ لماذا لم ننقذ السكان الحاليين من مساكن لا تعرف الشمس ولا الضوء ولا الهواء النقي ؟ لماذا ؟ لماذا ؟ لا أحد يجيب .

— القرية المصرية لا تزال تعيش في ظلام الصور الوسطى ولم توجه لها أية جهود ، ويقول هواة الأرقام إن النفقات التي دفعناها في اليمن وحدها كانت كافية لإعادة بناء كل قرى مصر ، ونحن هنا نصرخ بأن القرية المصرية هي التي أخرجت أكثر العلماء والضباط والجنود ، وهي التي تنتج الطعام والخضروات والفواكه ، ومع هذا فهي محرومة من كل شيء ، لأنها تستحق في عهد النور تخطيطاً منظمًا لإعادة بنائها ، وضمان المياه الصالحة للشرب لها ، وضمان النور ، والنظافة ، والطب ، والمدارس ، والأندية ، والطرق الداخلية بها ، والطرق التي تربطها بسواها ، وحرام أن نضيف يوماً واحداً إلى



العهد الماضى نهمل فيه القرية المصرية التى تمنح كل شىء ولا تنال شيئاً .  
حرام أن يبقى فيها الحفاء والجوع والأسمال والأكواخ ، والجهل ،  
والانزالية ، والأسراض ، فلندفع بقرينتنا إلى النور فى عهد  
الأمل والعبور .

ويقولون إن سكان الريف يتدفقون إلى المدن وبخاصة إلى القاهرة ،  
حتى أصبحت المدن تضيق بالسكان ، وأصبحت القاهرة توشك على  
الانفجار ونقول لهم إن الوسيلة الحقة لإيقاف الهجرة هو محاولة  
الرقى بالريف ، وبدون ذلك ستستمر الهجرة كما حدث على مر التاريخ .  
إن العناية بالريف لن توقف الهجرة فحسب ، ولكنها يؤمل أن  
تقوم بعمل مضاد ، أى أن تجذب بعض الناس الذين تقل مصالحهم  
بالمدينة إلى اللجوء للريف حيث الخضرة والطبيعة الجميلة والهدوء الرائع .  
— الفلاح المصرى لا يزال يستعمل وسائل الفلاحة التى كانت  
تستعمل منذ آلاف السنين ، كما جاء فى بيان الرئيس أنور السادات  
والرئيس نيكسون .

— المواصلات داخل المدن ، وبين مدينة ومدينة لا تلبق  
بالبشر ، ولقد أصبحت عربات الكارو أسهل المواصلات بمصر  
وأكثرها أمناً .

— ١٩٢ —

— المرافق : مياه الشرب تنزل من الحنفيات حافلة بالأ كدار والأوساخ ، والمجارى تندفع فى كل مكان ، وانقطاع الكهرباء شىء تعود الناس .

— صناعات ما قبل الثورة ونكستها : كانت عندنا قبل الثورة صناعات ناجحة ، ولكن انتكست كنكسة يونية سنة ١٩٦٧ ، ومن هذه الصناعات صناعة الصابون والزجاج والعلطور والجلود وغيرها .

— اسم بلادنا ونهايته على يد عبد الناصر : لقد قضى عبد الناصر على اسم بلادنا التاريخى (مصر) وسماها الجمهورية العربية المتحدة ، لتكون تلك التسمية إطاراً للدول العربية التى توقع أن تندمج فى الدولة الجديدة ، وأعلنت سوريا الانفصال ، وبمذنا عن كل الأقطار العربية ومع هذا ظلت هذه التسمية بدون مدلول ، ونحن ندعو بالخير للزعيم الذى أعاد لبلادنا اسمها الحبيب .

— صنائع المذبحة : وليتذكر القارىء حقيقة خطيرة هى أن كل جهودنا الآن سياسياً وعسكرياً ترمى للعودة لخطوط ما قبل الخامس من يونيو ١٩٦٧ ، ومن أجل هذا المهدف أرقنا دماء الآلاف ، وذقنا الحرمان وشغلنا العيش ، ولا نزال .

من الذى قام بمغامرة الخامس من يونيو ودفننا إلى هذا المصير ؟ . لماذا تمزقنا لوراء هذا التحرك المريب ؟ .

ولماذا فتحنا ميدانين للحرب في وقت واحد ، فبينما كانت جيوشنا وكثير من أسلحتنا لا تزال غارقة في صراع الين ، بدأنا صراعاً جديداً ضد إسرائيل ، وفتح ميدانين في وقت واحد هو عند العسكريين فتح باب فسيح للهزيمة .

— مديرية التحرير : تعبير يزكم الأنوف دائماً ، ويثير النساؤل دائماً ، وتحدث الجماهير سرّاً وعلانية عن خيانات وصور من الإهمال والجهل تتصل بمشروع «مديرية التحرير» ومع هذا نظل نعيش في غموض ، ونرجو أن يحىء اليوم الذى نعرف فيه حقيقة الأمر ، وهل هناك جماعات خانت الشعب وأموال الشعب باسم هذه المؤسسة ؟ — إهمال حقوق الشعب فى استفتاءات عبدالناصر : سألقى قارئ عربى لماذا كانت نتائج الاستفتاءات المتصلة بعبد الناصر تمثل شبه إجماع؟ مع وجود الانحرافات التى إن جهلها البعض فقد عرفها الآخرون؟ ويبدو أن هذا التساؤل قرأ كتاب محمد حسنين هيكل عن عبد الناصر ، وفى هذا الكتاب يسأل الأستاذ فؤاد مطر عن ارتفاع النسبة المئوية فى الانتخابات المتصلة بعبد الناصر أو بمشروعاته ارتفاعاً يتسم بالمبالغة حين يصل إلى ٩٩ ر ٨٤٪ أو أحياناً أكثر من ذلك ، ويجب هيكل بأن حماسة الناس لعبد الناصر كانت غلابة ، وأنه حرص

(١٣)

على تتبع حماسة الناس في الاستفتاء على الميثاق وبيان ٣٠ مارس وكان هناك الدفاع هائل للاستجابة والموافقة<sup>(١)</sup> .  
وأشهد الله أننى هنا أروى تجربتى التى انطبقت على جماعات لا يحصيهم العدد ، وهى كالآتى :

— لم يكن هناك أحد يستطيع أن يتخلف عن الاستفتاءات أو أن يقول غير ما يريد بهال عبد الناصر ، والويل كل الويل لمن تحدّثه نفسه بذلك ، فقد كانت المعتقلات مفتوحة ، والتعذيب فى انتظار المعارضين بدون شفقة ، ومن هنا جاء التدفق الذى رآه هيكى .

— بل لم يكن فى استطاعة أحد أن يمارس هذه الاستفتاءات بطريق الكتابة ، وربما لو حاول ذلك يعرض نفسه للخطر .

— وقد ذهبت مرة إلى صندوق الاستفتاء بالمعادى ، وأنا معروف جداً فى هذه الضاحية ، ولما وقفت أمام الذين يجلسون أمام الصندوق قال لى أحدهم : أهلا يا دكتور شلبي متشكرون . وعدت أدرجى دون أن يسألنى رأى فهو يعرف أن ليس لأحد رأى ، وسررت بذلك لأنه كفى مشوّة الكذب ، وحل ذلك بالنيابة عني ، وحدث ذلك مع كل الناس فى هذه الدائرة .

---

(١) بصراحة عن عبد الناصر س ١٠٨ - ١٠٩ .

— وفي قرينتنا « عليم محافظة الشرقية ، كان هناك شاب اسمه « غريب حجازى » لم يكن لديه ما يخاف عليه ، فدخل اللجنة وطلب بطاقة الانتخابات ليمارس حقه كتاباً ، واضطربت اللجنة ، وتجمع ذوو الشأن بالمركز ، وكلهم يخاف أن يوجد فى صندوق الدائرة صوت يقول « لا ، لعبد الناصر وهددوا هذا الشاب بكل الوسائل ، وتمسك الشاب بموقفه ، وجرت اتصالات على مستوى عال خضعوا بعدها للشاب ولسكن بعد ما أشاعوا عنه بأن به اختلالاً عقلياً أو نفسياً يعفيه من المسؤولية .

— وفي إحدى الانتخابات بوحدة من وحدات الجيش لم يكن المرشح عبد الناصر بل أحد أتباعه هو « محمد فائق » وكان يشرف على الانتخابات ضابط فخلص من ضباط الجيش ، وسارت الانتخابات عادية ، يمارس كل عضو حقوقيه فيها كما يرى ، وقبيل النهاية جاء مندوب من القصر الجمهورى ليسأل عن سير العمل ، فأجيب بأن كل شئ يسير سيراً عادياً . ودهش هذا الرجل وسأل : ما النتيجة بالنسبة لمحمد فائق ، وأجيب بأن لا أحد يعرف وفهم من هذا أن الانتخابات حرة وأن محمد فائق قد يرسب فيها أو ينجح بنسبة لا ترضى ولى الأمر ، فصرخ : لا يمكن هذا ، واختفى هنيهة ثم عاد بحقيبة حافلة ببطاقات

جديدة ملئت كما بهوى محمد فائق أوسيده ، ووضعت هذه البطاقات في الصندوق وأخذ الرجل في حقيقته الأوراق الصحيحة ، ثم أعلنت النتيجة فكانت كالمهد بها أكثر من ٩٩٪ .

— وفي إحدى المرات كان على مجلس الشعب أن يرشح عبد الناصر لرياسة الجمهورية تبعاً للدستور ، ومجلس الشعب عيّنه عبد الناصر ، وهو لهذا طوع يديه ، ومع هذا فقد صدرت التعليمات لكل المؤسسات والبلدان أن تزحف إلى مجلس الشعب تطلب منه أن يرشح عبد الناصر ، وصدرت هذه التعليمات أيضاً لأساتذة الجامعة ، وزحفنا إلى مجلس الشعب ولم نكن نملك غير هذا إلا إذا كننا مستعدين للفصل من الجامعة كما حدث لزملاء كثيرين منا ، أو مستعدين للتعذيب كما روى لنا بعض الزملاء الذين عذبوا ، وكنا في طابور الزحف ينظر بعضهم إلى بعض نظرات فيها سخرية وفيها شكوى إلى الله ، ولعل هيكل رأى زحف أساتذة الجامعة لمجلس الشعب فأعجبه هذا وأطربه .

وعلى هذا لم تكن الانتخابات والاستفتاءات مؤشرا صادقا لإقبال الناس على عبد الناصر وحاستهم له ، وكان هناك — على كل حال — وسيلة واحدة عبر بها الشعب عن انصرافه عن عبد الناصر تماما ، تلك الوسيلة هي الصحيفة التي كان عبد الناصر نفسه صاحب امتيازها ، صحيفة

الجمهورية ، فقد تجاهلها الجمهور تماما ، وأخذت تصدر بالليل وتصدر بالنهار دون جدوى ، ووضع عبد الناصر في هيئة تحريرها خيرة الأسماء والعمال المفسكين ، ولكن أحدا لم يقدم عليها ، وتركها الناس تموت موتا بطيئا ، فلقد كان انصرافهم عنها هو وسيلة التي لا تقاوم لبيان مخطئهم على هذا العهد الأسود .

---

وفي ختام هذه الدراسة الواقعية لأريد أن يسخر منا الناس ، وأن يصيّمونا بالجين ، فلقد ثرنا في الجامعة على الظلم ، وثار العمال في كفر الدوار ، وثار الإخوان المسلمون ، وثار رجال القضاء ، وثار المحامون والأطباء ، وثار الطلبة . . . ولم تبق هيئة إلا ثارت ضد الظلم ، ولكن زعماء الشرطة وزعماء الجيش كانوا أدوات في يد عبد الناصر لضرب هذه الثورات وقمع الحركات الوطنية بعد أن سلبت قوة الجيش التي كان ينبغي أن تواجه أعداء الإنسانية في إسرائيل .

## صور صوتية عن حكم مصر من فاروق إلى السادات

— وهناك صور صوتية يردّها الناس ، وهي ترتبط بآخر ثلاثة  
حكوا مصر : فاروق — عبد الناصر — السادات .

وتقول هذه الأصوات : لقد حرّكت مصر فاروق وزوجته وأولاده  
وصاردرت قصوره وأملاكه ولكن هؤلاء تذكروا مصر وهي تجاهد  
سنة ١٩٧٣ ، وبعثوا ببعض المال واشتركوا في مظاهرات بأوروبا  
لتأييد مصر .

وتقول هذه الأصوات عن أسرة جمال عبد الناصر : إن الدولة  
تصرف لها مستحقات الرئيس ومخصصاته ، على الرغم من أن كثيراً  
من أولاده تخرجوا وتزوجوا ، وهيئت لهم وظائف سخية ، وعلى  
الرغم من أنهم لا يزالون يعيشون لا أقول في قصر ، وإنما في شارع  
خاص بهم بقصوره وحدائقه وبما يصل له الخيال ومالا يدركه الخيال ،  
ولكن هؤلاء لم ينشر عنهم أنهم اشتركوا بطريق ما في حومة  
الوغى ، ولم يقدموا قرشاً واحداً للدماء والأرواح التي لاقت ربهما  
والتي تستعد للقاء .



وتستمر هذه الأسوات لتنتقل في كثير من الدهشة خبر خطوبة ابن جمال عبد الناصر لحفيدة البدر اوى باشا عاشور ، وتبدى حيرة بالغة ، فقد عاش جمال عبد الناصر عمره يهاجم الإقطاع ويصادر الإقطاعيين ، فكيف لم يتأثر به ابنه ؟ وكيف أتى بنفسه في أحضان ما يسمى الإقطاع وتقول الأسوات إنه يبدو أن الابن قد قفز إلى الطامة التي عاش أبوه ومات وهو بحاربها .

وتنسب هذه الأسوات إلى مراكز القوى علامات أعمال القرصنة ، ومع أننا لا نوافق على استعمال تعبير « مراكز القوى » ، نرى أن نحاسب عبد الناصر نفسه على كل ما نسب لما يسمى « مراكز القوى » فنحن في هذا الموضوع بالذات نوافق على أن ننسب هذا العمل لهذه المراكز لسبب ضرورى هو أنها ارتكبت به بعد وفاة جمال عبد الناصر ، والذين يتكلمون عن موضوع القرصنة هنا هم جماعة من الخبراء يؤكدون أن « التركيبة » الرخامية نادرة المثال الموضوعة فوق قبر جمال عبد الناصر مأخوذة ظالما من الضريح القدى كان الأمير محمد على توفيق قد أعدّه لنفسه . فهل هذا صحيح ؟ وهل جلال التركيبة في الخارج سيعفى الجثة الحبيسة بالداخل من الحساب ؟ .

وتصلب الأسوات إلى الرئيس السادات فتذكر أن الرجل يبذل

— ٢٠٠ —

طاقة أكبر من طاقة البشر ليعالج أمراض البلاد ، وأن أخاه كان من شهداء الحرب ، وأن زوجته خرجت تسكدح وتجاهد في سبيل الوطن ، وفي عدة مجالات ، وكان خروجها حافزاً لآلاف من السيدات المصريات للخروج إبّان المعركة وبعدها للاقيام بدور اجتماعي عظيم ، وبنات الرئيس خرجن وغسلن الأطباق بالمستشفيات ، وبذان كل مافي وسعمن لخدمة الوطن والمعركة .

وقد نلخص أنور السادات أشواط السكفاح التي عاناها من أجل مصر بقوله لوفد من أساتذة الجامعات الأمريكية : لقد عملت بصفة مستمرة من أجل الشعب :

ففي عام ١٩٧١ حققنا لمصر دستورا أما وصفينا المعتقلات  
وفي عام ١٩٧٢ أنهيت خدمة الخبراء السوفييت وقضيت على نكرة  
الولاية علينا

وفي عام ١٩٧٣ تمت حرب أكتوبر الحجيذة بانتصاراتها الرائعة  
وفي عام ١٩٧٤ وضعت سياسة الانفتاح  
وفي عام ١٩٧٥ أعيد فتح قناة السويس للنشاط العالي .

ونحن نسجل هذه الأصوات بدون تعليق .

— وصورة أخيرة نلتقطها من أخبار اليوم ( ٢٧ / ٧ / ١٩٧٤ )

— ٣٠١ —

يصرخ فيها المحرر بأننا في حاجة لمن ينتقم لنا من رئيس شركة المياه الغازية الذى يبيع لنا الصراصير داخل الزجاجات .

نريد أن يستجوب لنا وزير التموين عن الجمعيات التعاونية التى تباع الفراخ المفضة ، والأسماك غير الطازجة ، والزيت غير النقي ، والصابون الذى يلهب الجلد ، والسكر الأسمر اللون .

ونريد من يصرخ فى وجه شركة الأدوية التى تباع فيتامينات بلا فيتامين ، وحقنها بها شوائب ، وأدوية فقدت فعاليتها .

وهذه الخمازي هى نتيجة عصر الهزائم ، ونتججه الجهود الآن لمعالجها بعد أن كَشَفَ التقدمُ البناءَ التنازعَ عنها ، وكانت من قبل مستورة يحمىها مقص الرقيب ، وبالتالى يظل الداء بدون دواء .

وأريد فى ختام هذه المباحث أن أقرر ما ذكرته من قبل أن العشرين سنة الماضية حققت فيها العالم أروع انتصاراته ، وقدمت البشرية خلالها أوسع خطواتها ، وينطبق هذا الكلام على العالم أجمع بنسب مختلفة ، ولكن مصر كانت وحدها التى تراجعت شوطاً بعيداً خلال هذه العشرين سنة ، وليس ذلك تشاؤماً ، وإنما هو حقيقة ، وقد عاش جيلنا الفترة الأخيرة التى سبقت عهد الثورة ، وحاربنا ملوكها ، وسدقنا للثورة بحرارة ، ولكن للأسف كان رغيـف

— ٢٠٢ —

مقابل الثورة أنقى وأنصح بياضاً من رغيفهم جمال عبد الناصر، وكان  
الاقتصاد المصري أرسخ قديماً، وكان المجتمع المصري أشد أمناً،  
ومثل هذا يقال عن المواصلات والطرق، بل عن الأخلاق والذمم.  
لماذا تقدم العالم وتراجعنا ؟؟ .

سؤال يتحتم أن نتدارسه، ونعرف أسبابه بصدق، ونزيل هذه  
الأسباب لنعوض ما فاتنا ونحن نؤمن أن ذلك ممكن اليوم نفعلاً  
منأخذ مكاننا الطبيعي بين الشعوب .

وبعد، هل لا يزال هذا الجيل مضللاً بعد هذا البيان القصير  
المرير ؟؟ .

## الظروف التي ضللت بعض الإخوة العرب

زرتُ كثيراً من البلاد العربية - كما قلت من قبل - واستقبلت في القاهرة أعداداً وفيرة من العرب الوافدين على العاصمة المصرية ، ورأيت وسمعت هنا وهناك تصفيقاً وتقديراً وإعجاباً بعبد الناصر ، مع أنهم كانوا يرون ما نعانى ، ويرون تهافت شبابنا على الهجرة الدائمة أو الهجرة للعمل في بلادهم ، ويرون الفارق الكبير بين حياة الحرمان التي نعيشها وحياة الترف التي تشمل كل البلاد العربية تقريباً ، حتى كان بعضهم يعيّرنا بأننا أكلة الفول والطعمية ، وهم أكلة مالد وطاب ، ومع أنهم سمعوا عن كبوت الحريات ، وعن السجون والمعقلات .

ما الظروف التي ضللت هؤلاء الإخوة العرب ؟

ولماذا تخاذلوا عنا في محنتنا الداخلية وصفقوا لمن عذبنا ؟

هذا ما سنجيب عنه فيما يلي :

**أولاً - العواجز والتطبيع :**

يقول الأستاذ صالح جودت في المصور الصادر بتاريخ ١٥/٢/١٩٧٤ :

« إحقاقاً للحق ، أقول إن « الماضي » ( يقصد بالماضي جمال

عبد الناصر) كان له جانبان : الواجهة والتطبيق ، الواجهة رائدة ، قضاء على الرأسمالية ، والإقطاع ، والاستغلال ، والحزبية ، ومكافحة الاستعمار ، وتقوية الجيش ، وإنصاف الفلاحين والعمال ، وتحقيق العدالة الاجتماعية ، ونصنع البلاد ، وتوحيد الأمة العربية من المحيط إلى الخليج .

واجهة رائدة ، بهرتنا في البداية ، كما بهرت الأمة العربية كلها ، إلى حد أن البدوى الساذج ، في عمق أية صحراء عربية ، كان لا يشتري الراديو إلا إذا تأكد أولاً أن هذا الراديو يحمل إليه صوت مصر ، الذي يبشر بهذه الواجهة الرائدة .

وهكذا آمن العرب بهذا « الماضي » إيماناً يقرب من العقيدة ، وأصبح صاحب هذا الماضي نصف إله ، تقام له التماثيل ، وتقدم له القرابين ، وتنشأ باسمه الهيئات والمنظمات التي تهتف باسمه وتعتنق أيديولوجيته .

هذه هي الواجهة .

أما التطبيق فقد كان شيئاً مختلفاً تماماً ، وكان التطبيق لا يصدّر إلى الخارج ولا يصل إلى أسماع العرب خارج حدود مصر ، وهكذا لم يُنتع لهم أن يعرفوا عن هذا الماضي إلا الواجهة دون التطبيق .

وكان التطبيق هنا ، عافيناه - نحن المصريين وحدنا - ولم يكن  
 ؛ من سمات الواجهة شيء .

وانطلق الأستاذ صالح جودت بعد هذه المقدمة يتحدث عن نماذج  
 سا أوردناه من قبل : اضطهاد - سجون - كبت حريات - تعذيب  
 عتقالات - حراسة - مجاعة للشعب وإثراء حرام لفئة من الحاكمين . .  
 . نقتبس فيما يلي سطوراً من هذا المقال مما لم نورد من قبل . .

• العلماء الشبان في كل ميدان ، هربوا إلى الخارج وملأوا جامعات  
 لديها ومعاهدها علماء وابتكاراً وذكاء ، وما نحن أولاء نستجديهم في  
 هذا العهد ليعودوا إلى حظيرة الوطن .

• وفلذات أ كبادنا ، وأولادنا في الجامعة ، الذين أنفقت عليهم  
 مصر ما أنفقت ليتعلموا وليبنوا مستقبلها ، لم يبق لهم أمل بعد أن  
 يتخرجوا أجهل من أن يغادروا مصر ، ويهاجروا إلى الخارج ، حيث  
 العيش الرخي ، والرجل الصحيح في المكان الصحيح ، والجزاء على  
 نذر العمل .

• عمالنا المهرة : الميكانيكي والنجار والبناء وعامل الفندق . .  
 وحقق السفرجي . . هجروا وطنهم ، وذهبوا إلى السعودية والكويت .

وليبيا وغيرها من فجاج الوطن العربى ، التماساً للقيمة طيبة ، وابتعاداً عن القهر .

وهكذا كانت الواجهة التى حملتها أجهزة الأعلام عندنا إلى الإخوة العرب شديدة التأثير فيهم مع اختلافها التام عما صاحب الواجهة من تطبيق ، وكانت هذه الواجهة من الأسباب التى ضللت الإخوة العرب .

### ثانياً - الهجوم على الاستعمار ودراسة مولد :

على أن هناك أسباباً أخرى كانت شديدة التأثير فى الإخوة العرب كذلك ، ورتقت الامة بينهم وبين جمال عبد الناصر ، ومن أهم هذه الأسباب أن عبد الناصر أطلق لسانه بحدة ضد الدول الاستعمارية ، وكان هناك خوف وكبت لدى الجماهير العربية فى هذا المجال ، فلما انطلق عبد الناصر يسخر من أمريكا ، وبلعن إنجلترا ، ويقلل من شأن ألمانيا ، ولما انطلق يدعو هؤلاء وأولئك ليشربوا من البحر الأبيض أو الأحمر . . . . كان عبد الناصر بذلك ينفس عن الجماهير ويعبر عما فى نفوسهم ، فأصبح بذلك لسانهم الناطق وعقلهم المفكر .

وفى هذا المجال نذكر الذين انتقنوا بهذا الموقف من عبد الناصر بحقيقتين مهمتين . . .

أولاهما : أن كثيرين من الزعماء المصريين سبقوا عبد الناصر فى



المهجوم على الاستعمار ، ومن هؤلاء المرحوم محمود فهمى النقراشى الذى صرخ فى مجلس الأمن فى الأربعينات قائلاً عن الإنجليز إنهم قراصنة ، ومن هؤلاء الزعيم مصطفى النحاس الذى ألقى معاهدة سنة ١٩٣٦ قائلاً : « لقد أمضيت هذه المعاهدة ويقتضىنى واجبى أن ألقها » وأوقف كل هون وكل يد عاملة عن الجيش الإنجليزى ، ووظف كل عمال القناة ليجدوا لهم بديلاً عن العمل لدى قوات بريطانيا ، وكان ذلك أمضى سلاح هدد جنود الإنجليز فى القناة .

ثانيهما : أننا دفعنا الثمن غالياً لموقف عبد الناصر وهجومه على الدول الاستعمارية ، وكان من ذلك تلك الحروب التى دمرت حياتنا ، وكان منها توقف كثير من المصانع لعدم ورود أجهزتها من ألمانيا وغيرها .

### ثالثاً — الهجوم على الملوك والرؤساء العرب :

ومن الأسباب التى كانت شديدة التأثير على الإخوة العرب أن عبد الناصر هاجم أكثر الملوك والرؤساء العرب ، وطبىعى أن كثيرين من الناس فى البلاد العربية ارتاحوا لهذا الهجوم ، لأنه كان كذلك تنقيساً عن أشياء فى نفوسهم ضد هؤلاء الملوك والرؤساء . وتعالقنا على هذا السبب أنه أضعف الجبهة العربية ، وكان من

## — ٢٠٨ —

أسباب الهزيمة ، وقد تخلى عنه عبد الناصر بعد هزيمة ١٩٦٧ وبعد تقديم الدعم الذى تطوعت به بعض الدول العربية بدفعه ، ومعنى هذا أن الهجوم على الدول العربية لم يكن له أساس صحيح ، وأنه كان من الممكن أن يشتري بالمال .

رابعا - فسوة عبر الناصر طأنت على الشعب المصرى وعمره :  
ومن الأسباب التى كانت شديدة التأثير على الإخوة العرب أنهم لم يمسسهم سوء من عبد الناصر ، وربما مس الخير بعضهم ، فلقد كان عبد الناصر قاسياً على المصريين ومدمراً لحياتهم ، ولسكن نفوذه فى هذا المجال لم يتخط حدود مصر ، وفى نفس الوقت أنفقت مصر بسخاء على كثيرين من الوافدين العرب وبخاصة أولئك الذين لهم صلة بالإعلام والدعاية .

## خامسا - الاقترام المأجورة :

وأخيراً هناك سبب مهم جداً فى تضليل الإخوة العرب ، ذلك هو أن عبد الناصر اشترى من الصحافة العربية والأفلام العربية ما استطاع شراؤه ، وبذلك أنهالت أموال الشعب المصرى للخارج ، وجاع هذا الشعب ، وعملت هذه الأموال عمالها فى تضليل كثير من الشعوب العربية .

## سادسا - بيروت تستغل سياسة عبد الناصر وتشجعها :

وهناك سبب مهم يتصل بلبنان بوجه خاص ، ذلك البلد العربى الذى وُجد به من يؤيد عبد الناصر أقوى تأييد ، ولكن السبب واضح يعرفه كل من له صلة بلبنان ؛ فلبنان بلد تجارى ، وسِلعة التجارة من نوع آخر غير السلع التى يعرفها العالم .

ومصر بالنسبة للعرب جنّتهم التى كانوا يرتادونها فيجدون بها كل ما يأمّلون ؛ وكانت لهم مشق ومصيفاً ووطناً ومهداً ومستشفى .

فلما جاء عهد عبد الناصر وسادت علاقة مصر بكل العرب تقريباً اتجهت الوفود العربية إلى لبنان ، وأجادت لبنان انتهاز الفرصة ففتحت ذراعيها للوافدين ، ولكن الوافدين العرب لم يجدوا فى لبنان ما كانوا يجدونه فى مصر الرحبة السمحة التى لا تعرف الاستغلال ولا الانحراف .

وكان أذكىاء لبنان يخافون دائماً أن تعود مصر تفتح أبوابها للعرب ، وعندئذ يفقد لبنان وفود السياح العرب ، وتُسحب الأموال العربية من بنوك لبنان وتكسد أسواق التجارة اللبنانية .

ومن هنا حرص كثيرون من الكتاب فى لبنان أن يمدحوا عبد الناصر ويزينوا له طريقه الذى سار فيه ، فأبعد عنه وفود العرب وملوك العرب .

— ٢١٠ —

وهناك حكاية شهيرة يرويها الكثيرون ، فقد سأل أحدُ المصريين مرةً صحفيًا لبنانيًا هذه السؤال : لماذا تحبون عبد الناصر وتبغون في حبه ؟

فصرخ الصحفي اللبناني قائلاً : نحن يا أخى لا نحب عبد الناصر فقط ، وإنما نعبده ، فعبد الناصر هو الذى فتح لنا أبواب الخير والثراء ، ولولاه ولولا سياسته ، ما هب علينا هذا اللسيم .

وعندما بدأت مصر سياسة الانفتاح قلق لبنان وقالت صحافته بوضوح إن الشرق العربى لا يحتمل حاصمتين منفعتين ، ولا يمكن أن يكون به رخاء لمصر ولبنان معاً . وكأنها بذلك تطالب أن نظل فى الانطواء والانسكاش والعوز لتبقى لبنان فى الترف والثراء .

ويوم يرفع العربى القناع عن عقله سيشارك مع المصريين فى إحساسهم ، وسيدرك أن قوة مصر قوة للعرب ، وأنه لا رئيس بدون شعبه ، ولا قوة لفرد بدون تأييد الجماهه .

والآن نقرر أن هذه هى الأسباب التى قادتنا إلى الهزيمة وما كان يمكن أن نلتصم مع هذه الجراح ، ولذلك نسأل لنتبين وجه الحق :

من المسئول عما وصلت له جبهتنا الدخلة من انهيار ؟

## - ٢١١ -

ومن المسئول عما وصلت له علاقاتنا الخارجية من قطيعة وتوتر ؟  
ومن المسئول عن هذه الهزائم العسكرية التي لحقت بجيشنا  
وأراقت دماء الآلاف من أبنائنا ؟

لقد عشنا في مصر قومية واحدة متحاببة متعاونة ، وكنا دائماً نحرص  
على أطيب الصلات بالعرب والمسلمين وسواهم ، وإذا استعرضنا تاريخنا  
البعيد والقريب لا نضيق لنا أن جيشنا حقق أعظم انتصارات في التاريخ  
القديم على يد أحسن وتحمس ، وفي التاريخ الوسيط ضد المغول  
والصليبيين ، وفي التاريخ الحديث في إفريقية والأناضول واليونان ،  
ولذلك يحق لنا أن نسأل في حسرة :

من المسئول عن هذه الهزائم العسكرية والسياسية والاقتصادية ؟  
هل المسئول مراكز القوى أو مراكز النفوذ ؟  
وما رأى تراثنا الإسلامي في هذا التعبير الذي انتشر وشاع ؟  
لئن الإجابة عن هذه الأسئلة ستتضح من الدراسة التالية .

## مرا كز القوى

### تعبير يرفضه التفكير الإسلامى

يختلف الكتاب فى مصر فى تحديد المسئول عن الكوارث التى  
أوردناها، وأكثروا يتحدث عما يسمى «مرا كز القوى» أو «مرا كز  
النفوذ» وهو نفس التعبير الذى استعمله الرئيس السابق .

أما الأستاذ صالح جودت فىلقى المسئولية على ما يسميه «الماضى»  
وقد أوشك أن يحدد هذا «الماضى» عندما نسب له نكث ذنون بعض  
ملوك العرب ، وسب أمهات بعضهم ، واتهام هذا بالخيانة ، وذاك  
بالجنون ، ولكنه لا يزيد على ذلك، فهو يكتفى بتجديده بالوصف دون  
أن يحدده بالاسم .

ولسكنى كباحث فى الحضارة الإسلامية لا أستطيع أن أتبع هذا  
الاتجاه أو ذاك ، فالتفكير الإسلامى لا يتيح لى نسبة ما وقعنا فيه من  
كوارث إلى تعبير مبهم مثل «مرا كز النفوذ» أو «مرا كز القوى»  
ولا يتيح لى غموض الحديث عن «الماضى» .

والتفكير الإسلامى يضع المسئولية بوضوح على ولى الأمر ؛  
فهو المسئول عن حسن اختيار مساعديه ، والمسئول عن مراقبتهم

ومتابعهم بعد الاختيار ، وقد روى عن الرسول قوله : من وَلِيَ  
من أمر المسلمين شيئاً ، فَوَلَّى رجلاً وهو يجد من هو أصلح منه  
للمسلمين ، فقد خان الله ورسوله . ورُوى عنه كذلك : من قَلَد رجلاً  
عملاً على جماعة وهو يجد في تلك الجماعة من هو أفضل منه ، فقد  
خان الله ، وخان رسوله ، وخان جماعة المسلمين<sup>(١)</sup> .

وبناء على ذلك كان الخلفاء الراشدون يَعُدُّون أنفسهم مسؤولين  
عن أخطاء مساعديهم حتى بعد أن يحسنوا اختيارهم ، وكان عمر  
رضي الله عنه إذا أراد أن يختار والياً ذكر الشروط التي يراها  
ضرورية فيه ، ثم يترك للحاضرين مساعدته في تحديد من تنطبق عليه  
هذه الشروط<sup>(٢)</sup> .

وعن مسئولية الرئيس في اختيار ولاته ، ومسئوليته في تتبع  
أحوالهم بعد الاختيار يقول الإمام عليّ كرم الله وجهه : كُلِّي وَلِيَّ  
الأمر أن يختار لأحكم أفضل الرعية ممن لا تضيق به الأمور ، ولا يتمادى  
في الزلة ، ولا تشرف نفسه على طمع ، ولا يكتفى بأدنى فهم دون  
أقصاه ، وينبغي أن يكون اختيارهم بالاختبار لا بالحباة والأثرة ، وعليه

(١) الشوكاني : نيل الأوغار

(٢) عباس المقاد : الديمقراطية في الإسلام ص ٧٩

إن يتفقد أعمالهم ، ويبعث العيون من أهل الصدق والوفاء عليهم ، فإن  
تَبَّعَهُ لأمورهم حتَّى لهم على استعمال الأمانة والعدل مع الرعية (١) .  
وتنفيذاً لهذا الاتجاه الإسلامي نذكر أن الخليفة طيب الذكر  
عمر بن الخطاب عزل القائد الذي أبلى في خدمة الاسلام أعظم البلاء ،  
خالد بن الوليد ، عند ما أحس بافتتان الناس به مما يوشك أن يكون  
مركز قوة (٢) .

وفي القصة الشهيرة التي حدثت بين عمر والعجوز ، تقول  
الرواية : إن عمر خرج في ليلة شديدة البرد كثيرة العواصف فرأى  
من بُعد ناراً ، فهرول لها ليعترف خبر أصحاب النار ، فوجد امرأة  
ومعها أطفال ورأى قدراً منصوبة على النار ، وسمع الأطفال يبكون ،  
فتقدم عمر نحو المرأة ، ودار حوار بين عمر والمرأة وضحت فيه المرأة  
ما يعانيه أطفالها من جوع ، وكيف أنها تخدعهم بقدر بها ماء حتى يناموا ،  
وصرخت في وجه عمر وهي لا تعرفه قائلة : الله بيننا وبين عمر . فاهتز  
عمر لهذه الصرخة ، وقال لها : وما يدري عمر بكم ؟ فأجابت المرأة :  
يتولى مورنا ويفعل عنا . وهكذا شككت المرأة ما اعتقده خفلة

(١) نهج البلاغة ص ٣٣٩ - ٣٤٠

(٢) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ج ٢ ص ٢٧٦



من عمر ، وعمر لم يكن غافلا عنها وإنما كان يجوارها .  
وتستمر النصبة لتزوي أن عمر أسرع لبيت المال وأحضر الدقيق  
واشترك في الطهو وإطعام الأطفال . . . . .

وقد وضح عمر بن عبد العزيز مدى مسئولية الحاكم ، فبهروى  
أنه عقب توليه الخلافة رأى مولاة دمراحم ، مفتتة كشيبة ، فسأله :  
مالى أراك مفتتة ؟ فأجاب عمر : لثقل ما أنا فيه بهم ، ليس أحد من  
الأمّة إلا وأنا ملزم أن أوصل إليه حقه غير كاتب إلى فيه ولا  
طالبه منى (١) .

فانظر مدى إدراك عمر بن عبد العزيز للمسئولية منذ اللحظة الأولى .  
ويروى أن زوجته دخلت عليه عقب توليته الخلافة ، فوجدته  
يبكى ، فقالت له : الشئ حدث ؟ قال : لقد توليت أمر أمّة محمد ،  
نفكرت فى الفقير ، والمرضى ، والمقهور ، والمظلوم ، والغريب ،  
والأسير ، والشيخ الكبير ، وعرفت أن رضى سائلى عنهم جميعا ،  
فخشيت ألا تثبت لى حجة فبكيت (٢) .

(١) السيوطى : تاريخ الخلفاء ص ٢٣١

(٢) ابن عبد الحكم : سيرة عمر بن عبد العزيز ص ١٢٩

واستكمالاً لعرض الفكر الإسلامى فى هذا الموضوع نسأل سؤالاً  
قد يخطر بالبال ، وهو : ماذا لو عظم مراكز من مراكز القوى بحيث  
أحسن ولى الأمر أنه لا يستطيع عزله ؟

والاجابة قوية واضحة هى أن الرئيس إذا لم يكن كامل السيطرة  
على مساعديه ، التزم أن يخلى مكانه فى الحال ، ويرد الأمانة إلى الشعب  
الذى اختاره ، وإلا تحمل المسؤولية كاملة لكل ما يرتكبه هؤلاء  
للمساعدون .

وبناء على الفهم الكبير الإسلامى الذى أوردنا عناصره ، نقرر أننا  
كما ننسب للرئيس السابق جمال عبد الناصر حسين مفاخر هذه مثل  
مبدأ تحديد الملكية الزراعية التى كانت أمل الملايين ، ومثل جعل  
سياسة مصر ترسم فى مصر ، ولا تفد لها أو تفرض عليها من الخارج (١) ،  
فإننا ننسب له الأخطاء التى أوردناها ، لأنه الشخص المسئول عن  
أحداث عصره وأخطاء معاونيه .

---

(١) كانت هذه هى سياسة مصر فترة ، ثم فوض عبد الناصر الاتحاد السوفيتى  
فى أن يتكلم باسم مصر ، وقرر أن مصر تعطى هذا التفويض بدون حدود  
ولقد شرحنا ذلك بأفاضة عند كلامنا عن نهاية الاحتلال البريطانى .

ومن ناحية أخرى لا يمكن أن نعترف أن الأحداث الكبرى خلال هذه الفترة كانت تجري من خلف جمال عبد الناصر حسين ، فقد كان صوته شخصياً واضحاً في فرض الحراسة ، وفي فصل القضاة ، وفي القبض على بعض الجماعات ، وفي المحاكمات والمقبوبات ، وفي الخلاف بيننا وبين الدول العربية ، وفي الخلافات بيننا وبين أمريكا والممانيا وغيرها . وفي التحرك إلى اليمن ، وفي التحركات التي ارتبطت بحركة يونيو الخامسة .

ويقول الأستاذ حلمي سلام أحد الصحفيين الذين كانوا قريبين من عبد الناصر ما يلي : عبد الناصر هو الذي كان يملك ، ويحكم ، لأحد فوقه ، ولا أحد معه ، ولا أحد بجانبه<sup>(١)</sup> وقد اتضح ذلك وضوحاً لا يحتمل الشك مما أوردناه من قبل من تشكيله محكمة الدجوى وإهماله مجلس الرئاسة واستبداده بالأمر .

ونقطة أخرى وقع فيها أكثر الكتاب سيراً وراء جمال عبد الناصر حسين ، فقد كان هو أول من نسب الأخطاء والخطايا التي نزلت بمصر إلى مصدر أسماء « مراكز القوى » أو « مراكز النفوذ » ولم يجدد

---

(١) مجلة الفجر القطرية عدد ٧٠/٦/٢١

شخصاً أو أشخاصاً ينطبق عليهم هذا التعبير ، ونحن نسأل : لمصلحة من نسب ما عايناه من كوارث إلى مصدر مبهم ؟ ونقرر أننا نستنكر أن نستمر على مجرم في حق الوطن ، وندعو الكتاب إلى السكف عن هذا التعبير الزائف .

وسؤال آخر هو : أين نضع جمال عبد الناصر إذا تصورنا خاتمه في يد غيره ؟ وأن الدنيا تدار من حوله بدون رأيه ؟ في اعتقادي أن من يقول بذلك ينتقص الرجل من حيث لا يدري .

وسؤال ثالث هو : أين مراكز القوى الآن أي بعد جمال عبد الناصر ؟ والاجابة أنها انهارت أو على الأقل ضعفت في عهد أنور السادات . ومعنى هذه الاجابة أن مراكز القوى كانت معروفة ، وأن القضاء عليها أو تفليم أطرافها كان ممكناً ، ولذلك نسأل : لماذا لم يفعل جمال عبد الناصر ما فعله أنور السادات ليتخلص من أعوان السوء ؟ ولا يبقى بعد هذا إلا الاعتقاد بأنها كانت تعبيراً عن هواه ، وامتداداً لنفوذ .

وقد أوردنا من قبل معلومات محددة وصلت مباشرة إلى أذن جمال عبد الناصر حسين وبطريق محافظ من المحافظين الذين عينهم جمال عبد الناصر ، ولكن هذا الرئيس بدل أن يكشف الغمة عن

المظلومين صاحب في الحافظ قائلا : إنك لا تعرف ما يجري في محافظتك .

وقد أعلن جمال عبد الناصر بوضوح أنه المسئول عن هزيمة يونيو ١٩٦٧ وعن غيرها من المشكلات ، ولست أدري بعد ذلك لماذا يلف الباحثون ويدورن دون أن يعمدوا في الطريق الواضح المستقيم ، ودون أن يحددوا المسئول عن الخلل وعن الشر ، وهو واضح لكل عين ترى وعقل يفكر ، أما مراكز القوى التي يتحدثون عنها فقد كانت تدور في فلكه ، وتعمل بتوجيهه ، وعند ما أراد كشف مفاسد بعضهم كشف ذلك ، ولم تستطع هذه المراكز أن تفعل شيئا .

فلنقلها كلمة صريحة لوجه الله والمخرج : إن جمال عبد الناصر حسين هو المسئول عن أحداث عهده ، وهذه الفكرة هي التي تحمي حاضرنا ومستقبلنا ، وهي التي نضعها أمام كل رئيس في كل زمان وفي كل مكان ، دون أن نخاف تعبيرات زائفة تعطى فرصة للتقليد والانحراف ، وبالتالي لارزايا والسكرات ، وإنه إن العجب أن يهيش هذا الشعب في فقر ، وفي قلق ، وأن يعاني الهزيمة في كل حرب خاضها عبد الناصر ، ومع هذا يقف مدافعا عنه ، إنها أبواق الدعاية ، وصور الخوف التي قابلت الحق باطلا ودحا من الزمن .

— ٢٢٠ —

رحمى الله لادنا وعاون قادتها فيما يبذلون من جهد لتصحيح  
مسار الحياة .

---

والآن ، وظلمة الليل تنراجع أمام أشعة الصباح ينبغي علينا أن  
نذكر كلمة نصوّر فيها الانسان المصرى على حقيقته ، ونصور كذلك  
أصحاب السلطان والنفوذ الذين اتخذوا وسائل متعددة لتزييف إرادته ،  
وسلب حقوقه السياسية ، اقد ظنوا أنهم يخذعون ، لكنهم فى الحق  
لم يخذعوا إلا أنفسهم .

## الإنسان المصرى وموقف بعض الحكام منه

الفلاح المصرى فى حقله مجتهد دؤوب لا يجتد الوسائل اللازمة لتطوير عمله ، ولكنه يبذل من فكرة وعرقه ما يعوضه عن هذه الوسائل .

والعامل المصرى فى مصنعه كادح ذكى صبور .  
ومثل هذا يقال عن القاجر المصرى ، والمهندس المصرى ، والطبيب المصرى ، والمعلم المصرى . . . .

وهذه حقيقة تراها على أرض مصر ، وتراها بزيد من الوضوح خارج مصر ، عندما ينتقل هذا الإنسان ليعمل بدولة أخرى ، أو مهاجراً ، لوطن جديد ، ويتنافس سواء من الكفاءات العالمية .  
هذا من ناحية العمل .

ومن ناحية الحقوق السياسية والالتزامات الوطنية ، عرّف الإنسان المصرى هذه الحقوق وأدّى هذه الالتزامات ، فقد رأينا بهب مدافعاً عن بلاده ضد الفرنسيين عندما تخلى العثمانيون والماليك عن الدقاع

عنها ، ولم يتأخر مواطن عن هذا الشرف من رشيد إلى أسوان ،  
حقى أصبحت كل قرية مركز ثورة ، وقدم الإنسان المصرى دمه  
بسجاء ، ودون من كلما دق ناقوس الخطر أو أعلن الجهاد .

واستعمل الإنسان المصرى حقوة السياسة أحسن استعمال ، فهو  
الذى اختار زعماء وأيدهم قبيل أسرة محمد على فأحسن الاختيار ،  
وهو الذى اختار زعماء ثورة ١٩١٩ وثار وأرغى وأزبد عندما قبضت  
قوات الاحتلال البريطانى على زعيم هذا الوفد ورفاقه ، وظل الجمهور  
المصرى مخلصاً لحزب الوفد ، فكلماً اتوجت له فرصة التعبير الحقيقى  
عن نفسه كان مختار ممثليه من هذا الحزب .

هذا هو دور الإنسان المصرى على مر التاريخ فى مجال العمل  
وفى مجال السياسة .

فما هو دور الملوك والرؤساء وبعض الكبار من هذا الإنسان ؟  
إنه كان للأسف دوراً يكثر فيه الجور عليه ، وسلب حقوقه ، وقد  
سلك هؤلاء طرقاً متعددة لتحقيق هذا الجور :

جاروا عليه عندما أنزلوا به ألواناً من القهر والظلم كما رأينا فى  
هذا الكتاب .

وجاروا عليه عندما استغلوا فقره وحاجته فقدموا له المال ليعتار



من لا يرتضيه ممثلاً له في البرلمان ، وكثيراً ما خدعهم ، أخذ أموالهم ولم يستجيب لإرادتهم .

وجار عليه ملك حل مجلس النواب في أول جلسة له وأقال حزب الأغلبية عدة مرات .

وجاروا عليه عندما زيفوا لإرادته وعينوا من يمثله مع انقطاع الصلة الروحية بين الجانبين .

وجاروا عليه عند ما أرغموه في استفتاء أو في انتخاب ليقول ما لا يعتقد .

ثم راح هؤلاء يصفونه بأنه لا يستحق هذه الحقوق ، لأنه لا يستطيع أن يمارسها ، والحق أنهم هم الذين لا يعرفون الحقوق والواجبات ، وأنهم هم الذين ينبغي أن يعرفوا مدى حقوقهم ومدى التزاماتهم .

إنها كلمة حق نقولها للظلمة أن يكفوا ألسنتهم عن اتهام الإنسان المصري ، وأن يرفعوا الوصاية التي فرضوها عليه ، وحينئذ سيستعيد مكانه ويمارس حقوقه على خير وجه كما فعل على مر التاريخ .

لقد صارع العدو الأجنبي بقوة وإيمان ، وكان يكره دائماً أن يصارع في الداخل ، فلا تظنوا به الظنون .

— ٢٢٤ —

إن من يسلب الحق السيامي لإنسان ما ، يرتكب جرماً أعظم من  
يسرق مالا أو متاعاً .

وكما أن سارق المال لا يُثرى بالمال الحرام ، فسارق الحقوق السياسية  
لن ينال ثمرها بما سرق ، بل سيمتثل سوء الذكرى واهنة التاريخ .

---

والآن ، بعد هذا الليل الذي طال ، والكوارث المدممة التي  
انتابتنا ، والدعر الذي حطم نفوسنا ، انتهى ذلك العهد مخلقاً أمراً  
الذكريات وهتفنا في صمت ورجاء : ليسكن الله معنا ونحن نبدأ مرحلة  
جديدة في تاريخ الكنانة الحبيبة .

الْفَجْرُ الْجَدِيدُ



## من عهد إلى عهد

في وسط هذا الظلام المطبق، والألم القاتل تولى أنور السادات رئاسة الجمهورية، وكان الناس يشفقون عليه من حمل هذا العبء الثقيل، ولم يكن أكثر الناس يعرفون أنور السادات معرفة حقيقية<sup>(١)</sup> على الرغم من أنه الذي أذاع البيان الأول للثورة، وأنه الذي كان يمكن أن يقاد إلى المفصلة لو فشلت هذه الثورة، فلم يكن قد برز من أسماء قادة الثورة إلا هو والواء محمد نجيب، وإن كان الأخير لم يكن من مدبري الثورة، ولسكنه اختيار في آخر لحظة لقيادتها لسنه، ولما كان ينعم به من مكانة نتيجة وقوفه في وجه الملك فاروق دون خوف أو هلع.

ولكن بعد نجاح الثورة وتمسكها، أبعده جمال عبد الناصر

---

(١) من الحقائق التي دوتها في كتابي «رحلة حياة» أني - عقب أن فُصلني مجلس قيادة الثورة من الجامعة سنة ١٩٥٤ - عملت في المؤتمر الإسلامي وكان الرئيس أنور السادات سكرتيراً عاماً لهذه المؤسسة، وقد كنت يحكم هذا العمل غير بعيد عنه، وأشهاداً لقد رأيت منه صوراً توضح سعة الأفق، وعمق السياسة، وسفاهة النفس، والهلل الكبير، ولذلك عندما تولى أنور السادات رئاسة الجمهورية أحسست بالأمل ينبثق، ووقعت على يده كثيراً من الخير.

محمد نجيب واستأثر بكل السلطة ، وكان يضع أعضاء مجلس قيادة الثورة في الضوء ، أو يدفعهم إلى الظل حسبما يشاء ، وذلك هو اعتيادي كدورخ كوثته من متابعة الأحداث ، فلقد شهدنا الكثيرين من أعضاء مجلس قيادة الثورة يُبتَدون عن أمكنتهم الواحد تلو الآخر في ظروف متعددة .

ومن حسن حظ هذا البلد أن أنور السادات قد حفظه الله ، ثمَّ نَّيْن نائباً للرئيس الجمهورية عندما كان هذا مسافراً إلى روسيا ، وقد ظل أنور السادات في هذا المنصب حتى وفاة الرئيس السابق ، فآل له هذا التراث ، وتم اختياره رئيساً للجمهورية في ١٥ أكتوبر سنة ١٩٧٠ وبعد شهر على توليه هذا المنصب هبت هواصف تريد سلب السلطة منه لأنه اتجه بالحكم وجهة جديدة فيها بشائر الحرية والوضوح ، وحدثت أزمة ١٥ مايو سنة ١٩٧١ وتمت حركة التصحيح ، فبدأ خط جديد في حياة مصر ، أساسه القضاء على سرا كز النفوذ التي تربت في العهد الماضي وأرادت أن تستمر في نفوذها الجائر في العهد الجديد .

**وعالم النصر :**

ومنذ ذلك الحين اتجهت مصر اتجاها حقيقيا للاستعداد للمعركة ، فأزالت عن المواطنين كابوس الظلم ، وأعادت القضاة المعزولين ،

وأوقفت المصادرة التي كانت تتخذ كلمة الحراسة اسماً لها ، وقررت نوعاً من الحرية للصحافة والمجتمع<sup>(١)</sup> .

وقد لخص الرئيس أنور السادات هذه العوامل في ورقة أكتوبر ، وكل كلمة من كلماته لها معان عميقة ، استمع إليه يقول :

— كان لابد أن يزول الخوف ، وأن تختفي بذور الشك ، وأن تتراجع الحزازات والأحقاد .

— وكان لابد أن يحس كل فرد أنه آمن على يومه وغده ، وعلى نفسه وأهله ورأيه وماله .

— وكان لابد أن يعرف كل مواطن أن الحرب التي هو مقدم عليها لن تمرر له أرضه فقط ، ولسكنها سوف تحمل له حياة أكرم وأرحب ، وقيماً أعلى وأرفع .

— وكان لابد أن يدرك كذلك أن النصر سوف يحقق للشعب آملاً أن يتطلع إلى مزيد من الديمقراطية ، لن تتحقق له كاملة إلا في وطن عزيز متحرر .

---

(١) أقول نوعاً من الحرية ، فلا تزال ننتظر المزيد من أنور السادات في مجالات مختلفة ، كأن يختار رئيس الجمهورية بالانتخاب الحر لا بالاستفتاء ، وأن توفر الحرية الكاملة في انتخابات مجلس الشعب ، وتمنع الصحافة حرية تامة ، وترفع حرية الرأي للأساتذة الجامعة إلى أوسع مدى .

- وكان عامل النصر الخامس هو وضوح الرؤية ، وتحديد الهدف ، فقد كان لابد أن يخضع قرار الحرب لحساب دقيق ، وينطلق من عزم قاطع ، ووضوح في الرؤية شديد ، وإلمام بعشرات من العناصر العسكرية والسياسية والاقتصادية والنفسية ، المحلّي منها والدولي على السواء . فقد سبقت الأمة العربية إلى الحرب مع إسرائيل عدة مرات خلال ربع قرن من الزمان ، دون أن يكون لهذه الحسابات وجود ، ودون تحديد سابق لهدف الحرب وغايتها وكل الاحتمالات التي تصاحبها .

### الشعب والفائز :

ذلك هو برنامج الرئيس أنور السادات الذي وضعه لمواجهة إسرائيل ، وقد حقق هذا البرنامج كثيراً من آمال المواطنين ، فالتقى القائد والشعب في الحلبة ، وأحس الشعب العربي في مصر برئيس يحبه ويقبل عليه ، ويعيش له ، ويدبر أمره بحكمة ، وسرعان ما اتجه الشعب للرئيس الجديد بكل الجهد وكل الكفاءة ، نافضاً غبار الماضي ومهطاً اتجاهات الركود والتواكل ، فإن معدن هذا الشعب أصيل ، ولكن السنين المريرة ربّت فوقه طبقة من الصدأ ، ولهذا الشعب بطولات نادرة ولكنه كان حبيس قفص من الاضطهادات والعسف ، و



شعب يحب العمل والسكدح ولكنه خلد إلى اللامبالاة عند ماسرقت عصابة من المتهربين نتائج كدحه ، وهو شعب حقق انتصارات عالمية ، ولكن قادة العهد الماضي فرضوا عليه الهزائم ، وفي ربا النيل بدأ موكب الحضارة ، ولكن جهل الحكام قضى علينا بالتخلف ودفع أعداءنا إلى السبق .

فلما أشرق الصبح ، وظهر أنور السادات مقبلا على مصر ، أقبلت عليه مصر بكل طاقاتها وقدراتها ، فبدأ الطريق يمد للنصر المؤزر .

وقبل أن نستعرض في الحديث عن هذا العهد الذي مهد للنصر المبين ، وعمل جاهداً لتحقيق أهداف ثورة ١٩٥٢ ، ينبغي أن نقف وقفة نتحدث فيها عن الثورات التي هبت بمصر في العصر الحديث لنفقد الشعب وتعبر عن آماله ، ونوضح مدى نجاح هذه الثورات في تحقيق هذه الآمال ، فليست ثورة ١٩٥٢ إلا حلقة في سلسلة الثورات المصرية ، وفيما يلي هذا البيان :

## الثورات المصرية في العصر الحديث وما حققته من أهداف

عمر مكرم والسادات والقواوي :

دخل العثمانيون مصر سنة ١٥١٧ ، وأصبحت مصر بذلك جزءاً من الإمبراطورية العثمانية الفسيحة ، والذي يدرس تاريخ مصر خلال العهد العثماني يُدرك أن المصريين لم يروا في العثمانيين إلبان همودم الأولى غزاة أو مستعمرين ، بل اعتبروهم قادة يعملون على توحيد الصف الإسلامي وإعادة مجد الخلافة الإسلامية ، ومن هنا لم يحدث صراع بين المصريين وبين العثمانيين خلال فترة طويلة ، وكان المصريون يفسرون انحراف السلاطين العثمانيين على أنه انحراف شخص الخليفة ، ويتطلعون إلى خليفة يبتعد عن الانحراف .

وكان المماليك ينعمون بمخبرات مصر ، ويستبدون بالأمر فيها قبل العثمانيين ، وكان هؤلاء المماليك يُعدّون مصريين ، إذ لم يكن لهم وطن سوى مصر ، ويسميتهم الجبرتي « الأمراء المصريين » .  
وعاش المصريون ردحاً من الزمن يسلمون زمام السلطات للمماليك وللعثمانيين في ضوء التفسير السابق .

وعندما جاءت الحملة الفرنسية انهار العثمانيون والمماليك أمامها وعقب  
انهيارهم تخلّى هؤلاء وأولئك عن مصر ، ولم يشغلوا أنفسهم بإعادة  
الاستعداد للدفاع عنها ، وحمل المصريون وحدهم هذا العبء ، وثار  
مدن مصر وقراها من رشيد حتى أسوان ، وقدّم المصريون الضحايا  
غير مبالين بشيء ، وأنزلوا بالعدو ضربات شديدة قتلوا بها ديبون  
وكليبر وغيرهما .

وتحدّث الحملة الفرنسية هذا النصر فبطشت واستعملت كل  
ضروب القسوة ، واسكن المصريين لم يلينوا ولم يخضعوا ، وكان علماء  
الأزهر هم قادة هذه الحركة وعلى رأسهم السيد عمر مكرم والشيخ  
الشرفاوى ، والشيخ السادات ، وكان ذلك مبدأ بروز الشخصية  
المصرية الحقيقية .

وخرجت الحملة الفرنسية من مصر واستمرت الشخصية المصرية  
في حمل مسئولياتها وفي مسيرتها ، وتحدّث تركيا ، وعزّزت الوالى الذى  
عينته الأستانة وهو خورشيد باشا ، وعين المصريون محمد على والياً على  
مصر ، واضطرت الأستانة أن تنحني أمام هذه الرغبة وتوافق على هذا  
التعيين .

وتمدّد حركة مصر بقيادة العلماء أولى النورات المصرية فى العصر

الحديث وقد نجحت هذه الثورة ، إذ أبرزت الإرادة المصرية وأعلنت الشخصية المصرية<sup>(١)</sup> .

### ثورة عرابي :

وقد حقق محمد علي وحفيده إسماعيل كثيراً من الأتجاد الداخلية لمصر  
تحدثنا عنها في الجزء الخامس والجزء السادس من موسوعة التاريخ ،  
وانحرف أحد أبناء محمد علي وهو الخديوي توفيق ، متأمرًا مع الشراكسة  
والإنجليز ضد البلاد ، فجاءت ثورة جديدة بقيادة أحمد عرابي لتعيد  
مكانة الشخصية المصرية ، ولكن ثورة أحمد عرابي لم يقدر لها النجاح ،  
وانتهصر الإنجليز عاياه ودخلوا مصر ، وبدأ الاحتلال البريطاني البئيس .

### مصطفى كامل والحزب الوطني :

وجاءت الثورة الثالثة بقيادة مصطفى كامل والحزب الوطني ،  
وأجمعت بقوتها مصارعة الاحتلال الإنجليزي ، واضطر مصطفى كامل  
أن يحسن صلته بالعثمانيين ليتخذهم عوناً في صراعه ضد المحتل الأوربي ،  
وكان العثمانيون لا تزال لهم علاقة بمصر من الناحية الشكلية ، ولكن

---

(١) انظر تاريخ مصر في الجزء الخامس من « موسوعة التاريخ الإسلامي »  
للمؤلف .

وفاة مصطفي كامل المبكرة ، ونفى خلفه محمد فريد ، وضجيج الحرب العالمية الأولى ، وقرار بريطانيا بقطع الصلة بين الأتراك العثمانيين وبين مصر . . . كل هذه العوامل وغيرها أضفت صوت هذه الثورة .

### ثورة ١٩١٩ وسعد زغلول :

وهبت الثورة الرابعة سنة ١٩١٩ بقيادة سعد زغلول واستجاب لها الشعب من كل أطراف البلاد ، وأرغمت هذه الثورة المستعمر أن يعنى لها ويستجيب إلى كثير من مطالبها ، فأصدر تصريح ٢٨ فبراير وأصبحت مصر تنعم بدستور وبرلمان وصحافة حرة ، وبدأت مصر في ظل الوضع الجديد تحقق كثيراً من أهدافها ، ثم جاءت معاهدة ١٩٣٦ ، وكانت هذه المعاهدة امتداداً لثورة ١٩١٩ وفي ظل المعاهدة الجديدة أضافت مصر إلى النجاح نجاحاً ، وخطت بالبلاد خطوات واسعة لاستكمال استقلالها وتحقيق مزيد من التقدم في المادين المعددة ، في الداخل والخارج ، ففي المجال العلمى نهضت البلاد نهضة واسعة ، فكثر بها المدارس من رياض الأطفال حتى التعليم الجامعى ، وقُفِّى على الازدواج في التعليم بالمرحلة الأولى ، وانتشرت الجامعات بمصر خلالها ، فقد أصبحت الجامعة المصرية القديمة جامعة رسمية حكومية بها كل نظم

الجامعات ودرجاتها منذ سنة ١٩٢٥ ، وجاء بعدها جامعة الإسكندرية ،  
لجامعة عين شمس ، لجامعة أسيوط ، ونال الأزهر عناية كبرى في هذه  
الفترة ، فصدرت قوانين إصلاحه ، وأنشئت به الكليات وكثرت  
المعاهد في عدة أقاليم .

وفي هذه الفترة نظم الري والصرف ، وتم بناء قناطر نجع حمادى ،  
ووجهت عناية كبرى للزراعة ، وأنشئ المتحف الزراعى .  
وفي المجال الاقتصادى أنشأ طلعت حرب بنك مصر وشركاته ، وصدر  
قانون الشركات ، وخففت الضريبة على صغار الملاك ، وارتفع صوت  
محمد خطاب فى برلمانات ذلك العهد بضرورة القضاء على الإقطاع وتحديد  
الملكية الزراعية .

وفي الميدان السياسى صارعت هذه الفترة الاحتلال البريطانى صراعا  
لا هوادة فيه ، حتى أنها ألغت معاهدة ١٩٣٦ ومنعت العمال المصريين من العمل  
فى العسكرات البريطانية بالقناة ، وأوجدت لهم وظائف بديلة ، ومنعت  
عن الجيش المحتل كل خيرات البلاد ، وكان ذلك من الأسباب التى  
أضعفت شأنه .

وهكذا حققت هذه الثورة ألوانا من النجاح فى ميادين متعددة<sup>(١)</sup> .

---

(١) انظر تفاصيل ذلك فى الجزء الخامس من موسوعة التاريخ المؤلف .

— ٢٣٧ —

ولسكن الملك فؤاد والملك فاروق هالهما أن ينعم الشعب بهذه الحقوق الواسعة التي خلقها الوضع الجديد ، وهالهما كذلك أن تحدد سلطاتهما ، فتأمر مع الاستعمار ضد هذه الثورة ، وعلا على إبعاد حزب الأغلبية ؛ وعلى جعل الدستور كليات لا مدلول لها ، وحى الملك فؤاد والملك فاروق الإنطاع ورأس المال ، فقد كانا هما والأسرة المالكة أوسع الإقطاعيين أرضاً وأكثرهم ثراء ، ولم يتحمس الملاك ضد الاحتلال الإنجليزي ، فقد كان فيهما تراث من الخديوى توفيق الذى تعاون مع الاستعمار وجامله .

### ثورة ١٩٥٢ ومبادئها ونتائجها :

وهبت بذلك ثورة ١٩٥٢ لتنفخ على الأسرة المالكة التي كان يتمثل فيها التجدي ومقاومة آمال الشعب ، وأعلنت برنامجها فى نقاط ست هى :

- القضاء على الاستعمار وأعوانه .
- القضاء على الإقطاع
- القضاء على الاحتكار وسيطرة رأس المال على الحكم .
- إقامة عدالة اجتماعية

- ٢٣٨ -

- إقامة جيش وطنى قوى .

- إقامة حياة ديمقراطية سليمة .

وصفق الناس لهذه الثورة ، فقد كان يرفأجها يعبر عن آمال الشعب وأمانيه ، وصر الزمن حتى سنة ١٩٧٠ ، حينما انتهت حياة الرئيس جمال عبد الناصر ، وإذا وضعنا هذه الحقبة فى الميزان يقيم لنا أنها كانت حقبة تعمق فيها الأسى والضرر ، وتعرض الشعب خلالها لألوان من الآلام والهوان حتى أصبحت الهجرة أعظم مطمع يتجه له المواطنون ، واحتوتنا عزلة مريرة ؛ بعد أن انقطعت صلاتنا بأكثر الدول العربية والإسلامية والعالمية ؛ وانشغلت صحافتنا بالمهاترات ضد من أسموهم الرجعية ، والثورة المضادة ، وضد الملوك والرؤساء العرب ، كما انشغلت بتضليل الشعب ، وفقنا طعم المزائم عدة مرات ، وقد تحدثنا من قبل عن هذه المواقف ؛ والمهم أن هذه المشكلات شملت عصر جمال عبد الناصر ، فلم تتحقق على يده مبادئ ثورة ١٩٥٢ :

صحيح أن الاستعمار الإنجليزي قد انتهى ، ولكن هذا العهد جلب لمصر - بسياسته وهزائمه - استثماراً أنسى وأمر هو الاستعمار الصهيونى الذى احطل جزءاً هزيباً من بلادنا وهدد الباقى بشراسة .



وقد يكون الاقطاع الزراعى قد انتهى ، ولكن الذى لاشك فيه  
أنة قد حلت محله صنوف أخرى من الاقطاع فى الشركات والعمارات  
والاثراء الحرام .

ولم تعد لرأس المال فعلا سيطرة على الحكم ، ولكن مراكز  
النفوذ سيطرت عليه ، وكانت أخطر على الحكم ألف مرة من  
رأس المال .

ولم تتحقق العدالة الاجتماعية ؛ فقد افتقر الأغنياء وجاع الفقراء  
وقد سبق أن اقتبنا ذلك .

أما الجيش فى العهد الماضى فقد ذاق طعم الهزائم فى كل معاركه ،  
وكان اليهود يصفونه بالأرانب ، وذلك بسبب قيادته الهزيلة  
المنسية المنحرفة .

ولا يمكن أن يدعى أحد أن بلادنا شهدت الديمقراطية السليمة  
فى ذلك العهد ، فقد وصل الأمر إلى تعيين مجلس الأمة ، وتحديد من  
يلغزم الناس باختياره ، وحجب الحرية تماماً عن الصحافة ، وفصل  
الأحرار من وظائفهم ؛ وتحطيم الأقلام والنفوس .

ومن أجل هذا الاستغراق فى مختلف النواحي ثار جيل ثورة

— ٢٤٠ —

٢٣ يوليو ، ويصف الأستاذ موسى صبرى ذلك في الأخبار يوم  
١٩٧٤/٤/٢١ بقوله :

« إن جيل ثورة ٢٣ يوليو قمر على قيادتها في مظاهرات عام  
١٩٦٨ بعد الهزيمة المرة ، وأعلن حينئذ سقوط جميع اللامتيازات ،  
وطالب بالحرية ، ورفض أن تمر الهزيمة بغير حساب ، ودعا إلى  
الديمقراطية وحكم الدستور ، وتحدى سياسية القمع » .

## أنور السادات وثورة التصحيح

اختير أنور السادات — كما ذكرنا — نائباً لرئيس الجمهورية ، ثم اختير رئيساً للجمهورية عقب وفاة جمال عبد الناصر ، وحاولت مراكز النفوذ أن يسير عهد أنور السادات كما سار عهد سلفه ولكن الرجل كان طبيعة أخرى ، بعثته العناية الإلهية دواء للجراح ، وأملهم بعد اليأس ، ورجاء بعد الشدة ، وضوءاً بعد الظلام الذى طال وامتد ، فتصدى بقوة للخفافيش التى تجمعت فى الظلام ، وأمدّه الله بالحنن فقضى على أوكارهم فى ١٥ مايو سنة ١٩٧١ ، وبدأ بذلك عهد جديد . هل يعدّ عهد أنور السادات عهداً جديداً أو استمراراً لعهد

برال عبد الناصر ؟

فى الإجابة عن هذا السؤال نقرر بإصرار أن عهد أنور السادات عهد جديد ، بقيم جديدة ، وتخطيط جديد ، وأنه فى سياسته الداخلية والخارجية يسير فى فلك جديد ، وفى ضوء جديد ، فلا اعتقالات ولا كبت ، ولا حراسة ولا تأمين ، ولا صراع بيننا وبين الدول العربية ، ولا قطيعة بيننا وبين دول العالم ، وصنرى ذلك بعد قليل عند الكلام عن ملامح العهد الجديد . ولعل ذلك هو الذى حدا بالككتور وحيد رافت

والدكتور مصطفى أبو زيد أن يسميا عهد أنور السادات بـ ١٥ مايو سنة ١٩٧١ بالجمهورية الثانية .

واستمراراً لهذا الاتجاه يرى بعض المفكرين أن شرعية الحكم بمصر قد سقطت نهائياً في يونيو ١٩٦٧ ، بعد الفشل الشامل في كل مرافق الحياة ، وأنها عشنا فترة غير شرعية منذ ذلك التاريخ ، حتى قامت شرعية جديدة مختلفة في نوعيتها وأخلاقياتها ، وتطبيقاتها يوم ١٥ مايو سنة ١٩٧١<sup>(١)</sup> .

وسؤال آخر هو : هل يعتبر أنور السادات مسئولاً عن عهد سلفه ؟ .

يقول الرئيس أنور السادات في الإجابة عن هذا السؤال : إنه مسئول عن عهد سلفه ، ونحن نهرب من هذا الاتجاه تحكمنا في ذلك مقاييس علمية يقتضي أن نخضع لها ، وفي قمة هذه المقاييس قوله تعالى « ولا تزد وزر أخرى »<sup>(٢)</sup> . ثم إن الرئيس أنور السادات بعد حل مجلس قيادة الثورة في ٢٤ يوليو سنة ١٩٥٢ شغل مناصب كثيرة بعيدة عن السلطة التنفيذية ، فقد كان سيادته سكرتيراً عاماً للمؤتمر الإسلامي ،

(١) الأستاذ صالح جودت : مجلة المصور في ٨ مارس ١٩٧٤ .

(٢) سورة فاطر : الآية ١٨ .

وكان مشرفاً على دار التحرير للصحافة ، وكان رئيساً لمجلس الشعب ، ولا يمكن بهذا أن يعد مشغولاً عن قرارات اتخذتها السلطة التنفيذية . وقد رأينا الرئيس السادات يلغى قرارات كثيرة صدرت في عهد سلفه مما يدل على عدم رضاه عنها ، وذلك كإلغاء الحراسة ، وإعادة أساتذة الجامعة المفصولين ظالماً ، والاعفو عن المسجونين السياسيين وغير ذلك . ولا يمكن أن يعتبر أنور السادات راضياً عما حدث قبله ، بدليل أنه بعدَ بعداً واسعاً عن سياسة ذلك العهد ، التي طالما فزع منها الشعب وشكها إلى الله ، وقد برهن أنور السادات عن أن طبيعته في الحكم تختلف اختلافاً تاماً عن طبيعة العهد الذي سبقه ، وتلك حقيقة نقررها ونؤكددها لوجه الحق والدين والوطن .

وسؤال ثالث هو : ما العلاقة بين أنور السادات وثورة ٢٣ يوليو ؟

إن أنور السادات وثيق العلاقة بالإعداد لهذه الثورة ، وهو الذي تحمل مخاطر إعلان قيامها كما قلنا من قبل ، ولكن الثورة بقيادة جمال عبد الناصر اتجهت وجهة خاصة ، تمت مسؤولية هذا القائد الذي أعلن بهرابة أنه المسئول عن هزائم سنة ١٩٦٧ ، وعن الزحف على اليمن وغير ذلك من الأحداث ، وفشَل هذا العهد في مسيرته ، وفشل

في تحقيق أهداف الثورة كما شرحنا آنفاً ، وآل الأمر لأنور السادات الذي بدأ من جديد يعمل لتحقيق الأهداف التي أعلنها باسم الثورة في صبيحة الثالث والعشرين من يوليو سنة ١٩٥٢ ، وعلى هذا فارتباط أنور السادات بالثورة يكون بإسقاط حقبة طويلة تبدأ منذ انحرفت الثورة عن مسارها الصحيح في مطلع عام ١٩٥٤ حتى أعادها سيادته إلى وضعها الطبيعي بثورة التصحيح ، ونحن ندعو لسيادته من كل قلوبنا أن يوفق في تحقيق مبادئ الثورة التي فشلت سواء في تحقيقها ، وأن يجعل اليُمن على يديه ، وخير البلاد مقروناً باسمه .

ومن الحق أن التعرف على الداء هو الوسيلة الضرورية لوصف الدواء ، وقد منعنا القوى الجائرة ردحاً من الزمن أن نصف الداء ، فظل الرض كامناً ، واستمر ينتشر ويتعمق ، وقد أتيج لنا بعد لأى أن نعرف على الدواء ونعلمه ، وبالتالي أن نصف الدواء ليزول به سقم المريض ، ويسترد المريض صحته ، رجاء أن نلحق بركب التقدم الحضارى الذى يسارع الخطا .

---

الكلمة الأخيرة نختم بها حديثنا عن ثورة ١٩١٩ وثورة ١٩٥٢ هي أن ثورة ١٩١٩ مهدت الطريق للثورة ١٩٥٢ ، ولم تنجح هذه من فراغ

كما قال الرئيس أنور السادات ، ومن مفاخر ثورة ١٩١٩ أنها صقلت  
المجتمع المصري ، و خلقت لعصر جيشاً استطاع أن يثور على الباطل ،  
وشيدت طرقاً وجامعات ومستشفيات عظيمة ، وظهر في أحضانها رجال  
عماقة ، ومع هذا فهنالك اتجاه لإخفاء تاريخ هؤلاء الرجال ، وإن  
الإنسان لتأخذه الدهشة حينما لا يجد مدرسة أو شارعاً أو مؤسسة ذات  
بال تحمل اسم مصطفى النحاس أو محمد حسين هيكل ، بينما يسمى أعظم  
طريق في القاهرة باسم صلاح سالم ، ونرجو أن يتداركهم -د أنور  
السادات هذا النقص المشين .

## ملاحم العهد الجديد

اتجه العهد الجديد وجهة إصلاح للداخل ، ولا نقول إن الإصلاح شمل كل شيء ، فلا تزال المتاعب الاقتصادية تطحن الناس ، ولا تزال المرافق تعاني من الضغط الشديد ، ولكن الإصلاح اتجه للنفوس بالدواء ، فأمن هذا العهد كل فرد على نفسه وعلى ماله وعلى ذريته ، وأوصدت أبواب المعتقلات ، ولم تعد القلوب تدق رهبة إذا طرقت طارقت أبواب الناس بالليل ، ولم تعد هناك حراسة ، وظهر نوع من الحريات يرجى أن يكتمل ، وعلت الابتسامة الوجوه التي عرفت الهم والقلق والوجوم هدة أهوام ، وأعلن أنور السادات أن الحب هو الذي يسيطر على مجتمعا الجديد وأنه لا مكان في مصر بعد اليوم للحقد والضعفنة والبغضاء .

والحق أن أنور السادات جدير أن يتصرف هذا التصرف ، لأنه عانى في شبابه صورا من الظلم ، عرف الفصل من العمل ، وعرف السجون والمعتقلات والاستهانة بكرامة الإنسان ، هذا بالإضافة إلى ما أثبتته الأيام عنه من سماحة النفس وصفاء ضمير ، وتلك سككات نقولها بأسم الحق ولحق التاريخ .



واتجهت الدولة بعد هذا الإصلاح الداخلى تعيد بناء صلاتنا بالإخوة العرب ، وكانت استجابة هؤلاء سريعة وشاملة ، فسرعان ما نسي الملوك والرؤساء ما أصيبوا به من غمزات أو لمزات ، ومدرا أيديهم إلى مصر وفتحوا خزائهم ، فتبادل المنفعة هو وحده الذى يحمى مصر ويحمى العرب .

واتجهت مصر المدرك الإسلامية تعيد الارتباط الذى رسمه يد الله عندما قال جل وعلا « إن هذه أمتكم أمة واحدة »<sup>(١)</sup> والذى أيده سيدنا رسول الله عندما قال « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً » . واتجهت مصر إلى إفريقية كأنخت كبرى لاتقطع إلى زعامة ولا تنقص من أحد ، وإنما تمد يدها بالعون ما استطاعت وترجو الخير لكل الجيران ، معتقدة أن الخير يمد ظله وتقوى أشعته .

### حرب النهر

وتهيأت مصر بذلك المعركة الكبرى ، ومرت شهور حافلة بالجهد والعرق فى ظل الإيمان والإخلاص حتى الأول من أكتوبر سنة ١٩٧٣ عندما عُقد اجتماع على أعلى مستوى عسكري حضره الرئيس أنور السادات ، وتمت الخطوة بالتعاون مع أبطال سوريا على

(١) سورة الأنبياء الآية ٩٢

بدء الهجوم ظهر السادس من أكتوبر ، وكان تعاون مصر وسوريا هذه المرة مبنيا على أسس سليمة ، ويقول المرحوم المشير أحمد إسماعيل :  
 لقد كان التنسيق الجاد الخالص مع القوات السورية هو قرارى منذ اللحظة الأولى للإعداد للمعركة ، وكنا نقصد بذلك أن نرغم العدو على القتال فى جبهتين فى وقت واحد لتشتت جهوده ، وبذلك نتجاشى ما حدث فى حرب ١٩٦٧ ، إذ كان التنسيق فيها بين مصر وسوريا غير صادق من الطرفين ، ويستمر المشير أحمد إسماعيل قائلا : وأسجل أن تعاون القوات السورية معى كان تعاوناً صادقاً ومشرفاً ، وهذا يسّر السبيل لتنظيم خطواتنا ، وتحديد ساعة الصفر . . . وبذلك تحقق العبور العظيم .

وقد وُضع قرار الحرب على الرغم من أن القوتين الكبيرتين كانتا قد اتفقتا على ما سعى بالاسترخاء العسكرى فى منطقة الشرق الأوسط ، وعلى الرغم من أن الاتحاد السوفيتى لم يوف بتعهداته فى إرسال السلاح لمصر على نحو ما أرادت مصر .

وكانت إسرائيل قد دبرت أمرها طيلة سنى الهزيمة ، فأعدت عدة شيطانية لحماية نفسها ضد أية محاولة تقوم بها مصر ، وكانت قناة السويس تعد مجرى يؤمن لها الحياة ، وبحوار المجرى كان يقف خط بارليف

العنيد ، ثم السائر الترابى الشاهق الذى كان يحوى كل التحركات والاستعدادات خلفه ، وانتشرت هنا وهناك قوة ضاربة كبيرة أمدنها أمريكا وألمانيا ودول أوربية أخرى بالمال والعتاد ، ولكن مصر كانت قد أعدت نفسها للثأر والتحرير الأرض ولاستعادة تاريخها الطويل فى البطولات والانتصارات ، مؤكدة أن الهزيمة أو الهزائم السابقة نشأت عن إهمال راح إلى غير عودة .

### مع حرب السادس من أكتوبر يوماً بيوم

فى قفزة أقرب إلى الخيال تغير كل شيء فى المنطقة ؛ فالطائرات المصرية لم تعد تلك التى تهاجم وهى رابضة ، بل راحت تزداد حتى شأت حركة الفانتوم التى كانت تعتمد عليها إسرائيل ، وقصرت خطواتها .

وانرفع أيدينا عن الكلام لنعطى الزمام لقادة المعركة الظافرة ، وقد تحدثوا بعض الشيء ، وكشفوا ما يمكن كشفه من أسرار المعركة ومن أحاديثهم نقبَس بعض لقطات .

يقول الفريق سعد الدين الشاذلى رئيس الأركان السابق عن فترة ما قبل المعركة :

« إن تحركات استمدادنا كان يصحبها تحركات أخرى نقوم بها للخداع ، لنحدث ارتباكاً في تقديرات من يرقب ، ولنعوده إلى النتيجة الخاطئة ، وكانت أصعب أيام الخداع هي الأيام الثلاثة الأخيرة ، فهي تقتضي تحركات معينة ، فاحتجنا إلى دقة شديدة في التقدير لإخفاء هدفها ، وسكنها أولاً وأخيراً رعاية الله لنا ، التي مكنتنا من تحقيق المفاجأة بصورة التي تمت بها .

وبقول المرحوم المشير أحمد إسماعيل :

عندما انطلقت « الشرارة » كما أسماها الرئيس أنور السادات وبدأت خطة « بدر » كما أطلق عليها العسكريون بدأ كل شيء يتحرك وفقاً لهذه الخطة :

ضربة الطيران الرئيسية : مائتا طائرة تقوم من الجبهة المصرية بضربة الأولى على مواقع العدو الحساسة ، ومائة طائرة تقوم بالضربة الأولى من الجبهة السورية .

تمهيد هائل بالدفعية : ألفا مدفع تهدر في قصفات متلاحقة .

موجات الهجوم الأول : نجاذ وجَدَّ العدو أمامه ثمانية آلاف

رجل ينزلون إلى قوارب اللطاط وغيرها من الوسائل ويبدأون العبور تحت النور .

فأرم العدو من النقط الحصينة لخط بارليف على طول القناة ،  
وبواسطة الدبابات الرابضة في مكانها بجانب النقط الحصينة ،  
واشتركت المدفعية التي تعززها في صد موجات الهجوم الأولى .

جنودنا يصلون إلى النقط الحصينة برغم كل مقاومة ، بعض النقط  
الحصينة كانت عنيدة في دفاعها ، ولكن جنودنا يتمتعون بالمدافع  
الرشاشة والقنابل اليدوية هذه الحصون .

كان السائر الترابي في بعض المواقع عرضه مائتا متر ، ولم تكن  
الأرض صالحة لنصب كبارى العبور ، لكن المهندسين كانوا في أعظم  
لحظات حياتهم ، وكان مدير سلاح المهندسين يشرف بنفسه على مواقع  
الجسور ، واستشهد نائب مدير سلاح المهندسين على أحد جسور  
العبور .

قواتنا البحرية تتحرك لتضرب أهدافاً حيوية للعدو على شاطئ  
البحر الأبيض وعلى شاطئ البحر الأحمر

قواتنا الخاصة أنزل وراء خطوط العدو في عمق سيناء لتضرب  
خطوط إمداده ولتتعطل هجماته المضادة وتعرقلها .

التدفق من الغرب إلى الشرق مستمر في نفس الوقت ، لا يقوقف  
ولا ينقطع .

في أربع وعشرين ساعة كانت لدينا في الشرق خمس فرق كاملة ،  
وذلك شيء لم يحدث مثله من قبل في تاريخ الحروب .  
أخذنا نذسف مواقع خط بارليف ونزيلها من مكانها إلى الأبد ،  
مخفطين بوحدة منها للعبرة والذكري . في أول يوم دمرنا ١٤ موقعا ،  
وفي اليوم التالي تسعة ، وهكذا حتى تحولت المواقع ، حلم إسرائيل في  
الأمن المطلق ، إلى أنقاض وركام .

\* \* \*

وقناة السويس كانت تعتبر مانعا مائيا فريداً يختلف عن جميع  
الأنهار والقنوات الأسباب التالية :

١ - انحدار الشاطئ من الناحيتين وتديشه ، مما يعوق المركبات  
البرمائية من النزول إلى المانع للماء أو الصعود منه إلا بعد تجهيزات  
هندسية صعبة . ولا يشترك مع قناة السويس في هذه الصفة سوى قناة  
بنما وعدد محدود من القنوات الصناعية .

٢ - قيام العدو بإنشاء سائر ترابي على الضفة الشرقية للقناة  
مباشرة بارتفاع ١٠ إلى ٢٠ متراً مما يجعل من المستحيل على أي مركبة  
برمائية العبور إلا بعد إزالة هذا السائر .

٣ - إنشاء خط بارليف على طول الساحل الشرقي للضرب على

ات تحاول العبور . وقد انتخبت مواقع هذا الخط بعناية فائقة ،  
نتحكم في جميع الاتجاهات وتستطيع أن تغمر بالنيران الجانبية أى  
تعبّر القناة وفي أى جزء منها .

١ — وجود خزانات المواد المتفجرة يسمع كل واحد منها مائتي  
ن هذه المواد ، على مسافات متقاربة ، بحيث يمكن للعدو أن يدفعها  
سطح المياه ثم يشعلها ، فيتحول سطح القناة إلى حمى متفجرة تحرق  
ىء فوق الماء ، بل تشوى الأسماك في عمق القناة وتلفح حرارتها  
ص الذى يبعد عنها بمسافة ٢٠٠ متر ، ويستطيع العدو أن يتحكم  
متمرار هذه النيران باستمرار دفع المواد المتفجرة إلى سطح الماء .

ومن هنا نجد أن قناة السويس ليست مجرد مائع مائى ، بل أنه مانع  
- ليس له شبيهه في العالم ، وإيست هناك خبرة سابقة في التاريخ لعبور  
، هذا المانع ، وكان لا بد من حل جميع المشاكل ، وقد قمنا بتجزئة  
كلية العبور الكبيرى إلى عدد من المشاكل ، وأخذنا نحاول ونجرب  
، إلى أن تم حل جميع هذه المشاكل . .

والآن ، كيف بدأ العبور ؟ وكيف تم التغلب على المشاكل

في العبور؟

## مشكلات العبور والتغلب عليها

يقول رئيس الأركان السابق : كانت المشكلة الأولى التي يجب علينا أن نتغلب عليها هي كيف نتغلب على النيران الملتهمية التي سوف تغطي سطح القناة عند بدء العبور ، وقد أتجه تفكيرنا أول الأسر إلى إطفائها وقتنا بعمل تجارب على ذلك في أماكن شديدة بالقناة ، فاتفق لنا أن عملية الإطفاء تحتاج إلى مجهودات ضخمة ، وأن النيران تبقى مشتعلة حوالي نصف ساعة إذا لم يتم تزويدها بكميات إضافية من المواد الملتهمية ، ومن هنا أتجه تفكيرنا إلى ضرورة إبطال استخدام هذه المواد قبل العبور ، وإذا حدث أن أخفقنا في إبطال استخدامها في بعض الحالات ، وجب علينا أن نمنع العدو من تغذية الحريق بكميات إضافية من المواد الملتهمية وذلك لإتقاص فترة تعرض قواتنا للحريق إلى أقل وقت ممكن ، ومن هنا بدأنا العمل ، وتم استطلاع تجهيزات العدو الخاصة بهذا الموضوع ، فاتفق أنه يضع هذه المواد في خزانات كبيرة مدفونة تحت سطح الأرض حتى يصعب تدميرها بواسطة المدفعية ، وكانت هذه الخزانات متصلة بمواسير تحت سطح المياه لتندفع منها السوائل الملتهمية إلى سطح المياه . وكان من الواضح أنه لو أمكن إغلاق هذه المواسير بأي وسيلة قبل بدء



عملية العبور ، فإن السوائل الملتصبة لن تصل إلى سطح الماء ولن يحدث الحريق وكان هذا هو الاتجاه الذي أخذنا به وبدأنا نتدرب عليه . وهكذا اتجهنا إلى أن نبعث ببعض الأفراد المتسللين لإغلاق هذه المواسير بالأسمت مع تسكين بعض أفراد من الصاعقة بسرعة الاستيلاء على هذه المستودعات ومنع استخدامها في حالة القشل في إغلاق المواسير الموصلة إلى المياه ، وزيادة في الحيلة درسنا اتجاه التيار في القناة على طول ساعات اليوم وانتخبنا قطاعات الاختراق بحيث تعبر قواتنا فوق التيار ، وبذلك نتفادى النيران فوق سطح الماء ، وقد تمت العملية بنجاح تام ، ولم ينبجج العدو في إشعال حريق واحد فوق سطح القناة ، وتم الاستيلاء على مستودعات المواد المائية سليمة بكل ما فيها ، بل وتم أسر الضابط المهندس الإسرائيلي .  
قام بتصميمها ، وقد أدلى في أقواله أنه حضر إلى القناة في اليوم السابق للاقتال لكي يختبر هذه المستودعات .

وكانت المشكلة الثانية هي كيف يمكن إزالة السائر الترابي الذي أقامه العدو على الضفة الشرقية حتى يمكن أن تقيم العديات والسكري على القناة ، ويمكننا أن نتصور ضخامة هذه العملية إذا علمنا أن ثغرة واحدة في السائر الترابي عرضها حوالي سبعة أمتار تعنى إزالة ١٥٠ متر

مكب من الأتربة ، وكانت احتياجات العبور تطالب بفتح ٦٠ نفرة على طول الفذة في كل جانب ، أى إزالة حوالى ٩٠.٠٠٠ متر مكعب من الأتربة من السائر التراى شرق القناة ، فإذا علمنا أننا خلال السنوات الست الماضية كنّا قد أقمنا أيضاً سائراً تريبياً في غرب القناة خشية أن يقوم العدو بهجوم مفاجئ علينا ، اتضح أن المشكلة أصبحت مضاعفة ، وأنه يتحتم علينا أن نفتح ثغرات مماثلة في السائر التراى الغربى ، فاتجه تفكيرنا أول الأمر إلى أن نفتح هذه الثغرات بواسطة التفجير ، واستمرت نظرية التفجير هي السائدة حتى منتصف عام ١٩٧١ إلى أن اقترح أحد الضباط المهندسين الشبان نظرية التجريف ، وهي استخدام المياه المندفعة تحت ضغط عال في إزالة هذه الرمال وقتنا بعمل التجارب وثبت نجاحها وأفضليتها على نظرية التفجير ، وأخذنا ندخل التحسينات بزيادة قوة الماكينات إلى أن أصبح في مقدور رجال سلاح المهندسين أن يفتحوا النفرة الواحدة في مدة تتراوح بين ثلاث ساعات وخمس ساعات .

لم يكن فتح النفرة في السائر التراى هو نهاية المشكلة بل كان من الضروري تهذيب جوانب القناة بالنسف والتسوية حتى يمكن

تثبيت الكبارى أو تجهيز هذه الثغرات لتشغيل المعديات وعبور المركبات البرمائية .

وإذا جاز لنا أن نقدم كشف حساب عما قام به المهندسون العسكريون ، فإننا نقول إنهم قاموا بشق ٦٠ ثغرة فى الساتر الترابى ، وأقاموا عشرة كبارى ، وما يقرب من ٥٠ معدية عبر القناة ، كل ذلك خلال فترة مابين ٦ و ٩ ساعات ، وقد تم التنفيذ طبقاً لما كان مخططاً تماماً فيما عدا القطاع الجنوبي من القناة ، حيث كانت الأرض غير صالحة لعمليات التجريف ونتج عن ذلك بعض التأخير فى إقامة الكبارى والمعديات عما كان مخططاً ، وإن هذه الأعمال الهندسية الباهرة سوف تكون دائماً مثار فخر للمهندسين المصريين فى جميع أنحاء العالم .

وكانت المشكلة الثالثة هى كيف يستطيع المهندسون أن يقوموا بهذه الأعمال الهندسية الضخمة وهم تحت نيران العدو المسيطر فى الضفة الشرقية ، وكانت الإجابة الفورية هى ضرورة دفع المشاة عبر القناة لتأمين المهندسين ، وهو ما يطلق عليه فى التمييز العسكرى « تأمين رؤوس الكبارى » .

وكانت المشكلة الرابعة هى كيف يستطيع المشاة أن يعبروا القناة ويؤمنوا رؤوس الكبارى إلى أن تتدفق الدبابات والمدافع والأسلحة (١٧)

الثقيلة عبر المعبديات والسكبارى التى أقامها المهندسون ؟ وكيف يصمد المشاة أمام هجمات العدو المضادة بواسطة الدبابات لمدة تتراوح بين ١٢ و ٢٤ ساعة إلى أن يكتمل عبور الدبابات والأسلحة الثقيلة ؟ وبعد دراسة مطولة أمكننا حل هذه المشكلة بناء على الأسس التالية :

( ١ ) قوة المشاة التى تُكَلَّف العبور تحمل معها أقل ما يمكن من التعمين والمياه ، وأكثر ما يمكن حمله من سلاح وذخيرة ، وكان لإجالي ما يحمله كل جندي حوالى ٢٥ كيلو جراماً ، وكان يصل أحياناً مع بعض الجنود إلى ٢٥ كيلو جراماً .

( ٢ ) ابتكار عربات جر صغيرة يضع فيها المشاة ما لا يستطيعون حمله ، ويجرونها بأيديهم عبر السائر الترابى وعند تحرّكهم شرق القناة .

( ٣ ) تسليح المشاة بأسلحة مضادة للدبابات ، ولا سيما الصواريخ الخفيفة التى يمكن حملها بواسطة الأفراد ، وذلك لصد هجمات العدو المضادة بواسطة الدبابات .

( ٤ ) تسليح المشاة بالأسلحة المضادة للطائرات ، وبخاصة الصواريخ الخفيفة التى يمكن حملها بواسطة الأفراد ، وذلك لصد هجمات العدو الجوية ضد قواتنا فى أثناء العبور وبعبءه .

(٥) تجهيز المشاة بسلام لمساعدتهم في تساق الساتر الترابي وجر أسلحتهم وذخائرهم للحملة في عربات الجر .

(٦) تنظيم عبور المشاة في قوارب تنظيمياً تفصيلياً بحيث يعلم كل جندي مكانه في القارب ومكان العبور ووقته وواجبه في أثناء العبور . . . إلخ .

(٧) التسال خلال خط بارليف وعدم مهاجمة النقط القوية لهذا الخط إلا بعد استكمال عملية العبور وإكمال حصارها .

وخلاصة القول لقد استخدمنا المشاة بنفس الأسلوب الذي كان يستخدم به المشاة منذ العصور القديمة ، وإن اخفقت الأسلحة التي كانت في أيدينا عن تلك التي كانت في أيديهم .

وكانت المشكلة الخامسة هي كيف يمكن لقوة المشاة أن تعبر هذا المانع بنجاح ما لم ندمر وإسكات الرشاشات والمدافع التي تطل من فتحات خط بارليف وتغمر القناة بطولها . وقد قمت مدفعيتنا بحل هذه المشكلة على أحسن وجه . وكانت نتيجة ذلك أن تمكن مشاتنا من عبور القناة بخسائر طفيفة جداً .

وكانت المشكلة السادسة هي كيف نعيد تنظيم قواتنا على الشاطئ الشرقي ؟ وكيف تصل المدبابات والمدافع والتخيرة إلى وحدات المشاة

التي سبق عبورها . ؟ كيف يتم كل ذلك ليلا وتحت ضغط العدو ، وكيف تتميز هذه الدبابات والأسلحة طريقها وتتعرف على وحداتها ؟ ويمكننا أن نتصور هذه المشكلة إذا تخيلنا أن آلاف الدبابات والمركبات والمدافع الثقيلة كان يتحتم عبورها لتتغصم إلى وحدات المشاة التي عبرت لتزبد من قدرتها على التمسك بالأرض ، وضد هجمات العدو المتكررة . . وقد أُدغى سلاح الإشارة وإدارة الشرطة العسكرية واجبهما على الوجه الأكمل ، فقد أمكن مد كوابل الإشارة عبر القناة منذ اللحظات الأولى للعبور ، وتم تحديد الطرق والمدقات بحيث كان يعلم السائق أنه إذا اتبع اللون الأحمر مثلاً فإنه سيصل إلى وحدته في رأس السكوبري بينما يتبع سائق آخر اللون الأخضر ، وهكذا . وقد درّبت القوات قبل المعركة على ذلك وقامت بتنفيذها بكفاءة تامة . وامتلاً ميدان المعركة برائحة الدخان والدم والوت ، كما امتلاً بالضجيج والزباب والرمال . . أصوات انفجارات ، وأزيز طلقات الرصاص ، وصفير القنابل الساقطة من جوف الطائرات ، وصيحات العدو الذي لا يعرف كيف يصد الهجوم .

وكان هذا بالضبط ما أرادته القيادة: أن تفرق مواقع خط بارليف للنعم بموجات متتالية من البشر ، وعلى امتداد خط المواجهة كله .

— ٢٦١ —

فى وقت واحد ، حتى لاتتاح فرصة لموقع لمساندة موقع آخر ، وحتى  
تبعجز للقيادة الإسرائيلية عن نجدة هذه المواقع كلها . .

كانت القيادة المصرية تعرف أن هناك احتياطات معدة لنجدة  
المواقع المختلفة ، وأن هذه المواقع قادرة على التدخل لنجدة بعضها  
اللبعض .. ولكن تخطيطنا جعل كل موقع جزيرة معزولة محاطة بأمواج  
بشرية مصرية . .

وعندما اندفعت هذه الاحتياطات لصد الهجوم المصرى ، كانت  
الصواريخ المضادة للدبابات فى انتظارها . . وانفجرت عشرات الدبابات  
والدروع المدرعة الإسرائيلية ، واصطدمت الدوريات الإسرائيلية  
بالمكانن المصرية المعدة للتعامل معها .

ومع المواجهه الثانية عبرت مجموعات من المشاة تحمل صواريخ  
« ستوريللا » سام ٧ لحماية القوات التى ستنتشى رؤوس الجحور من  
التدخل الجوى . .

وظهرت بطولات وتضحيات أسطورية لا يتسع لها المجال .  
لقد فشل العدو فى مقاومة العبور ، وخاب أمل موثى ديان الذى  
صرح بأن العمالية سوف يقضى عليها فى يوم واحد ، ففقد بنى رأيه  
على التقديرات التالية :

(١) ضرورة فشل المصريين في العبور نتيجة النيران الكاسحة التي يمكن أن تطاق عليهم من حصون خط بارليف وكذلك السوائل الملتصبة التي كان يأمل أن تغلى القناة . وبذلك فليس هناك أى أمل في وصولنا إلى الشاطئ للشرق .

(ب) عدم قدرة المهندسين في إزالة الساتر الترابي وإنشاء الكبارى والمعديات دون تأمين الجانب الشرقى ، وأنه بفرض نجاح المصريين في اقتحام جزء من القناة فإن المهندسين سوف يحتاجون إلى حوالى ٢٤ ساعة لإنشاء هذه الكبارى ، وبالتالي فإن الدبابات والأسلحة الثقيلة لن يتم عبورها قبل حوالى ٤٨ ساعة من بدء الهجوم ، وكان هذا الوقت يكفى لجلب الاحتياطات المدرعة من العمق لتقوم بتصفيية القوانيع التي نجحت في إنشاء رؤوس الكبارى في الشرق .

وقد أخطأ ديان الحساب عند تقديره لإمكاناتنا في العبور وبخاصة في النقاط الرئيسية التالية .

(١) قدرة المشاة على صد الدبابات والطائرات المعيرة التي تكون على ارتفاع منخفض ، والنشبت بالأرض ولو بدون أسلحة ثقيلة لمدة طويلة .



(٢) كفاءة مهندسينا وقدرتهم في إقامة السكبارى والمعديات

على هذا المانع في مدة تتراوح بين ٦ و ٩ ساعات .

(٣) التنظيم الجيد للعبور، والذي وصل إلى أن كل ضابط وجندى

في القوات التى تقوم بالعبور أو تقوم بتقديم الدعم له ، كان يعلم جيداً دوره بالتفصيل ، والوقت الذى ينفذ فيه هذا الدور بالدقيقة ، إلى الحد

الذى جعل عملية العبور تعتبر سيمفونية رائعة يشترك فيها عشرات الألوف من البشر في وقت واحد .

(٤) المناجاة التى حققتها قواتنا والتى ظهرت نتيجةها بوضوح

في الأيام الأولى للمعركة ، حيث كانت جميع تصرفات العدو تنقسم بعدم التنسيق والارتجال لمدة يومين على الأقل .

(٥) العقيدة والإصرار الذى كان يقاتل بها جنودنا البواسل ،

فأقدم كان كل ضابط وجندى يعلم جيداً أنه يدافع عن شرف مصر

وشرف العربوا الذى اهداه بانتزاع أحداث ٥ يونيو سنة ١٩٦٧ ظلاماً ،

وكان يحاول أن يسترد أرضه ، ويستعيد كرامته وهزته ، بينما كان

الجندي الإسرائيلي يقاتل دون هدف واضح مقنع . هل وضع ديان

في حسابه الأثر المعنوى الذى أحدثته المئات المغلغمة " الله أكبر " الذى

ردده الجنود وهم يهرون القناة ؟ لا أعتقد أنه أدخل ذلك في حساباته .

- ٢٦٤ -

## شهادة من المعهد البريطاني للجندى المصرى

أصدر المعهد البريطانى لدراسات الحرب تقريراً ذكر فيه أن عبور  
الجيش المصرى لقناة السويس الذى نتمّ فى السادس من أكتوبر كان  
يصعب تحقيقه بهذا النجاح حتى لو كان الأمر مجرد عملية تدريب بدون  
عدو مواجه ، وقبل أن نورد فقرة هذا التقرير التى تحمل هذا المعنى  
نذكر أن الجندى الذى عبر القناة فى سنة ١٩٧٣ هو نفس الجندى الذى  
هزم سنة ١٩٦٧ أو أخوه أو ابن عمه ، وكل ما تغير فى الأمر هو ظروف  
مصر وقيادة مصر ، ونص الفقرة التى أشرنا إليها هو :

« كل التقارب نشير إلى أن المصريين هاجموا بشجاعة بالغة وإصرار ،  
ودافعوا عندما كان عليهم أن يفعلوا ذلك بعزيمة ونجاح ، واقد صمد  
مشاتهم بكل تأكيد أمام هجوم كبير بالمدفعات ، وهى من أكثر  
الأشياء إثارة للعرب عند مواجهتها .

ولسوف يوافق كل المحترفين على أن عبور القناة قد تم  
بصورة رائعة غير عادية . . . . ولو افترضنا أن المرء كان مكلفاً بأية

تدريبات في أى ظرف آخر دون أن يكون هناك أى عدو ، وكان عليه أن يقوم بكل أعمال تجميع القوات الهندسية والقيام بواجبات أركان الحرب ، والانطلاق سها دون أية غلطة ، لسان الأمر من الصعوبة بكان ، وكان إنجازها بلا خطأ أسراً مرضياً جداً مع عدم وجود عدو . ولم يكن هناك من يصدق أن المصريين كانوا قادرين على ذلك منذ عشر سنوات ، ولكنهم فعلوه . . لقد دفعوا بقوات هجومهم عبر القناة ، وحققوا النتائج التي ترفونها . . لقد استيقظت روح القتال بكل تأكيد لدى المصريين .

### مزايعم باحطة عن أسباب النصر

لقد شرحنا من قبل الأسباب الحقيقية التي قادت إلى النصر ، والتي بدأت من إطلاق الحريات ، ثم أزال الصدع من الجبهة الداخلية ، وأقامت علاقات طيبة بيننا وبين الدول العربية ، وبذلت أقصى الجهد في الإعداد الحقيقي للجيش ، فأزالت القيادات العالمة المتسببة ، ووضعت القيادات الصليمة المشهود لها بالكفاءة . . . . .

ولكن عندما حققت جولة الجيش انتصاراتها الباهرة في العاشر من رمضان ( ٦ أكتوبر ٧٣ ) بفضل ذلك الجهد الأدبي والمادى ، أطلقت الأشباح من مكانها تنسب هذه الانتصارات إلى عهد الناصر ،

استمع إلى ابن جمال عبد الناصر يقول لندوب روز اليوسف في العدد الصادر في ١٣/١/١٩٧٥ : ومنذ ١١ يونيو سنة ١٩٦٧ أعطى عبد الناصر لشعبه كل قوته وصحته وعمره ، وبدأ مرحلة بنساء القوات المسلحة حتى تحقق لنا النصر في أكتوبر ١٩٧٣ .

ويردد محمد حسنين هيكل هذا المعنى فيقول عن جمال عبد الناصر إنه بنى حائط الصواريخ الذي كان نقطة الارتكاز في عملية العبور في أكتوبر ١٩٧٣ <sup>(١)</sup> .

ونحن نسائل هذه الأصوات : أين جهود عبد الناصر في حرب ١٩٥٦ ؟ وفي حرب اليمن ؟ وفي حرب ١٩٦٧ ؟ ولماذا كانت الهزائم قاسمة وسريعة في كل هذه الحروب ؟ وأين الاستعدادات العسكرية الماثلة والأسلحة الجبارة التي كانت معنا وغنمناها إسرائيل ، وكانت في بعض الأحيان تأخذها بصناديقها دون أن تفتح ، إن المسألة لم تكن سلاحاً ولا أجهزة ولكن كانت فكرياً ورجالا ، وإن حائط الصواريخ بدون رجال كان سيمثل صنماً يقفز عليه المعتدون ، فلنيسكف الناس عن الباطل ولترتفع كلمة الحق لوجه الله ووجه الوطن .

---

(١) بصراحة عن عبد الناصر ص ١٧١ .

## نتائج معارك أكتوبر

حدد الرئيس أنور السادات نتائج معارك أكتوبر بقوله في المؤتمر القومي يوم ٢٢/٧/١٩٧٥ : إن من نتائج هذه المعارك انهيار نظرية الأمن الإسرائيلي ، وتصدير أزمة الشك والتمزق وهدم الثقة من العالم العربي إلى المجتمع الإسرائيلي ، واقتناع العالم بأن إسرائيل لم تعد سلاح الإرهاب الذي يستخدم ضد العرب ويحمي المصالح الخارجية . . وأن هذه المصالح لا يحميها إلا التفاهم مع العرب . . ثم ظهور القوة البترولية والمالية للعالم العربي ، وإقبال كل القوى العالمية على الحوار معنا ، وترتيب مستقبلها في التفاهم مع أصحاب الأرض .

ويقول الزعيم الحبيب بورقيبة : إن حرب أكتوبر مكنتنا من أن نرفع رؤوسنا بعد هزيمة ١٩٦٧ المرة ، ولولا معونة أمريكا لإسرائيل في هذه الحرب لمنيت إسرائيل بهزيمة ساحقة <sup>(١)</sup> .

ويقول الرئيس جعفر النميري : إن الواقع العربي محكوم وسيظل محكوماً لفترة طويلة بالنتائج الباهرة التي حققتها حرب أكتوبر ، وإن حرب أكتوبر طحنت السكبان الإسرائيليين ومزقته ، وأفقدت إسرائيل قوى الدعم الخارجي ، وحولت الرأي العام العالمي لصالح العرب <sup>(٢)</sup> .

(١) مجلة الفجر القطرية الصادرة في ٢١/٦/١٩٧٥ .

(٢) حديث نصر في الأخبار أول يوليو سنة ١٩٧٥ .

وأجاب المرحوم المشير أحمد إسماعيل على سؤال الأستاذ محمد حسين هيكل عن نتائج ١٦ أكتوبر الإيجابية . قال :  
 هناك نتائج محققة ، وهذه النتائج يمكن تقسيمها إلى مجموعات مختلفة :  
 هناك مجموعة من النتائج العسكرية هي كالي :

١ - لقد زالت خرافة الجندي الإسرائيلي ، بعد أن كادت تثبت في بعض الأذهان بطريقة خطيرة ، لقد وجدناه جندياً عادياً ، دُرِبَ تدريباً حسناً مَرَّزَ من قدرته القتالية ، وهذا هو كل شيء . أى أنه في مقدور أى جندي آخر فهمه درب تدريباً حسناً يعزز قدرته القتالية أن يتصدى له وأن يهزمه .

٢ - لقد ثبت لي أن الجندي المصري من أشجع الجنود وأصلبهم في العالم ، ويكفيه صبره وبسالته ، فلقد صرت علينا أيام كان لنا فيها جنود يعيشون على نصف التعيين المقرر لغذائهم ، ولكن استعدادهم القتال لم يتأثر . وهناك ضمانات يجب أن نعطيها للجندي المصري لنأخذ منه أحسن ما عنده : تدريب جهاد ، وسلاح يثق فيه ، وضابط يشمر به ، هذا هو كل شيء .

٣ - إن أى عمل يحسن التخطيط له ملياً ، ويحسن التدريب عليه عملياً قابل للنجاح بنسبة مائة في المائة .

٤ -- هناك دروس أخرى مستفادة ، فى نواح فنية ، ولا أظنها بما يهيم الناس بصفة عامة ، وإنما هى تهيم القوات المسلحة بصفة خاصة .  
ويواصل المرحوم المشير أحمد إسماعيل قائلاً :  
أنتقل بمذ ذلك إلى مجموعة أخرى من النتائج السياسية والاستراتيجية ،  
وأعدها كما يلى :

- ١ — لقد كسرنا الجود الذى كان يحيط بأزمة الشرق الأوسط .
- ٢ — لقد غيرنا صورتنا أمام العالم كله ، فبعد أن كان يظننا جنة هامة ، رأنا قادرين على الحركة ، قادرين على القتال ، قادرين على الانتصار ، ولم تتغير صورة مصر وحدها أمام العالم ، ولكن تغيرت صورة الأمة العربية كلها .
- ٣ — لقد أثبتنا لإسرائيل أن منطقها فى الحدود الآمنة منطق مضروب : لم تسكن قناة السويس مانعاً كافياً أمام إرادة مصممة ، ولم يكن خط بارليف عائقاً كافياً أمام استعدادنا للتضحية ، وإذن فإن على إسرائيل أن تبحث عن منطق آخر فى الأمن ، وقرق ذلك ، فإن إسرائيل فى أى منطق الآن تحاول العثور عليه ، لابد لها أن تعرف أن أمامها فى مصر عدواً يتحتم عليها أن تحسب حسابه ، بل أقول وعليها أن ترهبه .

٤ - إن الحرب أثبتت بطريقة قاطعة أن شرم الشيخ ليست لها الأهمية الكبرى التي كانت لإسرائيل تظنّها وتبنى عليها بقاءها في سيناء، إن شرم الشيخ لم تعد مفتاح إيلات ، وإنما نزل هذا المفتاح إلى أقصى الجنوب عندما ظهرت استراتيجية عربية للبحر الأحمر قررنا بجمعتها قفل باب المندب .

ويلخص اللواء سعد مأمون مساعد وزير الحربية ما حققته حرب أكتوبر فيما يلي :<sup>(١)</sup>

إن القوات المصرية ، كما قال، الرئيس أنور السادات ، قامت بمعجزة على أى مقياس عسكرى ، وأن التاريخ العسكرى سوف يتوقف طويلاً أمام عملية السادس من أكتوبر ١٩٧٣ ، ولقد أثبتت هذه الحرب بالدلائل القاطع خطأ نظرية الحدود الآمنة المستندة إلى أقوى التجهيزات العسكرية والموانع الطبيعية ، واضطرو وزير الجيش الأمريكى يوم ١٨ أكتوبر إلى الاعتراف بأن عبور القوات المصرية قناة السويس هو علامة بارزة فى الحرب الحديثة سوف تغير الاستراتيجية العسكرية ، والواقع أنه لأول مرة فى التاريخ العسكرى الحديث تتمكن قوة عسكرية من إنجاز عملية عبور ضخمة كهذه فى مواجهة عدو مزود بطيران حديث درن أن تفقد القوات التى عهت أية طائرة من طائراتها .

(١) جريدة الأهرام ١١ ديسمبر سنة ١٩٧٣ .



## العرب والمعركة

وهذا الانتصار الكاسح الذى ظهر منذ اللحظات الأولى لازحف  
 حقق نتائج سريعة كانت بدورها شديدة التأثير فى نجاح المعركة ،  
 فالإخوة العرب هزم هذا الانتصار وملاهم سروراً ، وأزال عن  
 نفوسهم كابوساً كان ثقيلاً ومريراً ، فراحوا يتغنون بالمنتصرين  
 ويشجعونهم ، وأخذت الصحف العربية تتحدث عن الانتصارات  
 قائلة : تخطى جيشنا ، واستطاع رجالنا ، وحقق أبطالنا . . . . . وأمثال  
 هذه العبارات ، فقد اعتبر الجميع أن جيش مصر جيشهم وأبطال مصر  
 أبطالهم ، وهذه حقيقة نقرها ونفخر بها ، وأسرعت وحدات من  
 الجيوش العربية إلى أمكنتها فى ساحات القتال ، وكان ذلك شرفاً  
 حرص الجميع على أن ينالوا منه نصيباً ، وفى وسط أهاليج النصر فتح  
 بعض العرب خزائهم ليقدموا للجيش المصرى والسورى ما يحتاجانه  
 من إمدادات وأسلحة ومساعدات .

ثم خطا العرب خطوة أخرى كانت عظيمة النتائج ، فقد قرروا  
 تخفيض ضخ البترول بنسب معينة ، ومنع تصديره تماماً إلى الولايات  
 المتحدة وهولندا ، فتوتفت مصانع ، وظهرت أزمة الطاقة كأكبر  
 معلم من معالم سنة ١٩٧٣ وكان السادس من أكتوبر هو صاحب

الفضل في هذا التجمع العربي الهائل ، وبدون السادس من أكتوبر  
كان تحقيق هذا التضامن يحتاج لعدة قرون<sup>(١)</sup> .

## أمريكا والمحركة

واضطربت الولايات المتحدة لما أحرزته مصر من انتصارات ،  
ورأت أن هزيمة إسرائيل هزيمة لأسلحتها ، كما صرح بذلك وزير  
خارجية الولايات المتحدة ، اندفعت لإسرائيل بأحدث الأسلحة ،  
وأمدتها إمدادات مجنونة مسعورة حتى تحفظ وجهها أمام العالم ، ويقول  
الرئيس أنور السادات : إنه أصبح واضحاً أن أمريكا طرف أساسي  
في الحركة ، إذ تدخلت تدخلا كاملاً ، وأقامت جسراً جويًا هائلا  
إلى سيناء ، فأصبح مطار العريش يستقبل الطائرات الضخمة التي تبلغ  
سعة كل منها ١٢٠ طناً ، وكانت الدبابات تنزل في المطار وهي جاهزة  
ببنزينها وطقمها كله ، وتوجه مباشرة إلى الدفرسوار<sup>(٢)</sup> .

ويقول في تصريح آخر إن هناك أموراً لم تعلن ، وأسراراً لم  
تكشف بعد عن حرب أكتوبر ، وهي مذهلة يشيب لها شعر الولد ،  
وستعلن في الوقت المناسب ، فلقد كان هدف أمريكا القضاء على قوات

(١) من حديث للرئيس أنور السادات نشر في ٣ / ١ / ١٩٧٥

(٢) الأهرام في ٣ / ١ / ١٩٧٥

مصر ، وذلك بإبادة جماعية مدروسة ، وذلك دون سواء هو الذى جعلنى أقبل وقف إطلاق النار<sup>(١)</sup> .

وتسبب عن هذه الإمدادات الهائلة بالمال والأسلحة والخبراء وطائرات الاستطلاع الحديثة (س ٧١) أن استطاع جيش إسرائيل أن يحدث ثغرة يدخل بها غرب القناة ، ولكن ذلك حدث بعد صراع سمر وتضحيات هائلة من الجانبين ، ولكن هذه الثغرة لم تكن سوى عمل سياسي لأنها من الناحية العسكرية أوقعت الجنود الإسرائيليين في الفخ ، وأحاط بهم الجيش المصرى كعائل من فولاذ ، وأخذ يصطادهم بشراسة ، ولاشك أن كل مصرى يفخر بالعهد الجديد عندما يقارن اليهود الجبارة لآتى واجهنا بها جيش إسرائيل غرب القناة بالاستسلام الذى انتابنا هقب هزيمة ١٩٦٧ والذى عبر عنه قائد ذلك العهد بأنه لم يكن هناك جندى واحد بين الجيش الإسرائيلى الزاحف وبين القاهرة .

---

(١) الامرام فى ١٠/١/١٩٧٥

## الثغرة فسخ حرص اليهود على الخلاص منه

ونعود إلى الثغرة فنتقرر أنها لم تكن سوى فسخ وقع فيه الإسرائيليون وأحاط بهم جنودنا من كل اتجاه، مستعدين للاقتضاض عليهم مهما كلفهم ذلك، وقد أدرك سياسة إسرائيل هذا الوضع فتدسوا الوعدية لنجاح المفاوضات لذلك الارتباط لينسحبوا من هذا الفسخ المحكم كما سنرى فيما بعد .

ولو تدارسنا توقع المفاوضات التي قام بها الدكتور كيسنجر في مارس سنة ١٩٧٥ لذك ارتباط جديد، لأدركنا أن سبب تشدد إسرائيل هو إحساسهم بشيء من الأمن في منطقة الممرات، ولو كانوا يعانون نفس الخطر الذي رأوه في الثغرة لنبجعت المفاوضات، ولعل ذلك أبلغ رد على جبهة الرفض التي تحاول أن تقلل من قيمة ماحقته جيشنا من نجاح، وتعظم شأن هذه الثغرة التي لو كانت عملاً مفيداً من الناحية العسكرية لزاد بها صلف إسرائيل، ولم يخف هذا الصلف إلا لأن إسرائيل أدركت أن هذه الثغرة يمكن أن يلاقى فيها جنودهم نهايةهم الأليمة .

- ٢٧٥ -

## مجلس الأمن والمحركة

وأصدر مجلس الأمن قراره بوقف القتال على أن ينفذ قرار مجلس الأمن الصادر في نوفمبر سنة ١٩٦٧ والذي يقضى بإجلاء إسرائيل عن كل الأرض التي احتلتها في معارك يونيو المشنومة ، وقبلت كل الأطراف هذا القرار ، وكتب الرئيس أنور السادات للرئيس حافظ الأسد كتاباً تاريخياً في ١٩ أكتوبر يوضح فيه سبب قبول مصر لهذا القرار ، وفيما يلي نص هذا الخطاب :

أخى الرئيس حافظ الأسد :

« لقد حاربنا إسرائيل إلى اليوم الخامس عشر ، وفي الأيام الأربعة الأولى كانت إسرائيل وحدها ، فسكسفنا موقفها في الجبهتين المصرية والسورية ، ومقط لهم باعترافهم ٨٠٠ دبابة على الجبهتين وأكثر من مائتي طائرة ، أما في الأيام العشرة الأخيرة ، فإننى على الجبهة المصرية أحارب أمريكا بأحدث ما لديها من أسلحة .

« إننى ببساطة لا أستطيع أن أحارب أمريكا وأن أتحمل المسئولية التاريخية لتدمير قواتنا المسلحة مرة أخرى ، لذلك فإننى قد أخطرت الاتحاد السوفيتى بأننى أقبل وقف إطلاق النار على الحدود الحالية بالشروط التالية :

— ٢٧٦ —

- ١ — ضمان الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة بانسحاب إسرائيل كما عرض الاتحاد السوفيتي .
  - ٢ — بدء مؤتمر سلام في الأمم المتحدة للاتفاق على تسوية شاملة كما عرض الاتحاد السوفيتي<sup>(١)</sup> .
- « إن قلبى يلهط دماً ، وأنا أخطرك بهذا ، ولكننى أحس أن مسئوليتى تختم على اتخاذ هذا القرار ، وسوف أواجه شعبنا وأمتنا في الوقت المناسب لكي يحاسبنى الشعب » .
- مع أطيب تمنياتى .

أنور السادات

ويقول الرئيس أنور السادات : إننى عندما وافقت على وقف إطلاق النار آنذاك ، ثم وافقت بعد ذلك على فك الارتباط ، لم يكن هذا ولا ذاك مع إسرائيل ، وإنما كان مع أمريكا<sup>(٢)</sup> .

وتوقف القتال بعد محاولات تهدد قامت بها إسرائيل ، ولكن المصريين لم يلقوا السلاح ، فراحوا يهاجمون الأعداء كل يوم ، وكل

---

(١) كوسيجين كان قد زار السادات في أثناء المعركة ، وألح عليه بوقف إطلاق النار فرفض .

(٢) الأهرام في ١٠/٣/١٩٧٥

١. مقامهم في هذه الثغرة محفوفاً بالمخاطر ، وزرعت  
 وخسین ألفاً من الألفام لحماية جنودها ولكن ذلك  
 سدرت القرارات المصرية على أن كل فرقة يتعتم أن  
 إلى مائة متر وألا تترك العدو ينعم لحظة بهدوء .  
 ولات أسطورية في مواقع كبريت ، والجزيرة  
 جيش الثالث ، وهذه البطولات أعادته مجد المقاتل  
 ، العار عن أخيه وابن هم الذي قيل إنه انهزم  
 ١٩٦٧ ، ولكن الهزيمة كانت من القادة وللقيادة ،  
 لم أن نصفه بأنه انهزم لأنه في الحقيقة لم يخض المعركة  
 اب ، وكان هذا الأسر بمثابة القضاء عليه بالهزيمة .

## بعد المعركة

ضعت ثقة أمريكا في كلب الحراسة ، وهزّ الانتصار العربي والوحدة العربية دول العالم ، فراح السكّل يمدّ يده للتعاون مع العرب ، وأخذت أمريكا دور القيادة في الوصول إلى حل ، وتم الاتفاق على الفصل بين القوات المصرية والإسرائيلية بأن تنسحب إسرائيل إلى ما يقرب من منطقة المرات في سيناء ، وتم ذلك في الخامس من مارس سنة ١٩٧٤ ، وعادت القناة لمصر مع حطام خط بارليف ، ومع حطام عدد ضخم من الطائرات والذبابات ومع آلاف الضحايا من اليهود .

وكذلك تم الاتفاق على الفصل بين القوات السورية والإسرائيلية في الجولان في أوائل يونيو .

وفي كلمة سريعة : لقد تغيرت صفحة العالم ، وابتسم الفجر الجديد على أخوة عربية طيبة ، وامتدت الابدانة إلى العالم الإسلامي فُعقد مؤتمر لاهور في مارس سنة ١٩٧٤ ، واتخذ المجتمعون قراراً بضرورة إكمال الانسحاب وتحرير القدس ، وبقائها عربية ، وبحقوق شعب فلسطين .

والباخرة تسير باسم الله مجراها وممرها .



## المعركة والمستقبل

من الحق أن نقرر أنه من الغفلة أن نعتقد أن انتصارات أكتوبر قد وضعت نهاية للصراع بين العرب وإسرائيل ، فهزيمة إسرائيل في الأيام الأولى من المعركة ، وضحايا إسرائيل من البشر لم تمرّ بسهولة ، فقد سقطت وزارة وقامت وزارة ، وألقت إسرائيل لجاناً للتحقيق لمعرفة أسباب الهزيمة ، وصرخ أهل القتلى بأصوات عالية ، وانعكس كل هذا على زعماء الصهيونية في العالم وبخاصة في أمريكا ، فهُزِلَ نيكسون لأنه بدأ يعرف الحق ويَعِدُّ - مجرد وعد - أن يعمل لتحقيقه ، وقُدِّمت الإغاثات المسعورة وأحدث الأسلحة لإسرائيل ، وبدأ العالم يتسكهن بحرب جديدة تحاول فيها إسرائيل أن تنأزض ضحاياها ، وتسترد كرامتها التي امتُهنت ، وتقاتل من أجداد العرب التي أخذت ترتفع خفاقة شاذخة .

وهل هذا فالمعركة لا تزال دائرة ، والجهنم الذي يجب أن يبذل لحماية النصر ينبغي أن يفوق الجهد الذي يُبذل للحصول على هذا النصر ، فن الشائع أن كثيرين يستطيعون أن يصلوا إلى الجهد ، ولكن قلة قليلة تستطيع أن تحافظ على الجهد الذي حقّقته .

ومن أجل هذا فإننا في ختام هذا البحث عن الماضي ، نتطالع إلى

المستقبل ، ونسبهم مع المفسكرين في رسم خططه ، واعتقادي أن عبء الإهداد المستقبل بالنسبة للمصريين وبالنسبة للعرب يمكن أن يُرسم في الخطوط العريضة التالية :

### مصر ومستقبل الصراع ضد إسرائيل

إن جند مصر يقفون بثقة وإيمان في الميدان ، ليزودوا من الوطن العربي بأرقى درجات البسالة والاستعداد للتضحية ، وليحافظوا على النصر الذي حققوه ، وليضيفوا إليه جديداً هند ما يجد الجند .

ويقف الشعب المصري من خلفهم كتلة قوية كادحة ، تقدم لهم السلاح والعون ، ليعمل مع الجند لواء النصر .

ولا شك أن هناك شائعات تنبثق من حين لآخر باحتفال قيام صلح منفرد بين مصر وإسرائيل ، وذلك في الحقيقة أمنية إسرائيلية تظهر بوسائل متعددة ، وقد سمعتها شخصياً كأمل كبير شرحه مفكر يهودي عالمي ، ولكن مصر ترى أن هذه الشائعات مجرد خرافة ، فليس هناك مصري يقبل أن يدير ظهره لسوريا الحبيبة أو إلى الإخوة العرب ، أو يكف يده عن هونهم ، ومن جهة أخرى فنعين نحس أن من يؤثر السلامة الآن سيأكله الوحش يوماً ويصرخ : إنما أكلت يوم أكل النور الأبيض .

يبد أن هناك نقاطاً ترتبط بمستقبل مصر في الكفاح ينبغي أن  
نمطها شيئاً من التفصيل .

١ - في مطلع عام ١٩٧٥ هبت مظاهرات بالقاهرة ، ويقرر  
الفكر العلمي حق الطوائف في المظاهرات لإعلان رأى وشرحه  
والدهابة له ، واسكن إذا تحولات المظاهرات إلى تدمير ، وإذا حاول  
المظاهرون أن يرفعوا صوامع على السير معهم ، فتلك هي الفوضى  
والخيانة الوطنية ولا بد من إيقافها بكل حزم حماية للشعب وممتلكاته  
وانتصاراته .

وربما انضم المتظاهرين جماعة من الذين يعانون مستوى الغلاء  
وشظف العيش ، ومن الواضح أن الغلاء يطعن الناس طعننا ، وأن  
هذا البعيل احتمال من المشاق الاقتصادية أكثر من طاقة البشر ،  
ولكننا إحقاقاً للحق نقرر أن العهد الحالي ليس هو المسئول عن هذا  
العناء ، فلقد ورث هذا العهد تركة مثقلة ، ولنورد هنا بعض أرقام  
عن الماضي

٠٠٠ ر ٠٠٠ ر ٦٠٠٠ تكاليف شراء أسلحة حتى سنة ١٩٦٧ .

٠٠٠ ر ٠٠٠ ر ١٠٠٠ » » » بعد سنة ١٩٦٧

لتمويض الأسلحة التي ضاعت في الحرب الخاسرة .

..... أرقام لا حدود لها أنفقت في الخارج  
لمساعدة حكومات متداعية أو ضد حكومات معادية، وعلى هذا  
فنحن نهتف بالعهد الحالى ألا يذكر أنه المشغول عن الماضى ،  
ونهتف به كذلك أن يقلل من عناء الشعب ، فالجائع لا يفكر  
ولكنه يشور ويضطرب .

٢ — هناك تعبير ذائع في بعض الأوساط في الخارج ، ولدى بعض  
الناس في مصر ولكن لا يُعْرَف له مدلول واضح ، وذلك  
التعبير هو « الناصرية » ونحن في التفكير الإسلامى لا نحب أن  
نسمى الإسلام باسم سيدنا رسول الله فلا نقول « الدين المحمدى »  
وانتقدنا بروفيسور « جب » عندما سعى كتابه عن الإسلام  
Muhammadanism ومن أجل هذا نسأل : ما الناصرية ؟ وهل تختلف  
أو تتفق مع مبادئ الثورة ومبادئ العرب ؟ وقد كفانا الرئيس  
أنور السادات مثونة التفكير في هذا الموضوع عندما قال : هناك  
مبادئ ٢٣ يوليو وليس هناك ناصرية <sup>(١)</sup> . . .

ولكن مع هذا الاتجاه القويم نرى مؤتمرات تعقد في القاهرة

---

(١) الأهرام ١٩/١/١٩٧٥ .

عن الناصرية ، وذلك لا يتمشى مع ما قاله أنور السادات وما يدين به الشعب .

وقد خلف العهد الماضى فى حياتنا جراحاً عميقة ، ولا نحب أن تعيش فى حياتنا الحاضرة كلمات كالناصرية توحى بأنها تحمل اتجاهات الماضى المريب ، تلك الاتجاهات التى قادته إلى الهزائم والآلام .

٣ - إن الدين الإسلامى أساس مهم من أسس نهضتنا ، وهو عميق الغور فى تكوين أخلاقنا ، والمهتاف العظيم « الله أكبر » كان موطناً قوياً افتتح به جنودنا معركة النصر ، ولكن الأزهر الذى حل راية الإسلام أكثر من ألف عام مسه الضرر فى العهد الماضى باسم « التطوير » الذى يشبه سما وضع فى عمل ، وقد شرحت بإفاضة مشكلات تطوير الأزهر فى كتابى « رحلة حياة » وأنا هنا أدعو للعودة لدراسة هذا الموضوع ، كما أدعو لإعداد الشعب إعداداً روحياً فى كل السكيات والمعاهد ، فذلك خير سلاح نواجه به مستقبلنا العسكرى والاجتماعى .

٤ - يقولون إن مصر وحدها بين بلاد العالم هى التى تدفع لرئيسين متهات و مخصصات ، فهل يليق هذا الأمر مع ما نعانى من أزمات اقتصادية ؟ وإذا جاز هذا عندما كانت أهباء أسرة

جمال عبد الناصر ثقيلة ، فهل يستمر بعد أن زالت هذه الأعباء  
بتفريج أكثر أولاده وحصولهم على وظائف هامة المستوى والمرتب ؟  
على أن هذه النقطة تحتاج إلى مزيد من الإيضاح ، فلقد ذكرتها  
في الطبعة الأولى من هذا الكتاب ، وأنا أعرف أن قراء الكتاب  
قليون فهم نوع من الخاصة ومحبي الاطلاع ، ولكن هذه الفكرة  
تكررت في مقال الصحفي الفاضل الأستاذ إبراهيم سعدة القوي نشر  
بصحيفة أخبار اليوم في ٨ / ٣ / ٧٥ ، وتوقعتُ بعد ذلك أن يتحرك  
المسؤولون من المال العام ومن عرق الفقير ، ولكن أحداً لم يستجب ،  
ومن هنا فأننا أضع أمام القراء كلمات الأستاذ إبراهيم سعدة ، لعل إجماع  
القول وكثرة تردد كلمة الحق تذهب إلى إنهاف الشعب من تصرف  
قام به من يسمون « سرا كز القوي » منتهزين فرصة تهيج المواطنين  
على إثر وفاة جمال عبد الناصر . وفيما يلي مسطور من كلمة  
الصحفي الفاضل :

### المال لمن لا يستحقه

لو كنت أحد نواب مجلس الشعب ، لطالبت بإعادة النظر في  
الخصومات التي يحصل عليها البعض بدون وجه حق .  
ولن يكون هذا بدءاً في تاريخ الحياة النيابية في العالم ؛ فمجلس

العموم البريطاني شهد هذه الأيام ، حملة من هذا النوع ، تزعمها النائب العمالي ويل هاملتون . ويطلب بمنع التصديق على منح الأسرة المالكة البريطانية علاوة ، تساعد على مواجهة أعباء الحياة وارتفاع الأسعار .

ولحسن الحظ أن مصر سبقت بريطانيا في إنهاء النظام الملكي وإعلان النظام الجمهوري ، ولكن من سوء حظ مصر أن بريطانيا سبقتها في المطالبة بوضع نهاية لهذه الخصومات الخيالية التي يتقاضاها من هم ليسوا في حاجة إليها !

وهناك الذي انتقل إلى رحمة الله ، بعد حياة حافلة ، وأسرفت الدولة في منعه أسرته « معاشا استثنائيا » ، كما تقرر أن يصرف لأسرة المرحوم كافة الخصومات التي كان رب الأسرة يتمتع بها في حياته . . . والغريب أن الذين يحصلون على تلك الخصومات ، ليسوا حقيقة في حاجة إليها . أو على الأقل لا يستحقونها كما ينص القانون .

والأغرب من هذا كله أن أولاد وبنات المرحوم استمروا في صرف الخصومات التي تقرر لهم ، بعد وفاة والدهم ، رغم أن الأولاد كبروا ، وتخرجوا في الجامعة ، وحصلوا على وظائف مرموقة ومرتبات مغرية ، ورغم أن البنات كبرن ، وتخرجن في الجامعة ، وتزوجن ، ويعشن في فيلات

خاصة بهم. ويعملون في وظائف مريحة ومجزية. فما الداعي إذن لاستمرار صرف هذه الخصومات من خزانة الدولة، التي يمولها المواطن العادي من هرقه وقوته ؟

هذه لمحات سريعة نرجو أن تكون موضع العناية والاهتمام .

## العرب ومستقبل الصراع ضد إسرائيل

فيما يتعلق بالعرب ومكانهم في صراع المستقبل ضد إسرائيل يمكننا أن نورد بعض الحقائق التي نعتقد أن كل المفكرين يقبلونها دون مراء .

١ - إن أطاع إسرائيل والاستعمار لا تقف عند حد ، وإن البترول العربي يشد ببريقه هذه الأطماع ، وقد سبق لإسرائيل أن هددت بأن ذراعها طويلة تمتد طبع بها أن تضرب البعيد كما تضرب القريب ، وقال شارون في ٢٦ يوليو سنة ١٩٧٣ « لقد خدمت إسرائيل من القوة لدرجة أن باستطاعتها أن تغزو المنطقة العربية كلها من الخرطوم إلى بغداد إلى الجزائر ، في غضون أسبوع واحد ، إذا دعت الضرورة لذلك » ثم إن أمريكا التي تسلح إسرائيل ، وتمدها بالمدونات تنجبه أطامعها إلى منابع البترول أكثر من اتجاهها إلى سوريا أو الأردن . . . . .



٢ - إن أكثر الدول المنتجة للبترول أقل عددا وعدة من أن تقف أمام أطماع إسرائيل وأطماع الاستعمار ، وإن يكون من الممكن أن تحاول ذلك .

٣ - إن دول المواجهة لا تدافع عن نفسها فحسب ، وإنما تدافع عن الجبهة العربية ، وإذا ضعفت دول المواجهة عن ذلك امتدت المركة إلى نطاق جديد ، وإن الصراع الذي يدور الآن ضد دول المواجهة ليس موجها لها في ذاتها ، وإنما هو في الحق بمحاولة لإضعاف الجبهة العربية ، وإذا - لا قدر الله - ضعفت جبهة القتال كانت السيطرة على الدول المنتجة للبترول سهلة وبسيطة ، وبلفة أخرى أكثر صراحة تقول أن الجنود الرابضين على خط النار يدافعون عن الثراء العربي والبترول العربي ، وينبغي ألا ينصل إلى الدرجة التي عبر عنها العربي القديم بقوله : واحد يسك بقرنى البقرة أهناك آخر حلبيها !!

٤ - إن دول المواجهة خسرت في وقوفها أمام إسرائيل دماء زكية كثيرة ، وخسرت آلاف الملايين من الجنيهات في حال الحرب أو الاستعداد لها . ويقدر الباحثون ما خسرت مصر وحدها في حروبها مع إسرائيل بألاف الملايين من الجنيهات .

٥ - إن حرب أكتوبر سببت ارتفاعاً باهظاً في أسعار البترول وبالتالي في مزيد من الأرباح للدول العربية المنتجة للبترول ، وعانى الشعب المصري من ارتفاع أسعار السلع الذي تسبب عن ارتفاع أسعار البترول .

٦ - نحن نعطى من الدماء ومن القوت ، وينتفع بجهدنا كل عربي حتى ذلك الذي يعيش في الثرف والثراء ولديه فائض لا تخصصه الأرقام

٧ - صحيح أن العرب قدموا دهماً أو قدموا منعداً ، ولكن المسألة كما نراها ليست كذلك ، إنها التزام تحمل كل دولة نصيبها في تسكليفه بنسبة دخلها ، وفي ضحاياه بنسبة عدد سكانها ، ولما أن تشترك في إدارة هذه المعارك حقق النهاية .

هذه صرخة لا أقول إنها نابعة من فسكرى بل إنها تردد هنا وهناك ، وأرجو أن تجد أذنًا صاغية وعقلاً واعياً ، وليتذكر الجميع أن المعركة لا تزال في هفوانها ، وأن أصابع الصهيونية التي هزات نيكسون وقصرت خطأ أمريكا نحو السلام تحتاج منا إلى تعاون منظم في مختلف الميادين الفكرية والعسكرية والاقتصادية والسياسية ، ومثل هذا التعاون يضمن النصر الذي نطمح فيه .

وبالله التوفيق

## محتويات الكتاب

| الموضوع  | صفحة    |
|--|---------|
| مقدمة الطبعة الاولى                                  | ١٤ - ١٦ |
| مقدمة الطبعة الثانية وتشمل دراسات هن :               |         |
| عنوان الكتاب   | ١٨      |
| أهمية دراسة الحروب                                   | ١٩      |
| الاسباب الحقيقية لازمتنا الاقتصادية                  | ٢١      |
| مصادر هذا الكتاب                                     | ٢٢      |
| حقيقة الثورات وتأثير ثورة ٢٣ يوليو على المؤرخ المصرى | ٢٦ - ٣٢ |

## حرب ١٩٦٧

أحداثها - نتائج الهزيمة فيها - الاسباب الحقيقية للهزيمة

|   |    |
|---|----|
| يوميات حرب يونيو وتعليقات عليها                 | ٣٦ |
| المؤتمر الصحفي الذى عقدته هبة للناصر فى ٢٨ مايو | ٤٠ |
| مشاهد الناس حتى الرابع من يونيو                 | ٤٤ |
| الخامس الحزين والمعركة الخامسة                  | ٤٦ |
| صدى الهزيمة                                     | ٤٩ |
| جماهير ١٠ و ١١ يوليو                            | ٥٠ |

| الموضوع                        | الصفحة |
|--------------------------------|--------|
| مؤتمر القمة بالخرطوم           | ٥٣     |
| خسارة مصر الفادحة في هذه الحرب | ٥٥     |

## نتائج هزيمة ١٩٦٧

|                             |    |
|-----------------------------|----|
| النتائج العسكرية            | ٥٧ |
| الاضرار الادبية             | ٥٩ |
| الاضرار الاقتصادية          | ٦٠ |
| الاضرار النفسية والاجتماعية | ٦١ |

## الاسباب الحقيقية للهزيمة

### ١ — أسباب ترتبط بالجبهة الداخلية وتهمرها

|                                    |    |
|------------------------------------|----|
| الفزع والبلع :                     | ٦٤ |
| ملك التعذيب                        | ٦٦ |
| فصيب المفكرين والكتاب من الظلم     | ٦٩ |
| هككة الدجوى وكيف شكلت بقرار مزور   | ٧١ |
| الاضطهادات والسجون                 | ٧٨ |
| الابرياء في مستشفى الامراض العقلية | ٧٩ |
| قصة الشيخ عاشور                    | ٨٠ |

الموضوع  
الصفحة  
غيبية العدالة:

|    |        |                                       |
|----|--------|---------------------------------------|
| ٨٢ | ... .. | مأساة كشيخ كنموذج من الظلم ...        |
| ٨٣ | ... .. | رأى محافظ المنوفية في مأساة كشيخ ...  |
| ٨٨ | ... .. | حيثيات الحكم بالبراءة بعد الإدانة ... |
| ٩٥ | ... .. | مذبحة القضاء ...                      |

|     |        |                                     |
|-----|--------|-------------------------------------|
| ٩٦  | ... .. | الثقة لا السكافة ...                |
| ٩٩  | ... .. | صورة النائب الرئيس في ذلك العهد ... |
| ١٠٠ | ... .. | المشير والذهب ...                   |
| ١٠٦ | ... .. | الحراسة ...                         |
| ١١٣ | ... .. | النفاق ...                          |
| ١١٨ | ... .. | الإلسان بضاعة في طرد ...            |

٢ - وسائل أضعفت الجيش

|     |        |  |
|-----|--------|--|
| ١٢٠ | ... .. | العلاقة بين عبد الناصر والمشير ...     |
| ١٢٢ | ... .. | مواهب المشير كما يراها هيكل ...        |
| ١٢٣ | ... .. | كبار ضباط الجيش في الوظائف المدنية ... |
| ١٢٤ | ... .. | إبعاد الأكفاء من الضباط عن الجيش ...   |
| ١٢٥ | ... .. | الاستيلاء على أكياس الذهب بالين ...    |
| ١٢٦ | ... .. | الاستيلاء على جواهر القصور بمصر ...    |

| الموضوع                                   | الصفحة |
|---|--------|
| قادة النصر يحددون المسئول عن الهزيمة :    |        |
| أنور السادات يحكي أسباب الهزيمة ... ..    | ١٢٨    |
| أحمد إسماعيل على يروي أسباب النكبة ... .. | ١٢٨    |
| الجنس يبرز أسباب الهزيمة ... ..           | ١٣٠    |

### ٣ — أسباب هزيمة

|  |     |
|--|-----|
| مكانة مصر في العالم العربي والإسلامي .. ..                       | ١٣٣ |
| ماذا قال عبد الناصر عن ملوك العرب ورؤسائهم ... ..                | ١٣٥ |
| حرب اليمن ونتائجها السياسية والاقتصادية ... ..                   | ١٣٩ |
| علاقاتنا الدبلوماسية مع الدول الإسلامية بين الضعف والقوية ... .. | ١٤١ |
| علاقاتنا مع روسيا وأمريكا وأوروبا ... ..                         | ١٤٣ |
| المصري بالخارج بين عهدين ... ..                                  | ١٤٥ |

### جيل مضل

|   |     |
|---|-----|
| الأسباب التي ضللت الجيل الناشئ بمصر ... ..              | ١٤٩ |
| مكاسب عهد عبد الناصر في الميزان                         |     |
| الاشتراكية : بين المبادئ والتطبيقات ... ..              | ١٥٤ |
| الإصلاح الزراعي : مفهومه العلمي وماذا تحقق منه ؟ ... .. | ١٥٩ |

| الموضوع                                      | الصفحة |
|--|--------|
| السد العالي : أهدافه وماذا حقق؟              | ...    |
| وماذا تقول عنه البحوث العلمية؟               | ١٦١    |
| سياسة هبد الناصر وهل جلبت الجلاء أو الاحتلال | ١٦٦    |
| تأميم القناة ومدى نفعه                       | ١٧٤    |
| النصنيع وبعض الحقائق عنه                     | ١٧٦    |
| الاتحاد الاشتراكي وحقيقته                    | ١٧٩    |
| هبد في الميزان أو حصيلة عشرين عاما           | ١٨٦    |
| صور مرثية من هبد الناصر                      | ١٨٩    |
| صورة صوتية عن حكام مصر من فاروق إلى السادات  | ١٩٨    |
| الظروف التي ضللت بعض الإخوة العرب :          |        |
| — الواجهة والتطبيق                           | ٢٠٣    |
| — الهجوم على الاستعمار ودراسة حوله           | ٢٠٦    |
| — الهجوم على الملوك والرؤساء العرب وأثره     | ٢٠٧    |
| — قسوة هبد الناصر كانت على الشعب المصري وحده | ٢٠٨    |
| — الأفلام المأجورة                           | ٢٠٨    |
| — بيروت تستغل سياسة هبد الناصر وتشجعها       | ٢٠٩    |
| « مراكز القوى » تعبير يرفضه التفكير الإسلامى |        |
| الإلسان المصرى وموقف بعض الحكام منه          | ٢٢١    |

الصفحة

الموضوع

## الفجر الجديد

|     |  |
|-----|--|
| ٢٢٧ | ... من عهد إلى عهد                                   |
| ٢٢٨ | ... دمايم النصر                                      |
| ٢٣٠ | ... الشعب والقائد                                    |
|     | الثورات المصرية في العصر الحديث وما حققته من أهداف : |
| ٢٣٢ | ... — عمر مكرم والسادات والشرقاوى                    |
| ٢٣٤ | ... — أحمد هرابي                                     |
| ٢٣٤ | ... — مصطفى كامل والحزب الوطنى                       |
| ٢٣٥ | ... — ثورة ١٩١٩ وسعد زهلول                           |
| ٢٣٧ | ... — ثورة يوليو ١٩٥٢ ومبادئها ونتائجها              |
|     | — أنور السادات وثورة التصحيح :                       |
| ٢٤١ | ... هل يعد عهد أنور السادات عهداً جديداً ؟           |
| ٢٤٢ | ... هل يعتبر أنور السادات مسئولاً عن عهد سلفه ؟      |
| ٢٠٣ | ... ما العلاقة بين أنور السادات وثورة ٢٣ يوليو ؟     |
| ٢٤٦ | ... ملامح العهد الجديد                               |

## حرب النصر

|     |  |
|-----|--|
| ٢٤٧ | ... قرار الحرب والتعاون مع سوريا       |
| ٢٤٩ | ... مع حرب السادس من أكتوبر يوماً بيوم |



| الصفحة | الموضوع                                     |
|--------|---|
| ٢٥٤    | مشكلات العبور والتغلب عليها                 |
| ٢٦٤    | شهادة من مهمل الحرب البريطاني للجندى المصرى |
| ٢٦٥    | مزايع باطلة عن أسباب النصر                  |

## نتائج معارك أكتوبر

|     |  |
|-----|--|
| ٢٦٧ | في رأى الرؤساء : السادات وبورقيبة ونميرى |
| ٢٦٨ | في رأى العسكريين                         |
| ٢٧١ | العرب والمعركة                           |
| ٢٧٢ | أمريكا والمعركة                          |
| ٢٧٤ | الشجرة فنج حرص اليهود على الفرار منه     |
| ٢٧٥ | بجاس الأمن والمعركة                      |
| ٢٧٨ | بعد المعركة                              |
|     | المعركة والمستقبل :                      |
| ٢٨٠ | مصر ومستقبل الصراع ضد إسرائيل            |
| ٢٨٦ | العرب ومستقبل الصراع ضد إسرائيل          |

رقم الإيداع ١٨٢٤/١٩٧٥



أوشك عصر عبد الناصر أن يظهر للتاريخ على غير حقيقته ، فقد  
سُخِّرَت لمدحه الكلمة المقلوبة والكلمة المكتوبة ، وكثيراً ما كانت  
الكلمة بعيدة كل البعد عن الواقع ؛ فعندما حلت بنا الهزيمة سنة ١٩٥٦  
قالوا إننا انتصرنا وفنى بذلك المغننون ، وخلال عهده كثر التباين  
بالعدالة والديمقراطية مع أن القانون كان في إجازة وطالت غيبته ،  
وزحف على الين وخضب ترابها بالدماء العربية ، ودعائه يتصاير بأن  
حامي العرب وناصر العرب ، وعقب كارثة ١٩٦٧ صرح بأنه كان  
يتوقع العدو من الشمال فجاء من الغرب ، ومع هذا كانوا يصفونه  
بالمسلم ..... ١١

ولا تزال توجد أقلام مسخرة لهذا الاتجاه ، ولكن من المؤكد  
أن صمودها لن يطول .

وكنت كزورخ معاصر أدوّن التاريخ من الأحداث لا من الكلمات ،  
فجاء هذا الكتاب حصيلة لعملٍ دقيق ، وصَفَ بصدق حياة مصر في عهد  
عبد الناصر وعهد السادات ، وبالتالي أبرز أسباب الهزائم وم  
وضَّح أننا كنا كشجرة تُكَلِّمُ ظلالها وثمارها للخارج و  
من الظلال والثمار ، وظلنا نعانى ونعانى حتى جاء عهد النور  
مسار مصر ومسار التاريخ .

Bibliotheca Alexandrina



0231204